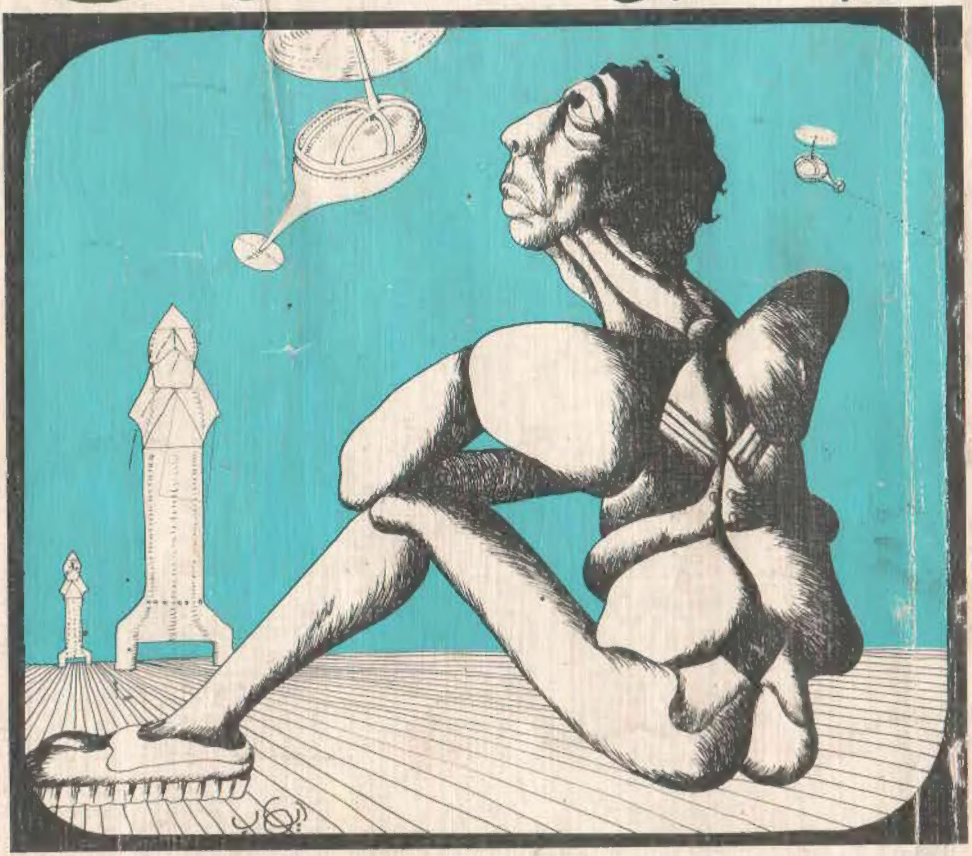
صبري موسى

السيد من حقل السبانخ

رواية
عن المستقبل



الهيئة المصرية العامة للكتاب

السيد من حقل السبانخ

السيد من حقل السبانخ

رواية

صبرى موسى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

هذه الرواية نشرت فى حلقات مسلسلة بمجلة صباح الخير الأسبوعية التى تصدر عن مؤسسة روز اليوسف ، خلال الفترة من اغسطس ١٩٨١ الى يناير ١٩٨٢ ·

وهذه هى الطبعة الأولى فى كتاب ·

الغلاف والرسوم الداخلية : ايهاب شاكر

الاخراج الفنى : عفاف توفيق

إهـــداء

ذكرى وعبرة ...

الى محمد .. ولدى .. وهو يعيش المستقبل ؟

ص.م

«نحن البشر نمر الآن بوضع شبيه بانسان ماقبل التاريخ ، عندما فتح عينيه منذ أكثر من خمسة آلاف سنة ، على دنيا جديدة تماما ٠٠

ولقد تعودنا على دراسة الماضى ، لنلقى الضوء على الحاضر ٠٠ ولكننى الآن أقلب لكم مرآة الزمن ، مقتنعا بأن صورة واضحة للمستقبل ، يمكن أيضا أن تمد حاضركم بعديد من البصائر التى لا غنى عنها ٠٠؟»

رجل السبانخ



١ ـ لحظة خارج البرنامج ؟

مشى السيد متضايقا جدا ·· ملتصقا يكاد بالرجل الذى أمامه ·· بينما صدر السيدة التى خلفه يدفعه فى ظهره بين الحين والحين ·· وكانت ذراعاه محبوستين فى ذلك التزاحم من جانبيه ·· وكانت خطواته قصيرة مقيدة ··

تلك ساعة لعينة ··

ساعة انصراف الشغيلة من حقل الاستنبات الضوئى ، حيث ينتجون أكواما هائلة من أوراق السبانخ الخضراء ·· أكواما هائلة جدا لا تستطيع العين الانسانية أن تدرك مداها وحجمها دون استعمال النظارة ذات العدسات الموسعة ·· من أوراق السبانخ فقط ·· دون عيدان ·· تصدر طازجة فى عبواتها الضخمة

بالصواريخ عابرة البلدان الى أنحاء الربع الجنوبى الغربى من المعمورة البشرية الحديثة ·· فحقلهم هو الحقل الرابع والأخير من حقــول السبانخ الموحدة المخصص لهذا الجزء من الكتلة الانسانية ·

مع أنه هو شخصيا لا يحب السبانخ !

وزاد هذا من ضيق السيد عندما تذكره ، ثم لاحظ أن نهدى السيدة التى خلفه لم يعودا يدفعانه بعد أن اتسعت خطوته بانفراج الزحام نوعا ·· فأدرك أنهم قد وصلوا الى موقف الناقلات فانقسم الزحام وبدأ يصب فى الطوابير الخمسة المعتادة التى يسير كل منها فى اتجاه ، حيث تبتلعه السيارة الضخمة الهوائية وتطــير به ، لتسقط أفراده واحدا واحدا فوق الأبراج السكنية ·· ؟

رحلة كل يوم المعتادة ··

يدخل السيارة ويغلق على نفسه كبســولته ·· وبعــد عشرة دقائق بالضبط تتوقف السيارة فى الهواء ، وتطلق تلك الكبسولة التى يجلس فيها فتهبط به فوق ذلك البرج الشاهق الممتد من الأرض ·· مجمعه السكنى ·· وحين يخرج منها يلتقى بدافيــد وعثمان وابن محمد ويعقوب وهم يخرجون من كبسولاتهم أيضا ، ثم يغلقون أبوابها لتندفع صاعــدة الى الأتوبيس الذى ينتظرهــا ، ويتبادلون التحية اليومية ·· وبينما يهبط بهم المصعد من الطابق السابع والخمسين بعد المائة ، الى الطابق الثلاثين ، يكون يعقوب قد حكى آخر متاعبه مع نفيسة زوجته قبل أن يودعهم ويخرج الى شقته ·· وفى الطابق الواحد والعشرين ، يغادر هو مع دافيد ويتركان ابن محمد يواصل الهبوط ·· ومثل كل يوم ·· سوف يدخل مع دافيد الى مسكنه فيمضيان ساعة فى متابعة النشرة الاحصائية المرئية ، وهما يشربان كؤوس اقراص البيرة المذابه التى يحصل عليها دافيد

من قريبه الذى يعمل في مصانع البيرة المركزة ، بتخفيض يكاد يصل الى النصف فى المائه ·· وهى ميزة يحصل عليها أقرباء العمال الفنيين الذين يعالجون الالآت فقط ··· وبعدها سوف يترك دافيد الأعزب وهو يرثى له ، لأن اللجنة المحلية للمنطقة قد أدرجته فى قوائم الذكور الذين سيتم زواجهم فى الموسم القادم من مواسم ترتيب المجتمع .

ثم يدخل شقته ·· ليواصل تلك الحياة المملة التى زهدها ·· متنقلا بين المقاعد الوثيرة المصنوعة من الاسفنج فى سأم وهو يحمل بين يديه أكواما من تلك الكتب الصغيرة الناطقة ·· يفاضل بين أغلفتها حتى يجد واحدا لم يقرأه ··· فيضغط مفتاحه لينطلق صوت المؤلف يحكى له حكايته الموغلة فى الحداثة أو فى القدم عن زمان مضى وانقضى منذ قرن أو منذ بضعة قرون ·· فلا أحد يهتم الآن بتأليف الكتب !

وغالبا ما يسرقه هذا المؤلف بحكايته حتى تعود زوجته من عملها ·· فتقدم له الشاى ·· وتحكى له أخبارها ··· ثم يتبادلان الحب حتى يحين موعد العرض المسرحى ، فيفتحان التليفزيون ويشاهدان التمثيل ساعة ، ثم يحضران درسا مرئيا فى معالجة المشاكل اليومية للحياة فى الفضاء ساعة أخرى ··· ثم يطلعهم الجهاز على التقرير النهائى المصور لكل ما حدث فى المعمورة ذلك اليوم المنصرم وبذلك ينتهى الارسال ·· فيتوقف التيار الكهربائى ·· وينقطع النور مرة ويضيء ايذانا بموعد النوم ·· ثم ينقطع نهائيا بعدها بخمس دقائق فينام مرغما !

لشد ما هى حياة يومية كئيبة ، ولولا الدقائق القليلة التى يمشي فيها من عنبره فى الحقل الى موقف السيارات ·· ومن كبسولته

فوق سطح البرج الى باب المصعد ·· وفى الردهات حتى أبواب الشقق ، لتجمدت عظامه وتخشبت ·

وانتبه السيد لنفسه فوجد زحام الطوابير أمام الأتوبيسات الهوائيه يوشك أن ينفض بعد ان ابتلعت كبسولات الاتوبيس افرادها ·· ووجد طابوره يقترب من سلم الصعود الى الباب فشعر بقلبه يدق بعنف ·· لكم يود لو يستطيع الافلات من ذلك البرنامج اليومى القاتم الثقيل ؟

وتوقفت اقدامه رغما عنه ·· فاصطدم النهدان بظهره والتصقت المرأة التى خلفه به ·· فاستدار ليومىء لها معتذرا فظنته يفسح لها وعبرته ؟ وعبر اللذان خلفها أيضا ·· بينما وقف شاردا مبلبل الذهن ··

وعبر الطابور الى جانبه حتى ابتعد عنه ·· فنظر الشخص الذى فى نهاية الطابور خلفه وأخذ يناديه ·· ورآه السيد يلوح له متعجلا وهو يقف على سلم الناقلة الهوائية ·· وشاهد الباب الالكترونى وهو يبدأ فى الانغلاق ·· فاندفع الرجل داخلا ووقف خلف زجاج الباب يتطلع ناحيته بيأس ·· كأنما يرثى له !؟

ولدهشته وجد السيد ضيقه ينفرج ·· وبدات الراحة تدخل الى نفسه ، فها هو قد تمكن من الافلات دون أن يقصد ·· وحين يسألونه غدا فى مركز التحقيقات الآلى ·· فسوف يخبرهم بما حدث بالضبط وليكن ما يكون ، فمن المؤكد انهم سيعالجون المسأله ·· وكل ما عليه الآن ان يستمتع بتلك اللحظة الفرصة ، الغير خاضعة للبرمجة !

وكان المكان قد خلا من ناقلات البشر فمضى يجرى فى الساحة الكبرى وهو يضحك ·· يجرى ويقفز ويطوح بذراعيه وساقيه فى

الهواء هنا وهناك ويضحك فى سعادة ومرح .. حتى أصابه التعب .. لكنه كان سعيدا ، فمشى وعبر الساحة الى البوابة الخارجية .. ووجد نفسه فى شارع واسع بين جدارين مرتفعين من البلاستيك السميك الشفاف لا توجد فيهما فتحات أو نوافذ أو دكاكين مثل تلك الدكاكين التى كانت توجد عادة فى جدران الشوارع بوسط البلد ... وكان الشارع طويلا يسير فيه ناس قليلون ، فبدأ يلهو بتبادل التحية معهم .. كانوا يسيرون لأهداف محددة .. متعجلين وكانت تحيته تفاجئهم .. لكنهم كانوا يردونها وهم يتلفتون خلفهم بدهشة ، ثم يبتعدون وهم يبتسمون له بمودة فائقة .. الى أن يختفون واحدا وراء الأخر فى الفتحات التى تؤدى الى باطن الأرض ، فخمن أنهم من الشغيلة فى معامل البروتين النوعى التى تغطى مساحة هائلة أسفل المدن ، تغذى سكان هذه المدن بانتاجها عبر الأنابيب ..

ومشى السيد كثيرا جدا ، ربما ساعتين ، ولكن الجدار الذى كان يمشى بجواره لم ينته ، فبدأ يشعر بالتعب ، وفكر أن يكتفى بذلك .. ويبحث عن سيارة تعود به الى مسكنه .. لكنه تذكر أن المواصلات الهوائية محددة المناطق ومؤقتة بمجال العمل .. !

وتذكر السيارات الأرضية ، التى تقوم بتوصيل العمال والموظفين الى الأنفاق حيث توجد معامل انتاج البروتين النوعى .. لكنه أبعدها من ذهنه بيأس .. فحتى لو استطاع أن يهدى أحد سائقيها بضع حبات من البيرة المركزة التى يأخذها من دافيد ، ليوافق على أن يحمله معه الى عمارته السكنية .. حتى لو حدث هذا — وهو احتمال نادر لأنه يعرف جيدا أخلاق هؤلاء السائقين الحميدة وطباعهم المرهفة — فهو أيضا لن يستطيع الوصول الى شقته .. لأن الأبواب والمداخل فى هذه المجمعات السكنية الحديثة اللعينة .. توجد دائما فى سقفها حيث تهبط الكبسولات بركابها !

ووجد السيد نفسه في مأزق حقيقي ٠٠ فأخذ يغذ السير الى جوار تلك الجدران الصماء اللامعة ، وقد بدأ ينتابه القلق ..وتحولت تلك المتعة التى كان يحلم بها فى استخدام قدميه ، الى نوع من الاعياء والتعب ٠٠ وكانت الشمس قد مالت ولاحظ ميلها من خلال الاشعة المظلمة التى بدأت تصب فى الشارع البارد خلال جدران البلاستيك السميكة الشفافية ٠٠ فبدأ القلق يتحول الى نوع من الخوف ٠٠ لأن تلك الأشعة الباردة فى الشارع الخاوى قد جسدت من وحدته ٠٠

ان تلك المحطات اللعينة المعلقة فى الفضاء الخارجي للتحكم فى قوى الطبيعة ، تجرد أشعة الشمس من حرارتها وتصبها فى خزانات تدفئة المدينة اللعينة ٠٠ هو يعرف هذا جيدا لأن زوجته تعمل فى واحدة منها ٠٠

ووجد السيد نفسه قرب منعطف فجرى بفرح ٠٠ كان المنعطف شيئا بهيجا يكسر رتابة هذه الاستقامة الطويلة التى مشاها بجوار الجدران الباردة ٠٠ ووجد المنعطف يقوده الى ميدان واسع تقف فيه صواريخ متعددة ٠٠ صواريخ أكبر حجما من تلك التى تنتقل بالركاب بين الاقاليم الأرضية ٠٠ فادرك أنه فى ميدان السفر الخارجى ٠٠ فتوقف لاهثا ٠

تلك هى نهاية رحلته ٠٠ فلسوف يستغرق عبور هذا الميدان ساعات أربع أو خمس دون أن يدرى الى أين يصل به بعدها ٠٠ وسوف يكون موعد وردية العمل التالية قد حل ؟ ٠٠ أما هذه الصواريخ فلن يتمكن اليوم أبدا من السفر بها ٠٠ مع أن جده يرحمه الله مدفون فى كبسولة تدور فى ذلك الفضاء الخارجى ٠٠ وقد حجز موعدا منذ عامين لزيارته غير أن دوره فى السفر لم يأت بعد ٠٠ !



لقد أوشكت الأقساط الشهرية التى تخصم من نقوده السائلة ثمنا لزهور الكريستال التى ينوى أن يلقى بها من صاروخ الزيارة لتدور فى الفضاء الى جوار الكبسولة التى تحمل رفات جده ·· أوشكت هذه الاقساط ان تنتهى ·· ومع ذلك فلم يأت دوره بعد فى السفر ·

وضحك حينما تذكر رفات جده هذا الذى يدور فى الفضاء ·· طريقة فى الدفن أصبحت الآن بالية ؟

ففى غفلة ، أو فلنقل فى صحوة ، من زمان قديم انتبه حكام الأرض الى قيمة الانسان وأعلنوا انه صفوة مخلوقات الله على الأرض ، فقرروا الارتفاع برفاته الى السماء !

وربما ابتكر هذه الطريقة وشجع لها بعض علماء الاسكان فى عصر مضى حفاظا على مساحات الأرض التى كانت تهدر فى بناء مقابر تسكنها الديدان بعد أن تبلى رفات سكانها !

انهم الآن يبخرونهم ·· يصهرون الرفات ويبخرونها فى المباخر العامة ·· حيث تتحول الى غازات ورواسب معدنية قليلة الحجم جدا ·· يحتفظ الأهل بها ضمن ذكرياتهم ، فى زجاجات صغيرة ، تؤكد المعنى الواقعى والعلمى الذى يؤمن به هذا العصر ويقيس به حقيقة الانسان !

وفكر السيد فى مجموعة القوارير الصغيرة التى يحتفظ فيها بالرواسب المعدنية لوالده ووالدته وشقيقته ، ووجد مشقة فى أن يتذكر أين احتفظ بها ·· لكنه كان مضطرا لأن يلغى التفكير فى أى شيء ، عدا مشكلته الحالية التى أوقع نفسه فيها بنزوته ··

وانتهى به التفكير الى أن الذهاب الى مسكنه قد أصبح مستحيلا

فى ذلك اليوم ، وأن الحل الوحيد أمامه هو العودة الى حقل السبانخ الموحد .. حيث ينتظر بجوار بوابته الى الصباح .. فيدخل مع الداخلين وينتظم فى سلك العمل .. ثم يعود الى مسكنه فى اليوم التالى بالمركبة الهوائية المحددة .

وهكذا جلس حزينا على أرض ميدان السفر الخارجى .. يتطلع الى ركاب الصواريخ بحسرة .

وقد عاودته مشاعر الضيق والغضب ، فمد يده فى جيبه وأخرج حبة من حبوب البهجة ، ألقى بها فى فمه وأخذ يمتصها على مهل .. فبدأت أساريره فى الانفراج .

وعادت السيدة حرم السيد فلم تجده فى مسكنهما طبعا .. وكانت قد تعودت دائما أن تجده حين تعود من عملها الاسبوعى فى محطة القضاء على الأعاصير وتوجيه العواصف وتوليد الحرارة من الغيوم الكثيفة .. تلك المحطة التى تتولى مسئولية انضباط الجو والمناخ فى منطقة الربع الشمالى الغربى من المعمورة البشرية المقتطعة من خراب الأرض .

قالت لنفسها لعله قد زادت جرعته من تلك الأقراص السخيفة، أقراص البيرة المركزة التى يحصل عليها من صديقه دافيد .. ولعلهما معا قد نسيا نفسيهما فى جلسة القراءة المعتادة وانهمكا كعادتهما فى الاستماع الى تلك الكتب التى يحبانها .. تلك الكتب التى يعرف الجميع أنه لا طائل الآن من ورائها أبدا .. وتضايقت نوعا فان دافيد اعزب له أن ينسى نفسه كما يحلو له .. اما السيد زوجها فكيف ينسى نفسه ولم يكد يمضى على زواجهما عامه الخامس ؟ .. بل أنه حتى طفلهما الأول ، فلم تقرر اللجنة المحلية لترتيب المجتمع .. ان يولد بعد ؟!

وأدارت مفتاح جهاز الاستخبار الشخصى ٠٠ وضبطت قناته على شقة دافيد ثم أضاءته وشاهدت دافيد عاريا في صالة شقتـه يمارس رياضة الجري على السيور المتحركة فى مكانه الثابت ٠٠ لكن شاشة الجهاز لم تعكس صورة زوجها ٠٠ فأدهشها ذلك جدا ٠٠ فاذا لم يكن مع دافيد فى شقته ، فأين يكون اذن ٠ ؟!

وعادت وضبطت شاشة الجهاز على حقل السبانخ الموحد ، وهى تتساءل عما اذا كان قد حدث شىء أخره فى العمل ٠٠ لكن الشاشة المضيئة لم تعكس صورة زوجها أيضا فى مجال الحقل ٠٠

وفكرت أن تضبط الشاشة على ملهى المناقشات العامة الذى يقع فى الكهوف التحتية من بدرومات مجمعهم الســكنى ، حيث يجتمع هؤلاء الذين يقرأون كثيرا ويفكرون كثيرا ويتبادلون الحوار الصاخب كما يحلو لهم ٠٠ لكنها قالت لنفسها بغضب انها لـن تمضى امسيتها فى تبديل القنوات بحثا عنه ! ٠ ثم وضعت أصبعها بحسم فى ثقوب قرص الارقام المثبت فى جانب الجهاز وأدارته على الرقم صفر فأضاءت الشاشة على الفور بصورة موظف الاستخبارات فى المركز الفرعى لاستخبارات القطاع السكنى ، مستعدا لاجابـة استفساراتها بابتسامة مرحبة ٠٠ فاعطته السيدة فى البدء رقـم جهازها الاستخبارى ٠٠ ثم قالت ان زوجها قد تأخر تأخيرا يكـاد يكون مقلقا عن عودته المعتادة ٠٠ وان الجهاز لم يستطع ان يجده فى واحد من الامكنة التى توقعت أن تجده فيها ٠ فطلب منها الموظف رقم زوجها وعمله ، ثم رجاها فى البقاء معه على الخط لحظة ٠٠ وانقطع الصوت بينهما ، لكنها ظلت تتابع صورة الرجل وقد أخذ يجرى عددا من الاتصالات المتشابكة كانت تنعكس على التابلـوه الكبير الملىء بالاضاءات الصغيرة أمامه وعلى الشاشة الكبيرة ٠٠ ورأته يتكلم مع المدير المحلى للأمن فى المنطقة ٠٠ ومع مدير قسم

تغليف السبانخ ، ومع مدير الحركة فى مركز النقل الهوائى ، الذى استدعى قائد المركبة التى اعتاد زوجها أن يعود فيها ·· وقد تكلم الموظف معهم دون أن تسمع شيئا ، وهز رأسه كأنما يشكــرهم جميعا ، ثم عاد صوته اليها ليخبرها ان تيار الحركة العادية بالنسبة لزوجها قد انقطع عند طابور الركوب فى السيــارة الهوائية ·· ورجاها أن تتابعه وهو يواصل اتصالاته ··

ورأته وهو يضيء خريطة المناطق ، وشاهدا معا ، هو عــلى شاشته وهى على شاشتها ، باحة الركوب فى حقل السبانخ ·· وكانت خالية طبعا لكنها شديدة الاضاءة في تلك الساعة المتأخرة ·

وتحركت الصورة كأنما عيونها هى التى تتحرك وتعبر الباحة الى البوابة الخارجية الضخمة وتسير فى الشارع الواسع الطويل بين جدارى البلاستيك السميك ، فتقطعه بسرعة شديدة دون أن تلمح زوجها بين العابرين فيه ، حتى تصل الى المنعطف ، وتجد نفسها فى ميدان السفر الخارجى وهناك توقفت الصورة وأخذت تقترب ، فرأته زوجها جالسا على أرض الميدان يتطلع الى الأفق بهدوء شديد وهــو يمتص شيئا فى فمه !

اخذت حرم السيد تدقق النظر فى صورة زوجها وهى تتساءل فى دخيلة نفسها بدهشة ، حينما قاطعها صوت الموظف :

ـ سيدتى ·· هل هذا هو زوجك الذى تسألين عنه ؟!

فانتبهت واجابت بسرعة :

ـ نعم ، نعم ·· انه هو ·· ما الذى يفعله فى هذا المكان ؟!

ـ انه يبدو على سفر ·· او ينتظر أحدا قادما من سفر ·

ـ كلا ·· كلا ، ان موعد رحلته لزيارة رفات الجد فى كبسولته بمقبرة الفضاء لم يحن بعد ··

ـ هذا عجيب · هل تظنين أنه ·· أقصد ·· ربما تكونين قد لاحظت أخيرا ·· أنه لديه شيء خاص يفكر فيه ؟!

ـ كلا ·· كلا ·· مطلقا ·· لقد أمضينا عطلة الأسبوع الأخيرة معا ، وكان طبيعيا جدا ·· ولم يكن يفكر على الاطلاق ·· ؟!

قال الموظف بدون مبالاة :

ـ لا بد أنه كان يفكر دون أن تلاحظى ذلك ·· ؟

وقالت الزوجة :

ـ اسمع ···

ـ ماذا ؟ هل تذكرت شيئا ؟؟

ـ نعم ·· كنا فى زيارة للمتحف التاريخى للأطعمة البشرية فى ذلك اليوم ، وقد لفت نظره وأثار اهتمامه صنف قديم من الطعام التركى يسمى بايلضبيه ؟!

ـ ماذا ·· ؟!

قالها الموظف مستفسرا دون أن يبدى أية محاولة لاخفـــاء علامات الدهشة فى سؤاله ··

فأجابته حرم السيد بمرح :

ـ « مام بايل ضيه » أكلة تاريخية كان يفضلها أئمة الترك ·· واسمها يعنى أن الامام يأكل أصابعه وراءها من حلاوة طعمها ··

ولقد تمنى زوجى لو يتذوقها فذهبنا الى مكتبة المتحف وحصلنا على الوصفة التنفيذية لهذه الأكلة من الأرشيف ·· وقد وعدت السيد أن اقوم بطهيها له فى يوم الطعام الحر ·

وعاد الموظف يسألها باهتمام شديد :

– هل حصلتما على الوصفة فعلا من الارشيف ؟

– نعم حصلنا عليها ·· أنت تعرف أن الطهو مباح يوما واحدا فى الشهر ·· وأنهم يوفرون المواد الخام المطلوبة لهذا اليوم ·

– اعرف ·· اعرف ، ولكن ·· هل تسمحين لى ببعض التفاصيل عن هذه الأكلة التركية ·· ان علماء التاريخ يؤكدون أن المطبخ التركى قد امتد تأثيره على مساحة كبيرة من العالم القديم ·· وأنه أفسد الأجسام البشرية وجعلها أقصر عمرا ·· لا بد أنها ستكون مثيرة جدا تلك الأكلة ؟!

– انها تصنع من شرائح الباذنجان الطويل الأبيض ·· وتحشى بعصاج اللحم والزبيب والصنوبر ، ثم تقلى فى الزبد ·· أو المسلى الطبيعى ··

– ها ، ها ·· مؤكد ·· انها أكلة مثيرة ·· اسمحى لى أن أسجل الوصفة ·

واهتم موظف الاستخبارات بتدوين الوصفة التنفيذية فى ورقة جانبية ، رغم أن حديثهما كله قد تم تسجيله على شريط تليفزيونى فى كاسيت صغير من بدايته !!

وقال الموظف معلقا وهو يبتسم :

ـ يبدو أن للسيد زوجك ذوقا خاصا ·· لا بد أنه من الذين يفكرون ؟!

ثم عاد يسألها اذا ما كانت ترى فى موقف زوجها شيئا غير طبيعى ·· فترددت وكانت قد استرابت منذ بدأ يوجه لها الأسئلة ·· لعله يظن أن زواجهما قد فسد··ودق قلبها ·· فما الذى يدفع زوجها الى الجلوس وحيدا بغير أن يفعل شيئا دون أن يكون قد زهد مزاملتها ؟ ·· ورفضت بمشاعرها أن يكون ذلك هو السبب ·· فقالت للرجل بثقة :

ـ لا ·· لا أعتقد أن فى موقفه شيء غير طبيعى بالنسبة لنا ·

فرمقها الرجل على الشاشة التى أمامها بنظرة منتبهة وعـاد يسألها :

ـ هل أنت متأكدة ؟

فقالت بثقة :

ـ متأكدة ···

فقال الرجل أنه سيرسل تقريره التليفزيونى المسجل الى منطقة الأمن المركزى كما هى العادة فى مثل هذه الحالات وسوف يتولون هناك متابعة المسألة ·

وانقطع الصوت بينما رأته وهو يخرج التسجيل الصغير ، فأخذت الصورة فى التلاشى بينما الكاسيت يخرج بين أصابعه ·



وحين أصبحت وحدها ، استبد بها القلق ، فجلست هابطة الروح على المقعد الوثير تتابع على شاشة الجهاز صورة زوجها فى جلسته الغامضة ..

لقد حدثت خلال السنوات الماضية حالات من هذا النوع فى محيط معارفها أثبتت تلك المراكز للتحقيق الآلى ، أن زواجها قد فسد ، وفى مثل تلك الحالة يصدر قرار محلى بانفصال الزوجين ، ويرسلون رقميهما الى لجنة ترتيب المجتمع لاعادة تزويجهما بزميلين آخرين ؟ .. لكنها لا تعتقد أن هذا هو الأمر فى حالتهما .. فهى بالنسبة لها قد تعودت هذا الزوج تماما ، خلال السنوات الخمس التى عاشتها معه .. بل أنها كانت تنتظر بشوق قرار لجنة ترتيب المجتمع بأن يولد طفلها الأول منه .. كما أنها خلال زيارتهما لمتحف الأطعمة التاريخية كانا سعداء معا ، ولو كان قد زهدها لما اشتهى أن تصنع له ذلك الطبق امام بايلضية ، فى يوم الطعام الحر .. ويوم الطعام الحر سوف يحل بعد ثلاثة أسابيع .. وهذا معناه انه كان فى دخيلة نفسه راض عن البقاء معها خلال هذه الأسابيع الثلاثة ؟

وغمغمت لنفسها : لا .. لا يمكن أن يكون هومو قد زهدنى .. لا بد أن هناك شىء آخر قد حدث له .. وسوف يكشفون ذلك غدا لا محالة .. فى مركز التحقيقات الآلى .

ومشى السيد عائدا الى حقل السبانخ الموحد وقد خلف وراءه ميدان السفر الخارجى .

وكان الطريق طويلا جدا بين جدارى البلاستيك وهما يحدان امتداده الى بوابة الحقل الخارجية .. لكنه كان موقنا من تقديره أن الوقت الذى سيقطعه فيه ، سيؤدى به الى الوصول للحقل مع

ساعات الصباح الأولى .. وهكذا سوف يبدو دخوله طبيعيا مع أفواج الشغيلة الذين تحملهم الى الحقل وردية الصباح الأولى من السيارات الهوائية ..

وكان الليل فى منتصفه عندما بدأ رحلة العودة .. وكان المزيج الفسفورى المركب فى عناصر الجدار يشع ضوءا هادئا ينير له الطريق حقيقة لكنه لا يبعث على الدفء .. ضوء ميت فلا هو ضوء كهربائى .. ولا هو ضوء شمسى .. انما هو ضوء الذرات الكيمائية المركبة فى الجدار لتمتص ضوء الشمس النهارى .. وتعكسه ليلا ..

وكان البرد ينفذ الى عظامه من سقف الشارع الخالى مضافا اليه ذلك الضعف الداخلى الذى استولى عليه لأنه لم يتناول بالأمس وجبة عشائه المعتادة .. كما أنه لم ينم أيضا ..

وبالرغم من أنه كان يحرك ساقيه ويجر قدميه بصعوبة ، الا أن ذهنه كان صافيا جدا وقد استولت عليه مشاعر كثيرة عجيبة .. أدهشته .. أدهشه أنها كانت تشغله تماما عن الآلم المنبعث من البرد والجوع وعدم النوم .. وأخذ يفكر وهو ملتذ جدا : ها هو يشعر بالجوع لأول مرة .. ذلك الجوع الذى سمع عنه كثيرا من تلك الكتب التى تحكى حكايات قديمة عجيبة عن الناس الذين عاشوا فى زمان قديم مضى وانقضى .. زمان كان يموت فيه ناس لا يجدون ما يأكلون ، بينما جيرانهم يموتون لأنهم يأكلون أكثر مما يحتاجون .. زمان كان الناس يأكلون فيه الحيوانات والطيور وتلك المخلوقات الصغيرة الجميلة من الاسماك والدواجن .. بشراهة كبيرة كانت تؤدى بهم فى النهاية الى الموت بعد سبعين .. أو على الأكثر ثمانين عاما .. بينما الانسان الحالى يعيش فى المتوسط مائة وخمسين

تماما ، لأن النظام الصحى العام الذى تضعه ادارة الصحة المركزية وتسير عليه الادارات الاقليمية للصحة منذ سنوات كثيرة ٠٠ قد كفل للانسان الحديث ذلك ٠٠ هذا النظام الذى يعتمد أساسا على الأغذية الكيماوية والبروتين النوعى المنتج معمليا ، كبديل للحوم ٠٠ بعد أن تمكنت تلك الشعوب الهمجية القديمة ، من التهام جميع الحيوانات والمواشى والدواجن والطيور ، حتى انقرضت جميعها ٠٠ !

ولعله لولا الكفاح المضنى لعدد من علماء الطبيعة ٠٠ لما أمكن له الآن فى هذا الزمن العصرى ٠٠ أن يرى خروفا حقيقيا أو فرخة حقيقية ٠٠ فى حدائق المخلوقات القديمة ؟!

ما ابرعهم فى الأكل هؤلاء الأسلاف القدماء ٠٠ ؟! يأكلون حتى لم يبق على وجه الأرض من الحيوانات القديمة غير تلك النماذج التى امكن المحافظة عليها فى تلك الحدائق ٠٠ فكم من بلايين المليارات من أمثال تلك النماذج التى نراها فى هذه الحدائق ، قد أكلها هؤلاء الأسلاف القدماء فى تلك العصور القديمة ؟!

وتذكر بشهية مفتوحة ذلك الصنف القديم « امام بايلضيه » الذى حصل هو وزوجته على وصفته التنفيذية من أرشيف الأطعمة التاريخية وتساءل كيف كان طعمه يا ترى وهو محشو بتلك اللحوم الحية المنقرضة ٠٠ ؟!

وقال لنفسه :

ها أنذا أفعل مثلما كان يفعل هؤلاء الأسلاف حينما يستبد بهم الجوع فيشغل الطعام كل أفكارهم ومشاعرهم !

واستنكر على نفسه ذلك ٠٠ الا أنه لم يستطع أبدا أن يبعد عن رأسه صورة زوجته وهى تحشو شرائح الباذنجان الطويلة

بالعصاج المصنوع من بللورات البروتين النوعى .. وبالرغم من ضيفه لفشله فى ابعاد هذه الصورة عن أفكاره، الا أنه كان مستمتعا جدا بتلك الحالة الغريبة التي يجد نفسه فيها .. حالة الجوع والتعب .. حالة جديدة تماما لم يمارسها من قبل ، وتمنى لو كانت معه زوجته تشاركه فيها ..

منذ ساعات كان يشعر بالغضب والضيق ، حينما انتهت مغامرته باليأس فى ميدان السفر الخارجي ..

لقد قطع تيار حياته اليومى فى ذلك النهار السابق وتوقف عن ركوب مواصلته الهوائية ، لأن شعورا بالسأم قد استولى على روحه من حياته المعتادة .. الهادئة والمضمونة .. وقد مضى يقفز مرحا وسعيدا بعد أن تأكد لديه أنه حر تماما .. ومشى طويلا فى طريق لم يسبق له أبدا أن مشى فيها .. دون أن يمنعه أو يعترضه أحد فكان سعيدا .. وحينما انتهى الى ميدان السفر الخارجي وأدرك أن حريته لا فائدة فيها ، استولى عليه الضيق والغضب .

يمكنه أن يكون حرا أى نعم .. وأن يبقى ما شاء يجرى ويمشى فى تلك الشوارع والطرق .. لكنه سوف يفقد بذلك وسيلة العودة الى بيته .. والى وجباته اليومية .. وتسلياته وملابسه وزوجته وصديقه دافيد ومناقشاتهما معا .. يفقد كل شيء ويظل وحيدا دائرا فى فراغ مثل كبسولة فضائية ضائعة ؟!

لقد قرر العودة وهو يشعر بالهزيمة .. لكنه الآن وهذه المشاعر الجديدة تنتابه وتستولى عليه .. يكاد يكون متأكدا من أن مغامرته قد حققت له كسبا لم يكن يتوقعه .. اضافات كثيرة اكتسبها وضمها لمعرفته عن نفسه ..

وأحس برغبة شديدة فى أن يتحدث مع زوجته ومع صديقه دافيد عن كل هذه المشاعر ..

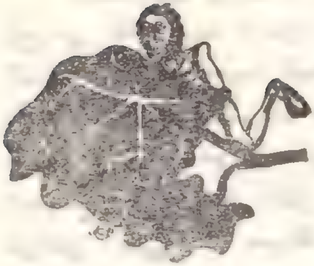
ولاحظ أنه قد بدأ يسرع في سيره ، مدفوعا بحماس غير متوقع للوصول الى الحقل فى موعده ·· بل أنه قد أخذ يجرى ·· وقد حاول أن يتصور وقع تجربته هذه على زملائه فى الحقل ·· وعلى صديقه دافيد ·· وعلى زوجته ·· فلم يستطع ·· فكان ذلك يزيد حماسه للوصول بسرعة ·· حتى يعرف ما فشل فى تصوره ؟!

ثم تذكر أنهم من الضرورى سوف يستدعـــونه الى مركز التحقيقات الآلى بمجرد وصوله الى الحقل ، للتحقيق معه ··

ترى ماذا سيفعلون به ؟!

كان ذلك أيضا شيئا يصعب عليه تصـــوره ·· ويزيد من حماسه للوصول بسرعة كى يعرفه ··

ووجد ذهنه يضاء فجأة ليدرك أنه قد عانى من السأم والضيق فى ذلك النهار السابق لأنه قد تشبع تماما ، بمعرفته بما سيحدث بعد لحظات وبعد ساعات وبعد يوم ·· تشبع بتيار حياته المألوف والمنتظم والمطمئن ··



٢ ـ اذهب فأنت حر !

كل مواطن له رقم تحتفظ تحته اللجنة العليا لادارة الاقليم ، بجميع البيانات اللازمة عن هذا المواطن ، فى الأرشيف الألكترونى الشامل •• ودائما ما يكون هذا الرقم هو نفسه رقم شهادة ميلاده ، وبطاقته الصحية ، وعنوانه السكنى •• وكارنيه العمل الخاص به •• وبطاقته التموينية •• وهو أيضا رقم جهاز الاستخبارات الشخصية المركب فى مسكنه •• بل أنه ـ حسب النظام القديم الذى تطالب بعض المناقشات الاجتماعية حاليا بتبديله ـ يكون هو أيضا رقم السيدة حرمه •• !

رقم موحد يجعل من السهل الحصول على جميع المعلومات اللازمة عن هذا المواطن فى عدد محدود من الثوانى ••

وهكذا فان موظف الاستخبارات فى ذلك القطاع السكنى الذى يقع فى نطاقه بيت السيد ·· قد أخرج من جهازه الاستخبارى العام ·· ذلك الكاسيت الصغير الذى يضم التسجيل التليفزيونى ، المحتوى على ابلاغ السيدة حرمه عن غيابه ·· مضافا اليه ذلك البحث الذى قام هو به ، فى ملهى المناقشات العامة ، وفى حقل السبانخ ، وفى مركز النقل الهوائى ، وأقوال المسئولين عن هذه المرافق ، حتى أمكنه معرفة اللحظة التى توقف عندها تيار حياته اليومى المعتاد ·· بل والعثور عليه جالسا فى ميدان السفر الخارجى ·· ثم نظر فى الورقة التى دون فيها رقم البلاغ وكان فى نفس الوقت رقم جهاز السيد الاستخبارى ، ودق على بروز جانبى صغير أمامه ، بضع دقات قصيرة ، خرج بعدها الرقم مطبوعا على شريط لاصق ، اداره حول الكاسيت فاغلقه بأحكام ·· ثم استدار بمقعده الدائر ، ليواجه صفوفا متوازية من الادراج الالكترونية المستخدمة فى النقل بين الادارات ، وفتح الدرج الخاص بمنطقة الأمن المركزى والقى بالكاسيت فى داخله ، ثم جذب ذراعا محركا فصدر عن الدرج صوت الزوبعة المكتوم ، ذلك الصوت المعتاد الصادر عن التيار الهوائى الموجه ، الذى يشفط الكاسيت وينقله على مسافة ستمائة ميلا أو أكثر حيث يوجد موظف الاستقبال فى منطقة الأمن المركزى على مقعده المواجه لمجموعة من الادراج المماثلة ·

وما كاد التسجيل المحتوى على البلاغ والتحقيقات الملحقة به يصل الى موظف الاستقبال فى منطقة الأمن ، حتى دون رقمه فى دفتره ، ثم أجرى اتصالا بمنطقة العقل الالكترونى الشامل طالبا تحويل الملف الخاص بذلك الرقم الى مركز التحقيق الآلى التابع لمنطقة حقل السبانخ الموحد ، ثم قذف بالتسجيل فى الدرج الخاص بمركز التحقيق فى تلك المنطقة ، وجذب ذراعا فصدر عن الدرج

صوت التيار الهوائى الشافط ‥ وفى اللحظة التى وصل فيها التسجيل الى منطقة الأمن ، كان الملف المحتوى على جميع البيانات المتعلقة بالسيد ، قد وصل أيضا الى المنطقة ٠

ولا يستطيع السيد مهما ذهب به الخيال أن يتصور ، مدى الضجة التى أثارها ابلاغ السيدة زوجته ، فى منطقة الأمن المركزى ‥ فبعد أن استمعت اللجنة المختصة بالبحث فى مثل هذه المسائل الى التسجيل ، وشاهدت صورة السيد وهو جالس على أرض ميدان السفر الخارجى ‥ بعد هذا كله ، قررت ان تعرف أولا ، ماذا حدث للسيد بعد جلوسه فى ميدان السفر ‥

واتصل عضو اللجنة المسئول والذى هو فى نفس الوقت ممثل النظام العام بموظف الاستخبارات العامة ، وطلب منه ، توصيلهم بصورة السيد فى الميدان ‥

وتحركت الخطوط الطولية والعرضية على الشاشة لحظة ، ثم ظهرت صورة الميدان ، لكن المكان الذى كان يجلس فيه السيد ظهر خاليا ‥ وطلب موظف الاستخبارات من السادة أعضاء اللجنة البقاء معه على الخط ، وأدار أزرار العيون المتابعة فى جهازه الضخم ، فظهر المنعطف ، ثم الشارع الطويل بين جدارى البلاستيك ، ثم مدخل ساحة الركوب فى حقل السبانخ ، ثم الطوابير الخمسة الطويلة لشغيلة وردية الصباح الأولى وهم يغادرون المركبات الهوائية فى طريقهم لمراكز عملهم داخل الحقل ، وقد ظهر السيد بينهم ‥ وكان مظهره مشعثا ، وقد بدا عليه الذبول فمضى أعضاء اللجنة يحملقون فيه كأنما يفحصونه ٠

وكان احدهم يمثل الادارة الفرعية للصحة العامة ، والثانى يمثل ادارة العمل ، والثالث يمثل ادارة الأمن المركزى ٠ ويجب

التنويه هنا بالحاح شديد الى أن هذا الأخير دوره سلبى ·· لا يتعدى تسجيل المناقشة ومتابعة تنفيذ القرارات التى تتوصل اليها اللجنة من مناقشاتها ·· وقد تدخل قائلا انه يعتقد أن المسألة لا تعدو ان تكون حالة مشابهة لعديد من الحالات التى مرت عليه من قبل ·· وهى أن السيد قد فسدت علاقته بزوجته ·· فلم يعد يرغب فى العودة الى مسكنه حيث يجدها دائما بحكم حياتهما معا ·· بدليل انه بعد أن أمضى الليل فى ميدان السفر ·· قد عاد الى عمله فى الصباح كعادته ··

وقال مندوب ادارة العمل ·· ان السيد يقوم بكفاءة منتظمة بعمله المعتاد ·· وجميع تقاريره جيدة ·· وحالته العامة فى الحقل توحى بالثقة ·· وليست له مشاكل فى العمل على الاطلاق ··

فعاد مندوب الأمن ليأخذ من كلام مندوب العمل دليلا جيدا على صحة رأيه ·· ثم قال ان المسألة لا تستحق منهم كلجنة ·· أكثر من ارسال قرار الى لجنة ترتيب المجتمع ·· للنظر فى اعادة زواج السيد وحرمه من زميلين آخرين ؟

لكن مندوب الصحة العامة رفض التهوين من المسألة ·· وقال انه قد لفت نظره فى بلاغ السيدة حرم السيد ·· وفى الملفات الخاصة به ·· اهتمامه الشديد بالمسائل التاريخية ·· الشىء الذى تشاركه فيه زوجته ·· مما ينفى بادىء ذى بدء ، فكرة تنافرهما ·· فقد ثبت انهما يمضيان أجازاتهما معا فى متاحف الاطعمة والملابس التاريخية ·· وحدائق المخلوقات القديمة ·· بل انه قد زكى لهما طلبا منذ شهرين موقع عليه منهما معا ، الى لجنة ترتيب المجتمع ·· يطلبان فيه السماح بتقديم موعد الاذن بمولد طفلهما الأول ، مدة سنة ، باعتبارهما قد تفوقا على الدرجات المحددة للشغيلة فى الخطة الانتاجية الثامنة ··

ثم استطرد : بل اننا لا نستطيع ان نغفل ، حصولهما المتكرر على وصفات تنفيذية من أرشيف المتحف التاريخي للاطعمة ، يقومان بطهيها معا في يوم الطعام الحر .. كدليل يؤكد ملاحظتي عن ذلك الاهتمام الشديد ، بالمسائل التاريخية ، الذي يشتركان فيه معا .

وهنا قال مندوب النظام العام في ثقة :

انى أشم في هذا الكلام رائحة اشتباه في وجود أنحراف نفسي تخلفي .. والظاهر أن هذه الحالة مثلها مثل تلك الحالات التي أخذت في الظهور ، خلال السنوات الأخيرة ...

انى أرجو أن نطلب السيد لفحصه والحديث معه ..

فهز الجميع رؤسهم بالموافقة .

وكان السيد قد جلس على مقعده الوثير في موقعه بحقل السبانخ ، يدير عن طريق الذراع الالكتروني آلة الحصاد اللولبية التي تجمع أوراق السبانخ الخضراء عن عيدانها ، وترتبها في أكياسها الضخمة .. عندما أضاء النور الأحمر في لوحة التعليمات امامه ، وقرأ على شريطها السيليلويد تلك العبارة :

« السيد مطلوب للأستجواب في مركز التحقيقات الآلى » !

ولم يكن قد سبق للسيد أن استدعى لتحقيق ما ، او استجواب من اى نوع .. وكان مشوقا جدا جدا لمعرفة كيف تتم هذه المسألة التي سمع عنها ذات مرة خلال مباريات الكلام الرافض ، في ملهى المناقشات العامة .. وكان المتكلم على العموم يسخر من تلك الوسيلة . ومن النتيجة التي تنتهي اليها اللجنة التي تقوم

بها دائما ، وهى اعتبار الحالة الواقعة تحت الاستجواب ، حالة ضمور زواج ، فتصدر قرارها دائما باستبدال الزوجين ؟! ··

فمن وجهة نظر النظام العام ، فان فكرة العقاب قد انتهت نهائيا من المجتمع حيث أن جميع مبررات الجريمة قد انتفت وانقرضت ·· واصبح ما يمكن أن يحدث مجرد خطأ ، خطأ يجب معالجته وليس معاقبته ·· بل أنه حتى هذا الخطأ فهو نادرا ما يحدث ، لأن النظام قد أحكم ادارته لكل شيء ·· !

وهكذا تضيع جميع محاولات لجان التحقيق الآلى فلا تحصل على أية مدلولات تكشف عن قصور ما أو خلل ما ، فى النظام ، ·· فلا تملك الا أن تجد الخلل فى الأشخاص أنفسهم ؟! ··

كان السيد يعرف هذا جميعه ، لكنه لم يكن يعرف أين يقع مركز التحقيق الآلى هذا ··· وقد أتصل تليفونيا برئيسه المباشر وسأله ، فأخبره بأنه ليس بحاجة للذهاب الى المركز العام للتحقيق الآلى ·· فهناك فى مبنى الادارة الملحق بالحقل ، غرفة فرعية على اتصال مباشر بهذا المركز ·· رغم طول المسافة بينهما ··

وقد تمكن السيد من العثور على موقع تلك الغرفة حينما تطلع قليلا فى الخريطة المضاءة بمدخل مبنى الادارة الجزئية لحقل السبانخ الموحد الذى يعمل به ، وحينما ذهب الى هناك استقبله الموظف المختص بحماس وقاده فورا الى مقعد وثير يسمح بالتمدد والاسترخاء ، فى وسط الغرفة تماما ، فى مواجهة نصف دائرة من الشاشات الضوئية ··· وكانت للمقعد امتدادة سفلية رخوة ·· كفيلة بأن تحتضن قدميه وتريحهما ، لكن السيد لم يستعملها ، فجاء الموظف المختص وطلب منه بأدب أن يريح قدميه عليها ··· وأفهمه أن ذلك سيكون ضروريا خلال عملية الاستجواب الآلى ؟ ·

ثم سأله الموظف ان كان يحب أن يتناول شيئا من عصير الفاكهة أو القهوة المركزة قبل أن يتصل باللجنة ويخبرها بوصوله ، فأومأ له السيد شاكرا ·· فطلب منه الموظف الاسترخاء التام والاستماع فقط ·· أما الاجابات فليس مطلوبا منه النطق بها ·· لأن الذبذبات التى تصدر عن حرارته الجسدية فور انفعاله بالاسئلة ، سوف ينقلها ذلك المعقد المجهز الى أعضاء اللجنة عن طريق العديد من الأجهزة الالكترونية المركبة فى المقعد نفسه ، وفى الأرض وفى الجدران ، بل وفى سقف الغرفة نفسها ···

وهكذا ضغط الموظف زرا وجذب ذراعه ·· فأضيئت الشاشة الكبيرة النصف دائرية فى مواجهة المقعد ··· وامتلأت الغرفة بأصوات اللجنة المكونة من مندوب الصحة العامة ·· ومندوب ادارة العمل ، ومندوب الأمن المركزى ·· يقود مناقشاتهم مندوب النظام العام ·· ثم بدأت تظهر صورتهم على الشاشة الدائرية أمامه وهم يتطلعون الى صورته على شاشتهم ويرحبون به ···

قال مندوب النظام العام :

مرحبا بك أيها السيد فى اجتماعنا الصغير الذى نأمل أن نخرج منه وقد أمكننا الوصول الى مصدر ذلك الخلل غير المتوقع ، الذى أصاب جهازك النفسى ، فخرج بك عن تيار حياتك اليومى المعتاد ···

وقد دلت الذبذبات على شاشة التحليل أمام اللجنة ، على أن انفعال السيد بهذا الكلام يعبر عن الضيق ·· فقد قال فى نفسه ، اى خلل ذلك الذى يتحدث عنه هؤلاء السادة المحققون ؟ ·· لقد أردت فقط أن أتصرف مرة ، بطريقة عفوية ·· على سجيتى ·· !

وقد لاحظ مندوب الصحة العامة ذلك التعبير فى عينى السيد ·· تعبير غير مألوف ···

... فضغط على زر أمامه ·· وجذب ذراعـــا ، فاقتربت العين المقربة ·· وقدمت على الشاشة أمامهم وجه السيد فقط ·· فصاح مندوب الصحة العامة فى زملائه :

ــ انظروا ·· انظروا فى عينيه ، انها نفس العيون ·· انها تشبه جميع العيون فى الحالات السابقة ·· دققوا فيهـا النظـر جيدا ·· ترى ماذا يدور فى رأس هذا الرجل ؟!

وحملق باقى الأعضاء وهم يتبادلون النظرات فيما بينهم ··

كانت العينان تلتمعان ببريق غريب ·· لم يألفه أحـد ·· مزيج من الترقب أو الانتظار والتحدى واليأس والتعب واللذة ·· خليط عجيب من الاشعاعات مشابه تماما لذلك الذى تنقله اليهم الذبذبة الانفعالية على شاشة التحليل ···

وقال مندوب ادارة العمل أن هذا التعبير شديد الشبه بتلك التعبيرات التى تشاهد فى عيون البشر القدماء الذين يظهرون فى أفلام الارشيف السينمائى ، التى تعرض أحيـانا فى التليفزيون لتسلية المواطنين المعاصرين بالحياة العجيبة التى كان يحياها الأسلاف فى القرن العشرين وما تلاه ·· ذلك التعبير المحتوى على القلق والتحفز وكأنما الشخص ينتظر أو يتوقع حدوث شىء خطير لا يحدث أبدا ·· أو يحدث فجأة !!

وقد انفعل منـدوب النظام العام باعتباره مسئولا ، ورفض ذلك بشدة ·· قال :

ــ من غير الممكن أيها السادة الزملاء أن يعود ذلك التعبير القديم الى عينى الانسان المعاصر ، فليس لذلك الآن ما يبرره · فقد كان الانسان القديم يعانى من الجوع ، ومن الكبت ، ومن القهر الاستغلالى والحروب المتعددة ·· وكانت أمامه لا تزال ، مثـل

عليا كثيرة وأهداف يسعى بنجاح أحيانا ، وباخفاق فى أحيان أخرى ، لتحقيقها ...

أما الآن فكل شيء قد تحقق له ...

ان مسيرة تلك القرون من الاستخدام الحضارى للالكترونات وتطوراتها ، قد وصلت بالانسانية الى نظام عام لتوزيع العمل والطعام والدفء السكنى والتعليم والفن والكماليات الوفيرة .. وقد أمكن القضاء على جميع الميكروبات ، وأسباب الحروب السخيفة .. وأمكن تنظيم عمليات الوفاة والولادة .. وأصبح الانسان حرا بكل ما تحمله تلك الكلمة من معان متسعة .. فلم يعد النظام العام الذى يدير الحياة فى المعمورة الآن ، فى حاجة الى نوع من أنواع الرقابة أو المباحث أو المخابرات ، لمراقبة الناس وضمان تصرفاتهم .. ان كل شيء قد أصبح يدار باحكام شديد .. وجميع النتائج والثمار ، توزع على المواطنين رخاء ورفاهية ، بطريقة عادلة .. وهكذا أصبح الانسان حرا .

كان مندوب النظام العام يتكلم بحماس وثقة بينما الأعضاء الثلاثة الآخرون يستمعون بتمعن .. وقد التفت تجاه الشاشة التى يظهر عليها وجه السيد وسأله قائلا :

ـ أليس ما أقوله صحيحا أيها السيد ؟

ألم يصل الانسان فى هذا القرن الذى نعيشه الآن ، الى كل ما كان يحلم به من اصلاحات اجتماعية ؛ كان يتصورها فى الزمن القديم مستحيلة .. ؟!

ألم يصبح حرا تماما بكل ما تحويه من معانى كلمة الحرية ..؟

وفوجئت اللجنة بأن السيد الجالس على مقعد الاستجواب يبتسم ...

وترجم لهم الشريط الآلى أفكاره ٠٠ كان يقول لنفسه :

ـ اذا كان ما تقوله صحيحا ، أيها السيد مندوب النظام ٠٠ فلماذا اذن تجلسوننى الآن أمامكم هنا ؟!

توترت عضلات مندوب الأمن المركزى وحاول الكلام ٠٠ فتعثر ٠٠ كان مندهشا من ذلك التساؤل الذى دار فى نفس السيد ، ذلك التساؤل الذى يحمل معنى التشكيك فى الحرية الفضفاضة التى أصبح يتمتع بها الانسان المعاصر ٠٠ انسان عصر العسل ٠٠ !

لم يكن يتوقع أن يكون هناك فى كل أقاليم المعمورة الأرضية الجديدة مواطن واحد يساوره الشك فى ذلك ٠٠٠

وقد استطاع أن يغالب المفاجأة ، ويجمع الكلمات وينطقها ٠٠ وسمع السيد فى مقعد التحقيق الوثير الذى يساعد على الاسترخاء والتأمل والتفكير ، صوت مندوب الأمن المركزى يملأ عليه الغرفة قائلا :

ـ ايها السيد ، ان وجودك الآن على مقعد الاستجواب لا يعنى أبدا أنك ناقص الحرية ٠٠ أو أن الحرية الفضفاضة التى يتمتع بها الانسان المعاصر ، حرية كاذبة أو مزيفة ٠٠ انما يعنى ذلك ببساطة أنك قد خرجت عن النظام اليومى المعتاد والمرسوم بدقة لجميع الشغيلة فى الحقل الرابع الموحد لانتاج أوراق السبانخ الخضراء ٠٠ وأنت حر طبعا فى أن تخرج عن ذلك النظام المرعى كما تشاء ٠٠ وقد كان ممكنا أن تظل أسبوعا أو أكثر حسبما تريد ، تتجول بحرية فى ميدان السفر الخارجى والشوارع المحيطة به ٠٠ وكانت أجهزة الانذار كفيلة بأن تنذر رئيس القسم الذى تعمل فيه داخل حقل السبانخ ، بعدم وجودك فى موقعك قبل أن

تدور الآلات فى وردية الصباح الأولى ·· وكان هو أيضا كفيلا طبعا بالتصرف فورا ليحل أحد الشغيلة الآليين مكانك ·· وما كنا لنستدعيك الى هنا أو نوجه اليك أية أسئلة ، لو لم تعد أنت بنفسك الى موقعك فى الحقل ·· !

كان مندوب الأمن المركزى يتكلم بايمان صادق وهو منفعل جدا ·· وكأن شرفه الخصوصى مهـددا أو مشكوك فيه ·· وحين توقف ليلتقط أنفاسه ، انطلق مندوب الصحة العامة يتابع حديث زميله ويؤكده ، ورأى السيد وجه المندوب يملأ الشاشة نصف الدائرية وهو يقترب منه قائلا فى تأكيد :

ـ اننا أيها السيد انما نجتمع بك اليوم لصالحك ·· اننا فقط نريد أن نعرف ذلك الخلل الذى أصاب جهازك النفسى ، وجعلك تتصرف بهذه الطريقة غير المنضبطة ، لنعالجه ونعالجك ···

ولم يتمالك السيد نفسه ·· فجمع عضلاته المسترخية فى مقعد الاستجواب الوثير ، وتناسى تلك الامتيازات التى أخبره بها موظف غرفة الاستجواب والتى تعطيه الحق بأن لا ينطق ، انما يستمع فقط ·· وانبرى يقول غاضبا وهو يلوح بيده لتلك الوجوه التى تطل عليه من الشاشة نصف الدائرية أمامه :

ـ أيتها اللجنة الموقرة ·· ليس هناك خلل أو مرض ·· كل ما هنالك أننى تصرفت بطريقة عفوية ·· على سجيتى ·· أليس من حقى أن أتصرف مرة بطريقة عفوية ·· على سجيتى · ؟؟

شهق مندوب النظام فجأة باندهاش ، بينما أخذ مندوب الصحة العامة يزدرد لعابه ، وقال مندوب ادارة العمل :

ـ هذا ليس تصرفا عفويا أيها السيد انما هو نزوة ·· والنزوات ضد الانضباط ·· هى خروج على الانضباط ·· وأى

خروج على الانضباط ·· يهدد النظام العام فى الصميم ·· ولهذا يجب المبادرة بتقصى الدوافع خلف هذه النزوة ومعالجتها ، حتى لا تتكرر ···

فالنزوة تخلف شعورا باللذة ·· واللذة تغرى بالتكرار ·· !

ورأى السيد ابتسامة باردة تتراقص فى زاوية فم مندوب النظام وهو يضيف قائلا :

ـ هذا طبعا هو واجبنا نحوك · ما دمت قد عدت الينا ·· !!

وتذكر السيد ما كان يسمعه فى ملهى المناقشات العامة من المتكلم جون ، والمتكلم فيكتور ، والمتكلم ولى الدين ، ومن صديقه دافيد ؛ ومن الكثيرين غيرهم من المتكلمين فى ملهى المناقشات ·· فالظاهر أنهم كانوا جميعا على حق حينما كانوا يؤكدون أن الانسان المعاصر قد فقد نهائيا تلك الصفة التى كانت تسمى فى الماضى ، حرية الانسان الشخصية وقال لنفسه : ها أنت ذا دون هؤلاء المتكلمين جميعا توجد فى نزاع مباشر مع مندوبى السلطات القيادية للنظام ، حول هذه القضية الحيوية ·· ولعل الأمر لم يخل من احساس تاريخى بالبطولات المعارضة القديمة ، فقد كان ميل السيد للأمور التاريخية ميلا حقيقيا ·· وقد تأكد مندوب الصحة العامة وباقى أعضاء اللجنة من ذلك فعلا حينما نقلت لهم لوحة تحليل الذبذبات ترجمة لمشاعره وأفكاره ·· بينما كان يلوح بذراعه فى وجوههم صائحا :

ـ أيها السادة انكم تقتلون الأحاسيس الخلاقة فى المواطنين ·· انكم تقتلون الحرية الشخصية داخل فكرة الانضباط ·· وتمنعون النزوات ، وتعوقون الخيال الانسانى المقدس عن الانطلاق الجامح الذى تولد منه العبقرية الخلاقة ···

وهنا ابتسم مندوب النظام وأخذ يلوح بأصبعه الأنيق محذرا وهو يقول :

– اهدأ أيها السيد فان انفعالك يخفى عن عقلك الكثير من الحقائق .. فأنت تنسى أن جميع العبقريات المطلوبة للخطة الانتاجية للمعمورة الأرضية على شمولها ، تولد حسب الطلب فى المعامل .. عبقريات متنوعة وخلاقة فى العلوم والفنون والهندسة والرياضة .. تقوم على أكتافها فعلا أعباء النهضات والتطورات الحديثة فى المعمورة الأرضية ، بل وتضع الأساس الآن فى الفضاء الكونى ، لانشاء المعمورات البشرية فى بعض الكواكب المجاورة لنا !

وصاح السيد فى تحد :

– انها عبقريات مزيفة .. عبقريات صناعية مختلقة وباردة ، لا انسانية ...

هذا التزاوج المعملى الذى تقومون به فى الأنابيب ، بين العناصر الوراثية المتمايزة ، ينتج مخلوقات لا انسانية .. انه فعل غير انسانى .. ان معظم المتكلمين فى ملهى المناقشات العامة يعترضون على ذلك ويتكلمون فيه كثيرا ..

ان الدم واللحم ضروريان .. ان البشرية ضرورية .. !!

وتدخل مندوب ادارة العمل مقاطعا السيد بقوله :

– أنت تردد تلك الشعارات الكبيرة المجوفة التى يطلقها هؤلاء المتكلمون فى ملاهى المناقشات العامة .. لكنك تلاحظ أن هؤلاء المتكلمين الذين يمضون كل أوقات فراغهم وراحتهم يتبادلون تلك الشعارات المجوفة كالبالونات .. هم انفسهم أكثر الناس انضباطا ، وأسرعهم فى الاستجابة للقواعد الموضوعة داخل النظام

.. القواعد المرعيـــة .. لأنهم يدركون جميعا أن النظـــام ضد التخلف .. انه عجلة التقدم وقانون المحافظـــة على كل مكاسب النوع الانسانى .. وهكذا ترى أيها السيد أنك قد خدعت فى تلك الشعارات ، فتبنيت قضية خاسرة لتدافع عنها فى مواجهتنا ؟

فصاح السيد منفعلا :

ـ أنا لا أدافع عن قضايا خاسرة .. ولم أخدع .. أنـــا أعرف جيدا ما أتكلم عنه ..

انتى أدافع عن حريتى ؟!

وحلق فى الغرفة فوق رأس السـيد صـوت مندوب النظام العام متسائلا :

ـ أية حرية أيها السيد تلك التى تدافع عنها .. ؟

انك لو شئت الدقة ، لا تدافع عن الحرية وانما تدافع عن التخلف .. لأنك تدافع عن الفوضى !

انك تعتبر تصرفك العفوى هذا نوعا من الحرية وهذا خطأ شديد تقع فيه ، ومن واجبنا أن نصححه لك .. فلو أننـا أطلقنا الحرية لكل مواطن كى يتصرف على سجيته ، وكما يحلو له ، لانفتحت فى النظام آلاف الثغرات تدخل منها كل عيوب البشرية القديمـــة وأمراضها التخلفية التى خلصها النظام منها .. مثل الاهمـــال والفوضى والمكروبات الأخلاقية بأنواعها ابتداء من الكسل والاهمال والكذب الى الرشوة والاختلاس والخيانة ...

وكما قال الزميل مندوب الأمن المركزى ، أحب أن أؤكـد لك ، بصفتى قائدا لهذه اللجنة ، اننا لا يمكن ابدا أن نبقيك هنا برغم ارادتك .. وأننا نوجه لك الأسئلة لأنك عدت .. وعودتك تعنى رغبتك فى الاستمرار معنا ...

لكنك لو كان يخالجك أدنى شك فى حقيقة هذه الرغبة كما يظهر أمامى الآن على جهاز تحليل ذبذباتك الانفعالية ، فيمكنك أن تنهض وتنصرف فورا محملا بكل حريتك تنطلق بها كيف تشاء فى المعمورة على اتساعها ٠٠ دون أن يستوقفك أو يوجه اليك الأسئلة أحد ٠

كان واضحا أن قائد اللجنة الفرعية لمباشرة التحقيق الآلى مندوب النظام ، يتكلم باخلاص صادق ٠٠ شعر السيد معه أن وجوده على هذا المقعد الوثير فى تلك الغرفة الفرعية للتحقيقات الآلية التابعة لحقل الاستنبات الضوئى الموحد لانتاج السبائخ رهن بارادته هو فقط ٠٠ وأن باستطاعته فعلا أن ينهض فورا محملا بكل حريته وينصرف ٠٠ بل أن خلايا مخه المختصة بتنبيه العضلات الجسدية قد أوشكت أن تصدر أوامرها لساقيه بالنهوض ٠٠ عندما ملأ الغرفة حوله صوت مندوب النظام وهو يقول :

– تمهل أيها السيد وانتبه جيدا لموقفك ٠٠ فانه ليس من العدل أن تتخذ قرارا مصيريا كهذا فورا ٠٠ عليك أن تفكر فترة معقولة قبل أن تقرر ٠٠ ومن واجبنا أن نتيح لك ذلك ٠٠ كما أنه يبدو لى أن هذا الذى أسمعه الآن هو جرس الغذاء يدق ٠٠ فلنتوقف ساعة ، وبعد الغذاء نلتقى وتكون قد قررت ٠

وانفرج وجه مندوب النظام المحدد الملامح جدا ٠٠ عن ابتسامة ودودة فعلا ٠٠ لكنها خالية من الحرارة ٠٠ وقال للسيد وهو يفسح المجال فى الشاشة لوجوه أعضاء اللجنة الآخرين :

– غذاء شهيا أتمناه لك ٠٠

وردد الأعضاء الثلاثة خلفه دون قصد ٠٠ وبمجاملة حقيقية :

– غذاء شهيا نتمناه لك ٠٠٠

وحين خلت الشاشة الدائرية من وجوه قائد اللجنة وأعضائها بقى السيد يحدق شارد اللب فى ذرات المغنسيوم وهى تتجمع فى شكل قمعى منسحبة من الشاشة المضيئة حتى تصبح نقطة صغيرة ملتمعة فى بؤرة الشاشة المظلمة .. تنطفىء بعد قليل ...

وفى شرود سمع السيد صوتا مهذبا من خلفه يقول له بلطف :

ـ هيا يا رجل السبانخ ... ان لديك ساعة واحدة فقط للأكل .. والتفكير .. واتخاذ القرار ..

وانتبه السيد لموظف غرفة التحقيقات ، وكان قد نسيه تماما رغم وجوده معه فى الغرفة طوال الوقت ، بسبب انشغاله بهؤلاء المحققين الذين يبعدون عنه بأجسامهم آلاف الأميال .. !

وتضايق السيد لأن هؤلاء الأشخاص قد سيطروا على عقله لهذه الدرجة المؤسفة طوال الوقت الذى أمضاه فى مناقشتهم ، فلم يشعر بوجود هذا الرجل الجالس خلفه ونسى وجوده .. انه فعل خسيس جدا أن ينشغل الانسان بأى شىء مهما كان ، لدرجة أن ينسى وجود انسان آخر .. ؟!

كان موظف غرفة التحقيقات ، الممتلىء الجسم نوعا ، اللامع العينين بذلك النوع من الرضا والالتذاذ بالحياة ، يتأمل السيد بنظرة تعاطف لا تخلو من بعض الدهشة وقال له :

ـ هيا لتأكل شيئا يعينك على التفكير ...

فنهض السيد من مقعده وقد بدأت وطأة الاحساس بالجوع تثقل عليه فجأة ، فهاهو موعد الوجبة الثالثة قد حل دون أن يتناول وجبتيه السابقتين .. العشاء فى مسكنه الذى لم يعد اليه بالأمس ،

والفطور المجهز فى مطابخ السيارة الهوائية التى تنقله الى عمله ، ينزلق ساخنا داخل الانابيب المتحركة ، حتى يصل اليه فى كبسولته التى لم يركبها أيضا صباح اليوم .. وقال السيد بصوت واهن :

– هل يتحتم أن أعود الآن الى موقعى فى حقل السبانخ لكى أجد طريقى المعتاد الى مطعم الحقل .. ثم آتى الى هنا بعد ذلك .. ؟!

لكن موظف التحقيقات ابتسم قائلا :

– ان لدينا طعاما هنا أيضا ..

وكان الموظف قد أغلق مفاتيح الشاشة الضوئية وأوقف آلات نقل الذبذبات .. وقاد السيد من ذراعه الى باب جانبى من الزجاج الملون يفضى الى حديقة صناعية فى شرفة مغطاة بالبلاستيك السميك الشفاف الذى يشع ضوء الشمس ويمتص حرارتها .. ورأى السيد فى الشرفة مائدتين مثلثتى الشكل تحت الأشجار وحولهما ستة مقاعد .. لكن الموظف تجاوز المائدتين وهو يقوده الى جانب من الشرفة يعبر به فى مقطع عرضى من تجويف فى الحائط ، أنبوب زجاجى واسع يضم وجبات الغذاء الساخنة .. توقفا أمامه فتوقف الأنبوب المتحرك ، وارتفع غطاءه تلقائيا ، فتناول الموظف وجبة ناولها للسيد ثم تناول وجبته وابتعد فانغلق غطاء الأنبوب وعاد يواصل حركته حتى دخل فى الحائط .. وقال الموظف وهو يتجه الى المائدة حاملا طعامه :

– لقد اضافوا أنابيب الغذاء الساخن الى هذه المراكز الفرعية للتحقيقات الآلية فى الأعوام الثلاثة الأخيرة بعد أن تكررت

ظاهرة انقطاع تيار الحياة اليومى هذه فى الكثير من المناطق ...

وغمغم السيد وهو يسرع بالجلوس الى المائدة :

ـ حقا ؟ هل يأتى الكثيرون الى مثل هذه التحقيقات .. ؟

ودون أن ينتظر الاجابة ، بدأ فى التهام طعامه .. وأخذ الموظف فى تناول طعامه هو أيضا ولكن بصمت ، وهو ينظر الى السيد الذى يأكل بشراهة .. كانت تلك من الحالات الفريدة التى يحب أن يتأملها .. أن يرى جائعا يأكل بشراهة .. وهم جميعا يجيئون جوعى بعد أن يتوقف تيار حياتهم اليومى عن مساره المعتاد والمرسوم ، فيفقدون الطريق الى أنابيب التغذية ، ويعودون الى هنا للاستجواب ! ..

وكان السيد قد انتهى من ابتلاع طعامه ، ومسح فمه وأصابعه ، وتراجع بظهره الى ظهر المقعد واسترخى عليه .. فقال له الموظف :

ـ أرجو ان يكون فى خبرتى بهذا النوع من التحقيقات شىء يفيدك فان موقفك يجعلنى متعاطفا معك .. ؟

وأجاب السيد بابتسامه ودودة وهو يغمغم :

ـ فى الحقيقة لا أدرى كيف تأزمت الأمور الى هذا الحد .. لقد ظللت ملتزما طوال السنوات الماضية بمنهاج حياتى المرسوم بدقة ، دون أن أتصور أن ذلك أمر مفروض على ، الى أن استغرقنى التفكير لحظة خاطفة فتلكأت فى طابور العودة ولم الحق بالسيارة الهوائية ... لكننى فى الحقيقة قد وجدت سعادة فيما حدث .. !

ـ أعرف .. أعرف .. لابد أنك قد شعرت بالسعادة . أو باللذة .. ليس هذا مهما الآن .. المهم هو أن تقول لهم لمـــاذا حدث ذلـك .. لابد أن تخبرهم بالسبب وتنهى هـــذه القضية السخيفة ، لتعود الى حياتك المألوفة ...

قال السيد :

ـ ليس لدي سبب أخبرهم به...

وقال الموظف بحماس :

ـ يجب أن تجد سببا .. لابد أن يكون هناك سبب لمثل هذه الحوادث غير المتوقعة ..

ـ ليس هناك سبب أعرفه وأخفيه .. صدقنى حين أقول لك ذلك ...

قال الموظف بيأس :

ـ اننى أصدقك .. اننى أصدقك .. ولكن من الضرورى أن يكون هناك سبب .. فان لم تجده ، فاننى أخشى أن يجدوه هم .. أو يخترعوه اختراعا .. ؟

ونظر السيد باهتمـــام الى موظف الاستجوابات وكأنمـــا يستوضحه .

وقال الموظف :

كما يحدث عادة فى مثل هذه الحالات ، فانهم سوف يعتبرون الأمر سأما من شريكتك فى الزوجية !

وقال السيد :

ـ لا أظن ان اللجنة بهذا المستوى من الحماقة .. أو من الرغبة فى كلفتة الأمور .. انهم يبدون جميعا طيبون ، ومخلصون فى عملهم ..

ـ هذا صحيح .. ولهذا السبب نفسه فانهم مستعدون للاستمرار في هذا التحقيق ، شـــهورا طويلـــة الى أن تقنعهم أو يقنعونك .. وطوال تلك الشهور طبعا لن يسمحوا لك بالعودة الى حقل السبانخ .. ولن يسمحوا لك بممارسة أى عمل آخر .. الى أن يصل التحقيق الى نتيجة .. !

وسأل السيد بانزعاج :

ـ يمنعوننى من العمل .. ؟!

ـ طبعـــا لن يتأثر بذلك راتبك من السيولة النقدية ، ولا كوبونات الأسواق التبادلية التى تحصل بها على أنواع الكماليات التى تنتج فى الربوع الاخرى من المعمورة .. انهم فقط يمنحونك أجازة تتفرغ فيها لمراجعة حالتك والاجابة على أسئلة التحقيق ..

وتمتم السيد بما يشبه الغضب :

ـ اجازة ؟ .. ان لدى ما يكفى ويزيد من الاجازات .. وليس لدى ما اراجعه أو افكر فيه .. فماذا أفعل بتلك الاجازة .. !

وظهرت علامات الدهشة على وجه موظف التحقيقات وقال وهو يرفع أحـد حاجبيه الكثيفتين ارتفاعا طفيفا عن الحاجب الآخر ، فظهرت عيناه مائلتان :

ـ أيهـا السيد .. لقد رأيت الكثيرين ممن يجيئون هنا ،

يسعون سعيا ويتعمدون عمدا اطالة التحقيق ·· حتى تطول بهم الاجازة ·· ففى عصر العسل الذى نعيش فيه الآن ، هناك مئات من الأشياء الممتعة التى يمكنك أن تفعلها فى الاجازة ··

وكان الموظف قد أخذه الحماس وهو يخاطب السيد ، واتسعت ابتسامته وهو يضرب بكفه على ذراع السيد ناصحا بود :

– بل ان من حق السيدة زوجتك أن تحصل أيضا على اجازة موازية ، لمرافقتك فى اجازتك ·· وليس عليك فى مثل تلك الحال ، سوى أن تذهب فى المواعيد المتفق عليها الى مركز التحقيق الآلى القريب من المكان الذى تقضى فيه اجازتك ، وتواصل الاستماع الى الأسئلة والتساؤلات ، وتجيب عليها ، الى أن يصلوا الى نتيجة فى حالتك !

وتابع الموظف حديثه فى مودة صادقة ، بينما كان السيد يحملق فيه بعينين حائرتين :

– اننى أنصحك أن تستفيد من ذلك ·· فما تزال فكرة الاجازة علاجا نفسيا ناجحا ، رغم هذه القرون الطويلة التى قطعتها البشرية منذ اكتشاف علم النفس البشرى ·· ومن يدرى ·· ربما تكون متضايقا من العمل الذى تقوم به ؟!

أنا مثلا ·· قبل انتدابى لمركز التحقيقات هذا ، التابع لحقل السبانخ ، كنت أعمل فى غرفة التحقيقات لحقل الاستنبات الضوئى للموالح ·· ولقد ظللت أعمل فى تلك الغرفة المحاطة بأشجار البرتقال الباسقة المزهوة ، المثقلة بالثمار ، عشرة سنوات ·· عشرة سنوات كاملة ·· تصور تلك الألوان ، الأصفر الشديد الاستدارة مشرئبا بين الأوراق الخضراء الكثيفة المتهدلة على ساق بنية تميل الى لون التراب القديم ·· فكم مرة يا ترى تظن أننى استطعت أن ألمس

شجرة واحدة منها ، أو أشم رائحتها ، مع شدة رغبتي في ذلك ؟ ·· ه ؟ كم مرة تظن ؟ ·· ولا مرة ·· ! فدائما كانت تفصل بيني وبينها تلك الجدران السميكة من البلاستيك الشفاف ·· !

لقد استولى على القلق فترة ·· وكان العمل قليلا فى تلك الأيام مما أعطاني وقتا أطول لتأمل ثمار البرتقال بين الأوراق ، مدلاة في اتزان موسيقى على محورها الواهي الرفيع ·· فكان ذلك يزيد من قلقي ، حتى فقدت القدرة على تحمله ، فجلست يوما على مقعد الاستجواب الوثير ·· واستدعيت اللجنة ·· وطلبت منها تغيير مكان عملي بعد أن حكيت لها حكايتي ··

فربما تكون أنت أيضا متضايقا من العمل ·· ؟

أو ···

ربما تكون متضايقا من طول معاشرتك للسيدة زوجتك ·· ان هذا يحدث كثيرا ولكننا نجد صعوبة في ادراكه ، أو تصديقه ·· فأنا لاحظت مثلا أن السيدة زوجتك حتى الآن لم تتصل بك ·· وأنت أيضا لم تتصل بها ·· رغم أن جميع وسائل الاتصال كما تعلم ، سهلة وميسرة فى مراكز التحقيقات هذه ؟!

ولعل السيد كان منشغلا وهو يستمع الى الموظف ، بالتفكير فى تلك النقطة فعلا ·· لماذا لم تتصل به زوجته ، أو لم يتصل هو بها ·· فضايقه أن الموظف قد ذكر له ما يفكر فيه ، وقال بانفعال حقيقي :

ـ أيها الأخ الموظف ، أنا لست متضايقا من العمل ·· ولست متضايقا من السيدة زوجتي ·· لست متضايقا من شيء على الاطلاق ··



أنا لست متهما ‥ وسوف أرفض تماما العودة الى ذلك المقعد السخيف للاستماع الى تلك الأسئلة السخيفة المرهقة ‥

لقد قال مندوب النظام أنني حر تماما ‥ وقد سمعت ذلك بنفسك ورأيته بعينيك ‥ وقد أصبح من واجبى ان أتأكد الآن من صحة ذلك ‥ ؟

تساءل الموظف بقلق :

ـ ما الذى تعنيه ‥ دعنى افهمك ‥ ؟

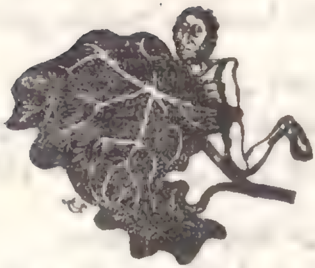
ـ أعنى أنهم لن يستعبدوننى بتلك المفروشات الوثيرة فى شقتى ، والآلات الروبوتية التى تقوم على خدمتى والوجبات الساخنة التى تخترق الجدران فى أنابيبها المتحركة !

استعاد موظف التحقيقات هدوءه وجديته تماما وراح يسأل السيد القادم من حقل السبانخ بقلق :

ـ أيها السيد الزميل ‥ هل تفكر فعلا فى أن ترفض النظام وتنسحب ‥ ؟؟

وقال السيد بصدق وثقة :

ـ لست أدرى ‥‥ اننى افكر فقط فى أن أجرب حريتى ؟



٣ ـ حرم السيد وصديقه ؟

كانت السيدة ليالى حرم السيد ، فى كابينة عملها بالمحطة الفرعية ، للسيطرة على المناخ الجوى ، منهمكة فى توجيه جهازها الاشعاعى الى جبل هائل من الغيـوم الكثيفة ، يبـدو مقتربا من المعمورة الأرضية ، وكأنه سوف يسقط فوقها ٠٠ فتذيبه باشعاعات الجهاز وتحوله الى طاقة تمتصها فوهات الأجهزة العـامة المحيطة بمنشآت تلك المنطقة من الأرض ٠٠ وقد أضيئت شاشة التليفون المرئى وهى تعيد توجيه اشعاع جهازهـا الى كتلة كثيفة ، كانت تتموج من جبل الغيوم هذا وتوشك أن تنفلت ٠٠ فضغطت بسرعة على بروز أماميا فجاءها الصوت من أعلى الغرفة ٠٠ يخبرها بأن السيد دافيد يطلب الكلام معها ، فهل وقتها الآن يسمح بذلك أم انها تفضل أن تحدد له موعدا للتخاطب فيما بعد ؟ ٠٠ ومـدت

حرم السيد فمها الى جهاز التخاطب أمامها وقالت أنه يسرها أن تتلقى مخاطبته بعد خمسة دقائق فقط ٠٠ !

وبعد خمس دقائق بالضبط كان جبل الغيوم بأجمعه قد تحول الى طاقة حرارية تتدفق فى أنابيب التدفئة ، وكانت هى قد جلست أمام التليفون المرئى تلوح لصديق زوجها مرحبة ٠٠

وسألها دافيد بلهفة عن السيد زوجها ٠٠ قال أنه قد لاحظ بالأمس أن كبسولته لم تهبط فوق مجمعهم السكنى فى ميعاد العودة ٠٠ فظن أن عطلا ربما قد أصابها فاضطره للبقاء فى السيارة الهوائية ٠٠ وقد طلب التخاطب معه فى الصباح بحقل السبانج الضوئى ، لكن جهاز الاتصالات تلقى طلبه ولم يرد عليه بشىء ٠٠ !

وعاد يسألها بلهفة عما حدث لصديقه ٠٠

فأخبرته ان السيد لم تتعطل كبسولته بالأمس ٠٠ بل أنه لم يركب أصلا سيارة العودة الهوائية ٠٠ وأنهم قد استدعوه فى غرفة التحقيقات الآلية لسؤاله عن ذلك ٠ كما عبرت له عن انزعاجها الشديد مما حدث ، وشكرته لأنه تخاطب معها ، فقد كانت فى حاجة ماسة للتخاطب مع أحد ٠٠

ثم أخبرته أنها بعد العودة من العمل سوف تذهب الى ملهى المناقشات لتعرف ما حدث ، فقد ذهبت الى عملها مبكرة كالعادة ، ولم تستطع لذلك متابعة التحقيق مع زوجها على شاشة الاذاعة المرئية ، ولا بد أنهم فى ملهى المناقشات ، قد تابعوا الاستجواب على شاشتهم ٠٠

فأجابها دافيد بحماس ، أنه سوف يذهب معها ٠٠ لأنه يريد أيضا أن يعرف ما حل بصديقه هومو ٠٠٠

وهكذا اتفقنا على اللقاء في الملهى ..

ففي ملاهى المناقشــات العامة المنتشرة في بدرومات الأبراج السكنية بمختلف أقاليم المعمورة الأرضية الحديثة ، كما نعرف جميعا يوجد خليط عجيب من الناس .. يذكروننا بالمشاهد التاريخية فى الأسـواق الموغلة فى القدم .. مع اختلاف ما يبـاع فى كل من الاثنين .. ففى الأسـواق القديمة كان الناس يتبادلـون السـلع والمنتجات الزراعية والمصنوعات والتحف .. أما فى هذه الملاهى العامة .. فالناس يتبادلون الكلام .. كلام .. كلام فقط .

فلم تستطع تلك الثورة الأوتومية ـ التى أثمرت ذلك التقدم التكنولوجى الهائل الذى قفز بفصيلتنا البشرية الى أنحاء الكواكب ، لجلب الخامات واقامة المستعمرات الكشفية وحقول المحاصيل الممتازة ـ أن تلغى تلك اللذة التى يشعر بها الانســان وهو يستمع للكلام الصادر من جوفه .. أن يتكلم ويستمع لنفسه وهو يتكلم .. وأن يراقب أفـواه الآخرين وهى تخرج كلامهم فيتأمله ليس بحثا عن الاقتناع ، وانما بحثا عن الثغرات التى يمكن أن ينفذ منها بكلامه لينتصر عليهم .. !

صحيح أن النظام يسود المناقشات فى هذه الملاهى العامة ، فلا يستطيع أحد أن يقاطع أحدا دون موجب للمقاطعة ، أو يصيح مهللا ضاربا بأقدامه الأرض أو مصفقا أو مصفرا أو يشوش عليه ويمنعه من ابداء رأيه .. انما يتكلم الجميع بنظام ، ويعرف كل منهم دوره فى الحديث ، وحين يجىء هذا الدور فانه يقول رأيه بايجاز واضح حتى لا يأخذ وقتا مخصصا لكلام غيره .. فالكل واثق من أنه سيقول كل ما يريد ، ان لم يكن فى هذا الدور ، ففى الدور الذى يليه .. فحلقة المناقشة دائرة لا تنتهى .. وليست محدودة بزمن .. ؟

فبالنسبة للمواطن العادى المنتظم فى عمله وحياته العائلية ·· فانه يتمتع بحوالى مائتى وخمسين يوما من الأجازات المحسوبة الأجر ، أى أكثر من نصف السنة ، بدلا من تلك الأسابيع العشر التى كانت مخصصة لمثيله فى أخريات القرن الثانى والعشرين ·· فاذا استهلك منها مائتى يوم فى الرحلات الجماعية التى تنظمها لجان الخدمة العامة فى ادارات العمل المختلفة ، الى حدائق المخلوقات القديمة ، أو المتاحف التاريخية للطعام والاسكان والملابس ، وغيرها من الآثار المتخلفة عن الأسلاف ·· أو حول الأرض ، أو داخل المحيطات ، أو خارج الغلاف الجوى ·· فانه تبقى له ايضا خمسون يوما يمضيها فى ملهى المناقشات العامة ، يتكلم ويستمع للآخرين وهم يتكلمون ، ويناقضهم ···

أما بالنسبة لتلك الفئة الأخرى من المواطنين الذين تراهم يقيمون بصفة دائمة فى هذه الملاهى ·· فان خضوعهم للنظام فى المناقشة جزء من لذتهم الكبرى ·· فالكلام هو حرفتهم التى أصبحوا يجيدونها ، وهكذا تصبح المناقشة بما فيها من حسن الاستماع لرأى الآخرين لمغالبته والنفاذ منه ، مباراة فائقة المتعة ··

وحتى تلك الفئة الأخيرة من المتكلمين ، والمقيمة بصفة دائمة أو شبه دائمة فى ملاهى المناقشات ·· تنقسم أيضا الى أنواع ثلاثة ··

ففى بعض الأحيان يتعرض النظام لاحدى حالات الخلل النفسى التى تؤدى باحد المواطنين الى الخروج عن المتبع والمرعى فى مجاله الاجتماعى أو العملى ، كما حدث للسيد المشتغل فى حقل السبائخ الضوئى ، وتدرك لجنة التحقيقات الآلية سأمه من شريكة حياته الاجتماعية ، أو تشبعه الى حد الضيق بالرتابة المنظمة فى عمله ، فتقرر له الحق فى استبدال شريكته ، أو تنصح بنقله الى منطقة عمل

أخرى حيث يجد مناخا مختلفا يستوعب ضيقه .. وكان أصحاب معظم هذه الحالات يجدون سرورا فى قرارات اللجنة ، ويستقبلونها بالبهجة .. ما عدا حالات شاذة ، مثل حالة السيد .. تكون متوافقة مع شريكها الاجتماعى ، راضية عن عملها ومجاله .. لكنها برغم ذلك ساخطة ضيقة الصدر ، دون أن تدرى سببا لسخطها وضيقها ؟!

هذه الحالات غالبا ما تمنحها لجنة النظام ، الحق فى اجازة استثنائية غير محددة .. تعتبر أجازة صحية .. اجازة محسوبة الأجر تمضيها تلك الحالة المريضة حيث تشاء ...

وغالبا ما يفضلون قضاءها فى ملهى المناقشات العامة ..

انهم يجلسون هناك طيلة النهار او الليل ، فيما عدا الأوقات التى يقومون فيها بواجباتهم الزوجية أو الاجتماعية .. يجلسون هناك يتناولون حبوب البيرة المركزة المتاحة باسعار اقل فى هذه الملاهى .. ويتناولون وجباتهم المعتادة من الأنابيب المتحركة التى تقدمها ساخنة عبر الجدران .. ويستمعون للاذاعات المسموعة أو المرئية أو المحاضرات والمناقشات ويتكلمون ، فيناقشون النظام فى الماضى والحاضر والمستقبل ، ويقيمون المقارنات ويوافقون ويعارضون ويذيبون سخطهم وتمردهم فى مباريات النقاش المحتدمة .. فبعضهم يستعيد صحته النفسية بعد أيام أو بعد أسابيع أو على الأكثر شهور قليلة .. ويعودون الى اعمالهم وحياتهم داخل النظام بحماس وقابلية أكثر .. وبعضهم الآخر تحرك مباريات الكلام طاقاتهم الخلاقة المغمورة فيكتشفون فى دخيلتهم مواهب دفينة ، تتيح لهم أن ينتجوا للنظام أعمالا فنية فى الموسيقى والتمثيل والتصوير وغيرها من الفنون التى تثير الدهشة والمتعة بين المواطنين جميعا ..

أما البعض الثالث ، فلا هو يشفى ويعود الى النظام ، ولا هو

ينتج فنا .. انما تظل طاقة التمرد فى داخله تنمو وتتزايد . فتمتد بهم الأيام والأسابيع والشهور الطويلة داخل ملاهى المناقشات هذه، يأكلون ويشربون على حساب النظام العام ، وفى نفس الوقت يعارضونه ويهاجمونه .. لقد أصبحوا متكلمين محترفين ، يتصيدون الموضوعات ويقيمون حولها المباريات الكلامية ..!

وقد لاحظت لجان الثقافة والتعليم المركزية ، ان هذه الحالات التى كانت من قبل نادرة ، قد بدأت تتزايد فى السنوات الأخيرة ، بدرجة أخذت تشكل خطورة على التركيز العقلى المبرمج للمواطنين فى عصر العسل .. خصوصا وأن النظام بما أدى اليه من حرية وامتيازات شخصية للانسان ، لم يكن يقدم أبدا فى مثل تلك الحالات على أى من اجراءات العقاب أو القمع ، كالحرمان من الطعام أو الشراب مثلا ، فقد أصبح من الصعب تطبيق هذا النوع من العقاب خلال نظام التغذية الأوتومى عبر الأنابيب المتحركة .. كما أن كلمتى عقاب وقمع .. قد زالتا تماما من القاموس اللغوى منذ عقود طويلة ...

وأقصى ما استطاع النظام أن يفعله فى مواجهة هذا الميكروب العقلى الذى يتسرب من ملاهى المناقشات ، أنه شكل العديد من اللجان العليا ، المركزية والفرعية ، لابتكار المناهج الدراسية لتدريب الأفراد على نشاطات أوقات الفراغ .. مثلما يدربونهم من أجل التأهيل المعملى ...

وقد بدأو فعلا فى ادخال تلك المناهج الى حدائق الأطفال ومعسكرات الشباب التعليمية . أما بالنسبة للبالغين .. والذين تجتذبهم ملاهى المناقشات هذه أكثر مما تجتذبهم صالونات الحب الحر ، فقد ترك النظام مسئولية توجيههم الى هيئة لها كافة السلطات المطلقة للقيام بهذه المهمة ، فى حدود القوانين الانسانية الحديثة ، المعمول بها فى عصر العسل ...

وقد رأت تلك الهيئة منذ سنوات ـ كما نذكر جميعا ـ أن نشاطات وقت الفراغ ، من حيث طبيعتها المتنوعة والتى يجب ان تتميز بالابتكار والطرافة ، يمكن أن تشكل فى ذاتها مجالا نشاطيا واسعا للمبادرة والتنافس الحر .. بحيث يمكن أن تترك للجماهير نفسها أن تناقش وتقترح وتنفذ ما تبتكره من هذه النشاطات فى نطاق السياسة الخاصة المرسومة لها من هذه الهيئة .. وكان من نتيجة ذلك ، أن دخلت وسائل التسلية فى مجالات تعتمد على الشذوذ أو الغرابة .. أو فكرة العودة الى الماضى .. لقد أصبحت فكرة العودة الى التاريخ البشرى القديم ، وتجربة الحياة فى أيامه ، موضوعا للكثير من مجالات المتعة فى أوقات الفراغ .. فمن متاحف الأطعمة القديمة ، الى يوم الطعام الحر ، الى تلك الرحلة العجيبة فى القطار الهوائى الى الأرض الخراب .. لمشاهدة ناطحات السحاب الشاهقة المهجورة والمنتصبة بين خرائب المدن وكأنها نصب تذكارية للحرب الألكترونية الأولى ! .. الى تلك التقليعة ـ الأخيرة التى انتشرت وما تزال ، حيث يستطيع الانسان أن يمضى أجازته فى احدى المستشفيات ويطلب حقنه بأى مرض من الأمراض القديمة التى انقرضت ميكروباتهـا ، ثم يرقد فى سريره وهو يرتجف بالحمى ، أو يصرخ من آلام السرطان .. ويستمتع بوعى كامل بحفيف ثياب الممرضات البيضاء من حوله ، ووجوه الأطباء الحانية الرقيقة وهم يعالجونه .. ثم يبلغ ذروة نشوته وهو ممدد فى مرحلة النقاهة ، يحوطه الزوار من أقاربه وأصدقائه وهم يحملون الورود والزهور وعلب الحلوى .. وهو يحكى لهم تلك التجربة العجيبة مع المرض الذى أمضى فيه أجازته .. ؟!

ومع كل ذلك من وسائل الترفيه والمتعة ...

فقد ظل اقبال الجماهير مستمرا على ملاهى المناقشات العامة ؟

بل أن بعض الأبراج السكنية قد بدأت ترفع صوتها بالمطالبة ، باذاعة مباريات الكلام فى ملاهى المناقشات هذه فى الاذاعة العامة بدلا من تلك البرامج التعليمية السخيفة التى تحاول أن تعلم الانسان كيفية الحياة خلال الرحلة الى النجوم البعيدة ·· فالجميع يعلمون الآن أن أحدا منهم لن يقوم أبدا بهذه الرحلة ، التى قد تستغرق من الصاروخ الفوتونى خمس سنوات فى الذهاب الى الفضاء النجمى والعودة تكون خلالها قد مرت مائتى سنة على الأرض ؟!

بل اننا نحن المواطنين فى عصر العسل نعرف جيدا أنهم يهيؤوننا منذ سنوات لاستقبال رواد أرضيين من المتوقع عودتهم خلال هذا العام ، من رحلتهم الى أحد نجوم مجموعتنا الشمسية ، التى أرسلوا اليها فى منتصف القرن الماضى ·· ؟!

سوف يعودون الى الأرض بعد أكثر من مائة سنة من الزمن الأرضى ، وقد زاد عمرهم فى الفضاء الكونى خمس سنوات فقط عما كانوا عليه من عمر عند سفرهم ·· ولن يجدوا أحدا ممن كانوا يعرفونهم على قيد الحياة وربما لا يجدون أحدا من أولادهم أيضا ·· فمن منا مستعد لتلك المغامرة ؟!

ولهذا كانوا يؤكدون أنه لا جدوى على الاطلاق من تلك البرامج ، ويطالبون باذاعة مباريات الكلام فى ملهى المناقشات مكانها ·· وكادوا يصلون الى اقناع اللجنة المركزية للثقافة بتحقيق رغبتهم ، غير أن فريقا معارضا من سكان الأبراج أيضا ·· طلبوا منع هذا النوع من الاذاعة ·· وكانت وجهة نظرهم فى الحق قوية من ناحية أن مباريات الكلام فى ملاهى المناقشات هى فى طبيعتها أفكار فردية ناشئة فى ظروف غير طبيعية ·· وغير ناضجة أو متكاملة ، لأنها فى حالة ولادة مستمرة طوال المناقشة ·· ولذلك

لا يصبح اذاعتها ، حيث لا يجب أن يذاع على المواطنين الا ما نضج واكتمل من الأفكار النهائية فقط ..

وكان يدعم وجهة النظر هذه ، رأى آخر كان يقول بأن المتكلمين فى هذه الملاهى تستنفد المناقشة كل أوقاتهم وطاقاتهم ، فينقطعون عن القراءة ومتابعة التعليم .. أى أنهم يتجمدون وبالتالى تصبح أفكارهم متجمدة .. لأن الكلام يصبح حرفة جسدية لا حرفة عقلية .. !

المهم أن هذا الجدل الذى ثار حول طلب الاذاعة ، قد عطل هذا الطلب عن التنفيذ لأنه لم يحصل كما نعرف على العدد القانونى من الأصوات الذى يؤيد تنفيذه .. وبقيت مباريات الكلام قاصرة على رواد هذه الملاهى فقط .. هولاء الذين يجدون لديهم رغبة فى تمضية بعض وقت فراغهم فى التسلى بمراقبة عضلات الفم ، وهى تنبسط وتنقبض ، والعيون وهى تلمع ، فى وجوه المتكلمين ...

وكان الملهى الخاص بالبرج السكنى التابع لحقل السبانخ الضوئى ، قد بدأ منذ الصباح فى متابعة الاستجواب المذاع من غرفة التحقيق الآلية .. ووجد المتكلمون فى حالة السيد هومو مادة ملتهبة لتغذية المناقشات .. وعندما دخلت السيدة اليالى حرم السيد ، مع صديقه دافيد ، الى الملهى ، كان الجو معبأ بدخان السجاير الممزوجة بخلاصات الفواكه والأعشاب المطرية المبيدة للنيكوتين ، مما يفيد أن مباريات الكلام كانت محتدمة منذ توقفت الشاشة عن اذاعة الاستجواب خلال فترة الغذاء ..

فقد اعتبر بعضهم أن السيد قد أثار قضايا شاذة فى مناقشته مع مندوب النظام العام .. قضايا كمالية ، ليس من الصحى أبدا أن تلقى علانية على كل مستويات الجماهير .. لقد تحدث عن النزوة ، والتصرف العفوى ، ولم يذكر سببا واحدا مقنعا لتصرفه الغريب !

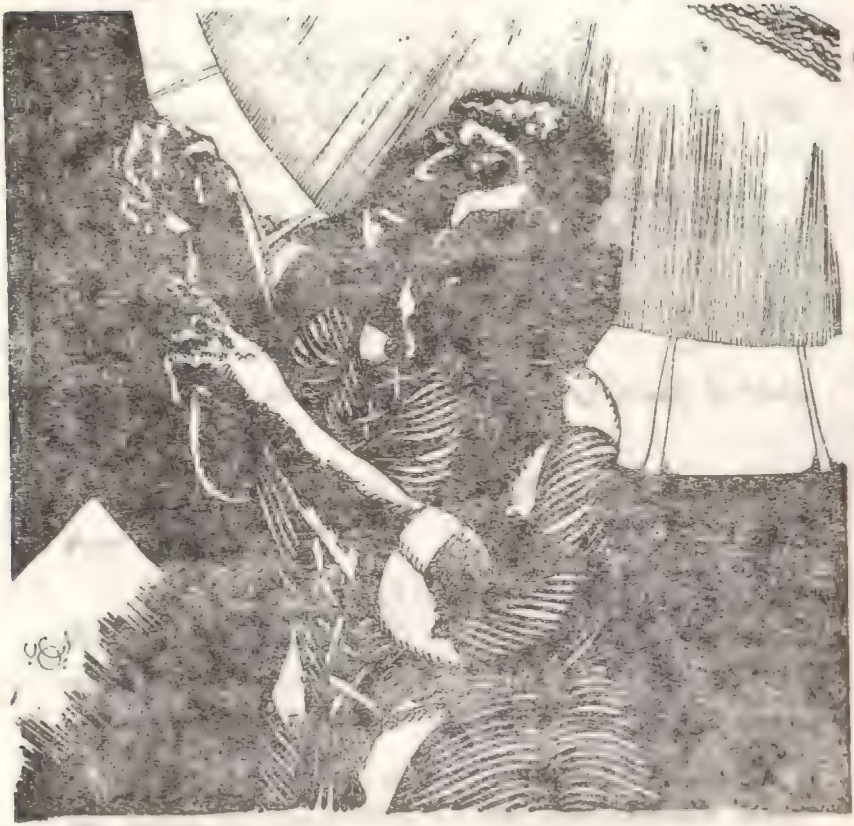
وقامت في وجه هذا البعض مناهضة شديدة تؤكد أنه مهما كانت الأسباب ، فليس من عادة النظام العام أن يجعل الاستجوابات تدور في الظلام ...

وقال أحد المتناقشين بحماس :

ـ أيها السادة ، لقد تمادى السيد وبدأ يتهم النظام بقتل الخيال الخلاق .. ماذا يعني هذا ؟ .. معناه ببساطة أيها السادة أنه يرفض النظام الذى هو القانون الطبيعي للكون الذى يسكنه الانسان .. ألم يتأمل السيد فى نظام المجرات ؟ .. ألم يتابع النظام الدقيق للأفلاك منذ بدأ هذا الكون ؟ .. ان كل نجم يخرج عن مداره يحترق ويهوى فى الفضاء اللانهائى .. فهل يريد السيد أن تتقهقر البشرية مرة ثانية الى ظلام الفوضى حتى يبتلعها هذا الفضاء ، من أجل خيال خلاق ، ينتج الآن حسب الحاجة داخل الأنابيب ؟

ووقف أحد المعارضين فى دوره يتكلم ، كان معروفا باسم بروف ، لكن الجميع كانوا يجهلون هويته ، فقد ظهر بينهم فجأة فى الآونة الأخيرة ، واعتادوا على اشتراكه فى المناقشات .. قال أنه يستطيع أن يؤكد أنه يفهم جيدا الأزمة التى يعانى منها رجل السبانخ .. والتى دفعته للضيق الذى خرج به عن طابور العودة .. فان القضية ليست أبدا قضية الحرية ، كما يخيل للجميع للوهلة الأولى .. انما هى فى الحقيقة قضية الجمال ؟!

وقد أثار الانتباه بجملته هذه فعاد يؤكد : انها قضية الجمال فعلا .. فلقد أصبحت الحياة الحديثة خالية من الجمال .. لقد ابتعدنا كثيرا جدا عن فطرة الطبيعة الخلابة وجمالها السخى الموحى الذى نشاهده الآن فقط فى أفلام الأرشيف السينمائى القديم .. !



لقد بدأ الفرد المعاصر يفقد احساسه بالانتماء بعد ما تأكد لديه بشكل ملموس ذلك البعد اللا متناهى للكون ·· فأصبح بالتالى عاجزا عن التعرف على نفسه وموقعه ؟

وقال أحدهم ساخرا وهو يلوك فى فمه قرص البيرة المركزة :

ـ ما هذا الذى تقوله أيها الزميل المتكلم ·· انك تقحم الآن على المناقشة مفاهيم ساذجة ومتخلفة طبعا ·· فمنذ عصر النهضة القديم جدا الى العصر الألكترونى الأول ·· ظل الفلاسفة يتناقشون فى قضية الجمال هذه دون أن يتفقوا على رأى ·· دون أن يصلوا حتى الى تعريف موحد للجمال ·· ؟

وقاطعه المعارض بروف قائلا :

ـ لكنهم جميعا ·· هؤلاء الفلاسفة ، كانوا يعلمون أن الجمال موجود فعلا ···

وأجاب السيد الذى يلوك أقراص البيرة المركزة بدلا من أن يذيبها فى الكوب مثل الآخرين :

ـ انى أرفض تلك الفكرة أيها الزميل المتحدث ·· أرفض ذلك المنطق المتخلف الذى يقول أن هناك أشياء جميلة وأخرى غير جميلة ·· كل ما يوجد فهو جميل ·· كل ما حولنا الآن من أجهزة وآلات ومبان حديثة ، فتانة ومثيرة للمتعة ···

وانبرى أحد المدخنين مؤيدا بحماس شديد : هذا حقيقى ·· هذا صحيح أيها السيد المتكلم ·· لقد كانت المجتمعات الهمجية الأولى لا تفهم ما تعنيه كلمة الجمال ·· وبرغم ذلك فقد كان الرجل البدائى المتوحش فى تلك المجتمعات يتعاطف مع الكائنات الأخرى حوله بعمق احساسه بوجود قرابة بينه وبينها ·· فهو يلاحظ أن

الحياة تدب فيها دون فرق بين الانسان والنهر والشجرة ·· وبما أنه قد ثبت لنا علميا فى هذه الأيام ، أن لكل طبيعة مخلوقاتها الخاصة بها ، ولكل مخلوق مناخه الطبيعى ·· فإنه لأمر منطقى أن نتعاطف بتلقائية مع كل هذه المخلوقات الصناعية حولنا ·· ابتداء من تلك الأبراج السكنية الشاهقة ·· وانتهاء بهؤلاء العبيد الصناعيين ·· تلك الروبوتات التى تقوم على خدمتنا بأعداد وفيرة فى كل الاعمال الخطرة ، بنفس الاخلاص والطاعة التى تخدمنا به فى أعمال النظافة والشئون المنزلية ·· تلك أيها السادة هى الطبيعة الحديثة التى ننتمى اليها ·· ولا بد أن نخجل من أنفسنا اذا لم نكن نشعر بالجمال الكامن والمشع فيها ·· ؟

وصاح بروف المعارض الأول : ليست هذه هى الطبيعة التى أقصدها ·· أنتم لم تفهموننى أيها السادة ·· اننى أحدثكم عن الطبيعة الانسانية ·· جوهر البشرية ·· الروح الحر الذى يتوهج فيوحى بالتفوق ويحث على الاقتراب من الكمال ···

الروح الخلاقة والمناضلة ·· والتى تدفع الانسان دفعا الى الارتقاء والتطور ، وتملأ شهيته بالرغبة في الاحتكاك بالحقيقة الأزلية ، والتواصل معها ··

لقد غرقت تلك الروح أيها السادة ·· فى عسل هذا العصر :

كان الملهى نصف دائرى وشديد الاتساع ، لدرجة أن مائة شخص يتحركون فى داخله بسهولة ، حركة دائبة ، بين أنابيب المشروبات والطعام التى تعبر بالجدران · وبين الآرائك الوثيرة التى تحيط بمنصة المتكلمين ·· وقد تصدرت الحائط العريض المستقيم شاشة تليفزيونية ضخمة تتوالى عليها بسرعة جميع الأحداث والأخبار فى صور ملونة مضيئة ···

وكانت السيدة ليالى حرم السيد رجل السبانخ ، تتابع تلك الصور بقلق ، بعد أن سئمت من ذلك التفريغ الذى يقول به السادة المتناقشون لحالة زوجها .

كانت متلهفة لرؤية الحقيقة بنفسها حين تعود الشاشة الى الاستقبال ، من غرفة التحقيقات الآلية ٠٠ لقد انتهت ساعة الغداء ، فنظرت الى دافيد ، فوجدته يبتسم معبرا عن تاييده لشعورها ، بالنسبة للمناقشة ٠٠ وانتبها معا الى الشاشة ٠٠ كما بدأ ينتبه ايضا بقية الرواد فى الملهى ٠٠ لكن الشاشة ، واصلت عرض برنامجها الاخبارى المعتاد كل نصف ساعة ، ثم تبعته بالعرض الترفيهى المعتاد ٠٠ وانقضت ساعة أخرى ، دون أن يعود الاستقبال الى استجواب رجل السبانخ ٠٠ فبدأ القلق يساور الجميع ٠٠٠

لقد توقف الاستجواب ساعة للغداء ٠٠ يعود بعدها رجل السبانخ الى مقعده الوثير أمام شاشة الاستجواب الآلى ليخبر اللجنة بقراره ٠٠٠ فما الذى حدث ٠٠ ؟

ألم يعد السيد الى المقعد ٠٠ ؟

أم أن اللجنة قد رأت أن تحجب بقية المناقشة ؟!

وانهمك المتناقشون فى التساؤلات والافتراضات ٠٠٠

لكن صوت بروف ، ارتفع بغضب مفاجىء فوق جميع الأصوات وهو يقول منذرا : أيها الأخوة المتناقشون ٠٠ انتبهوا ٠٠ ان النظام يواجه أزمة خطيرة سوف تنعكس نتائجها بقسوة أو بسعادة ، على مستقبل النوع البشرى ٠٠ ولعل القدر قد جمعنا الآن هنا ليحملنا بمسئولية الاختيار والحسم ٠٠ ؟

وقد علا الهياج ، وماجت القاعة بالاحتجاج ، عند سماع تلك الكلمة القديمة الرجعية ٠٠ كلمة « القدر » ٠٠ ؟!

ثم احتدمت المناقشـــات ٠٠ لكن رأى بروف قد انتصر عليها جميعا ٠٠٠

وقد غادرت حرم السيد وصـديقه ملهى المناقشــات العامة ، بعد أن استقر الرأى غالبية بين المتكلمين هناك ، على ضرورة أن تتصل حرم السيد به فى غرفة التحقيقات الآلية ٠٠ لتنبهه الى أن القضـية التى يخوضـها مع النظام تتعلق بالجمال ٠٠ وليس بالحرية ٠٠ بعد أن افتقد الانسان الحديث روح الطبيعة ، التى تمثل الجمال والحق فى حياته اليومية ٠٠ وأن عليه أن يعتمد أساسا على وجهة النظر هذه فى دفاعه عن موقفه ٠٠ بل أنه يمكنه أيضـا أن يطالب النظام بالعودة للانفتاح على الطبيعة ، وهو واثق من مساندة المتكلمين فى ملاهى المناقشات له ٠٠ ؟

خرجا صامتين من الملهى الواقع فى بدروم مجمعهما السكنى ، وصعد بهما المصعد الى الطابق الواحد والعشرين بينما الوجوم يخيم عليهما معا ، وكأنهما يقلبان الكلام الذى سمعاه فى الملهى على وجوهه جميعها ٠٠

وفى الممر المؤدى الى مسكنيهما المتجاورين ، وقبل أن يمـد دافيد يده مودعا ليدخل مسكنه ، قالت حرم السيد فجأة ٠٠ أنها آسفة لأنها لم تستطع أن تكون لطيفة معه فى تلك الأمسية ٠٠ اذ انشغلت تماما بتلك المشكلة الخاصة بالسيد زوجها ٠٠ وطلبت منه أن يعذرها ٠٠٠٠

وابتسم دافيد وقال أن المشـكلة تهمه أيضـا ٠٠ فالسـيد صديقه ٠٠٠

فسألته السيدة ليالى مبتسمة : هل ترغب فى الحب ٠٠ ؟

وقال دافيد أنه قد أمضى ليلته الماضية فى صالون الحب الحر .. وأنه قد تشبع تماما بالحب فى تلك الليلة السابقة .. ولا يشعر بالرغبة فيه الآن .. أما اذا كانت لديها الرغبة فسوف يسره أن يساعدها ...

لكنها سألته :

هل يذهب السيد معك أحيانا الى الصالون ؟

فأجاب : غالبيه المترددين على الصالون كما تعلمين من الذين لم يتزوجوا بعد ..

فقالت : لكنى أعلم أن المتزوجين غير ممنوعين طبعا من التردد عليه ...

اننى أعرف ثلاثة من زميلاتى المتزوجات ، وعددا لا بأس به من الرجال المتزوجين يترددون أيضا على هذه الاجتماعات العاطفية الحرة ...

فأجاب دافيد بثقة :

لكن السيد زوجك لا يذهب .. أستطيع أن أؤكد ذلك .. ففيما أعتقد ، هو عادى الطباع جدا ، فى مسائل الحب هذه ...

وغمغمت حرم السيد وهى شاردة الذهن نوعا : نعم .. نعم .. أنه عادى الطبع فى تلك المسألة ؟!

فقال دافيد :

اذا لم يكن سؤالك مجاملة لى .. أقصد اذا كنت ترغبين فى الحب فعلا .. فسوف يسرنى أن أساعدك ...

وقالت حرم السيد أنها ترغب فى ذلك فعلا لأن المناقشات داخل الملهى قد أرهقتها الى حد كبير .. كما أنها أيضا شديدة الانزعاج ، لأنها تخشى أن تنتهى تلك التحقيقات الآلية مع زوجها بانهاء حالتهما الزوجية .. وهى لا تستطيع أن تتصور أن بامكانها مواصلة الحياة مع زميل آخر غير هومو ، بعد السنوات الخمس التى عاشتها معه ...

وأنفتح باب مسكنها حينما اقتربا منه ، اذ دخلت ضلفتاه فى الجدار من الجانبين .. بينما كان دافيد يقول مبتسما :

– أعتقد أنك تبالغين فى هذا الأمر ... فكل شىء يكون صعبا فى بدايته ، ثم لا يلبث الانسان أن يتعود ويتاقلم ..

فنظرت فى عينيه وقالت :

أنت لا تزال صغيرا ، ولم تجرب الحياة الزوجية بعد ..

فقال دافيد أنه قد سمع هذا الرأى يتردد كثيرا فى مئات الكتب القديمة التى تضمها مكتبته والمكتبة العامة أيضا ..

لكن حرم السيد ربتت على وجنته مبتسمة وهى تقول :

– ان الكتب ليست دائما دقيقة .. أو صادقة .. وخصوصا تلك التى كتبها مؤلفوها فى الأزمنة السابقة قبل عصر العسل الذى نعيشه الآن ..

وقال دافيد : على العموم ، فاننى أرى أنه لا مجال للقلق فى تلك المسألة ، فليس صعبا على لجنة التحقيق الآلى أن تدرك توافقكما الزوجى ..

ان الأمر ربما يكون أخطر من هذا .. كما أننى ، واسمحى

لى ·· أشعر بالقلق ·· فلست مطمئنا الى ما اتفقوا عليه فى ملهى المناقشات ·· وفى رأى أن ذلك سوف يضع النظام فى ورطة لا علاج لها ···

وتنهدت حرم السيد وهما يتحركان بين المقاعد الأسفنجية الوثيرة ·· وقالت والضعف يبدو فى صوتها :

ـ هل يمكن ان تؤجل الحديث ·· لقد بدأت اشعر فعلا بالتعب وسوف ينقطع التيار الكهربائى بعد ساعة ونصف ·· هيا بنا ·· تعالى أريك غرفتى ·· الحمام ها هنا ·· سنأخذ حمامنا الساخن معا ·· ما رأيك ؟

هل تحب أن تشرب شيئا منعشا ·· عندى هنا خمر مخففة مصنوعه من عصير الصبار المعتق ·· أشتريناها مرة أنا وهوهو من متحف الأطعمة التاريخية ·· يجب أن تذوقها ·· هه ·· ما رأيك ؟ ·· لقد كانوا عتاة هؤلاء الأسلاف القدامى ·· هل أعجبتك ·· ؟ يمكننا أن نأخذ جرعة ثانية أيضا ·· انها منعشة فعلا ·· ما هذا أما زلت ترتدى ملابسك ···

وكانت حرم السيد قد أصبحت عارية ···

وحينما انتهيا من المرة الأولى ·· تركت حرم السيد جسدها ينساب مسترخيا مبعثرا بين الأغطية ·· وتذكرت تلك الأيام التى أصابها فيها السأم فى السنة الماضية فعرض عليها السيد أن تذهب الى صالون الحب الحر ، أو أن تجرب الحب مع صديقه دافيد ·· فرفضت ذلك بغضب ·· فقال السيد يومها أن غضبها لاقتراحه يدل على أن ميولها الجنسية لا تزال أسيرة لبعض المعتقدات القديمة المتخلفة ·· وقد بررت هى غضبها بأنه يقترح عليها شيئا لا ترغبه ··· ؟



والظاهر أن السيد كان على حق فعلا .. بل الظاهر أن هذا الفتى اليافع دافيد على حق أيضا .. فالأشـياء تكون صـعبة فى بديتها كما يقول ، لكن سرعان ما يألفها الانسان ، ويتأقلم معها..

وأغمضت عينيها مستمتعة بدبيب النشوة الجديدة فى جسدها .. لكنها سرعان ما انتبه عقلها وأخذ يعمل بعد أن أحس جسدها بالشبع والراحة ، وتأكد لديها أن هذا الانتشاء الجسمانى ، اشباع وقتى قد يسرها أن تمارسه بين حين وحين ، لمعالجة السأم أو بحثا عن أنماط جديدة للذة .. لكنه لا يصلح بديلا كاملا للسيد هومو وحياتهما المشتركة معا ... ؟

وبدأت تتداعى الى ذهنها مئات التفاصيل الدقيقة والصغيرة ، التى أشـتركا فيها .. هى وهـومو .. والتى كـونت على مـدى السنوات الماضية حياتهما الزوجية المتوافقة .. وبالرغم من أنه قد راودها الاحساس بأن الحرارة المنبعثة من جسد الفتى الممتع المسترخى بجوارها توشك أن توقظ رغبتها للمرة الثانية .. الا أنها بدأت تشعر بنوع من الانقباض المستوحش قلقا على غياب السيد ...

وقالت لدافيد :

أظن أنى قادرة على مواصلة الكلام الآن .. فما الذى كنت تنوى قوله حينما قاطعتك .. ؟

وقال دافيد :

كنت أتحدث عن ذلك الانفتـاح على الطبيعة الذى يطالبونك بتحريض هومو على المطالبة به ...

وفتحت عينيها فى دهشة : تقول تحريض ؟!

واعتدل دافيد فى الفراش وقال : نعم .. أنه تحريض سافر

.. ان الانفتاح على الطبيعة لم يعد مسألة سهلة ، وكلهم في ملهى المناقشات يعرف ذلك .. لقد جرى بنا الكلام في الملهى مجرى سهلا .. فان الألفاظ المنطوقة لها رنين جذاب في كثير من الأحيان يخدعنا ويخفي عنا وقائع مهمة ...

لقد فكرت في الأمر ونحن داخل المصعد .. وأدركت أن ذلك فعلا سوف يضع النظام العام في ورطة .. وقد يضطرهم ذلك الى التضحية بالسيد هومو للخلاص من هذه الورطة ؟! ..

أخذت السيدة ليالى تستمع الى صديق زوجها في شرود ، وقد ترسبت تلك المحاذير التي يطلقها ، في عقلها الباطن .

وحين استيقظت في الصباح المبكر لليوم التالى منتشية الروح تذكرت السيد والاستجواب الآلى ، والكلام الكثير في ملهى المناقشات ، ودافيد في حمامها الساخن معا ، فبدا لها ذلك جميعه كأنما هو حلم يغلفها بشعور سحرى .. حلم خيالى لا يكاد يبدو فيه حقيقي وملموس غير هذا الكلام الاخير الذي قاله دافيد بتحذير شديد ، قبل انصرافه من مسكنها بالأمس ..

كان اليوم بدء راحتها التي تصل الى ثلاثة أيام في الأسبوع وقد استيقظت على صوت النداء الآلى في مسكنها يطلبها لمخاطبة مع منطقة حقل السبانخ الموحد ..

وقال لها موظف غرفة التحقيقات التابعة للحقل ، أن اللجنة المشكلة لمباشرة التحقيق الآلى مع السيد زوجها يسرها أن تستجيب للطلب التليفوني الذي قدمته من مكتب الخدمة العامة في ملهى المناقشات ، لزيارة السيد زوجها في أحد أيام راحتها .. وأن الزيارة قد تحدد لها اليوم .. اذ أن اللجنة يسرها أن تشترك معها حرم السيد . في المناقشة الأخيرة قبل أن تصدر قرارها في حالته ..

واخبرها الموظف ان قائد السيارة الهوائية الخاصة بحقل السبانخ ، لديه الآن ترخيص بحملها فى كبسولة السيد زوجها ، الى ساحة الركوب بالحقل ٠٠ ومن هناك سوف تحملها احدى سيارات الحقل الداخلية ، الى غرفة التحقيق الآلى ٠٠

فنظرت السيدة ليالى الى عقارب الساعة الكبيرة المثبته فى النصف الأعلى لجدار غرفة المعيشة لتصبح فى مجال الرؤية الدائمة للسكان أينما كان موقعهم فى المسكن ٠٠ ووجدت أن عليهــا أن تهرول مسرعة اذا أرادت اللحاق بالمركبة التى كانت تحمل زوجها دائما فى الدقائق الأولى من الصباح من فوق مجمعهم السكنى ٠٠

وجدت المصعد الشديد الاتساع مزدحما على آخره بالصاعدين من الطوابق السفلى الى مركباتهم ، فلم تستطع أن تفكر جيدا فيما قاله دافيد ٠٠ وان كان الشعور بالقلق قد بدأ يتجاذب حواسها ويخرجها من حالة الشعور بالحلم التى استيقظت عليها ؟

وقد تناولت الافطار المعتاد من القهوة الساخنة والكعك ، الذى تقدمه هــذه المركبات الهوائيــة لركابهــا فى كبسولاتهم ، وهى تستعيد فى ذاكرتها بالتدريج كلمات صديق زوجها ٠٠

لقد تحدث عن عوادم الانتاج والفضلات الآدميــة ونفايات الصناعة التى تصرف فى المياه الساحلية ومياه الأنهار ، والتى أخذت تتزايد خلال الأحقاب الماضية بمعدل يفــوق قدرة جميع المحطات الكيمائية المنتشرة على جميع منافذ العادم والفضــلات لمعادلتها وتصويبها كيميائيا ٠٠ حتى أن الكثير من المياه الساحلية وعدد كبير من الأنهار قد أصبحت مسممة تماما ، أصبحت مياهها ميتة ٠٠ مجرد مناجم كيمائية لاستخراج الصوديوم والملح ٠٠ وبالتالى فلقد ماتت حولها معظم الغابات القديمة التى كانت معروفة للأسلاف ٠٠ وأبيدت أشجار الأخشاب ٠٠ ولقد حلت عوارض

البلاستيك وألواحه ، فى مجال الانشاء والتعمير .. محل هـذه الأخشاب المبادة ..

قال لها أن تلك هى المعادلة الصعبة التى يواجهها النظام العام : انتاج أكثر لتحقيق عدالة وفيرة ، يتطلب تزايدا آليا على حساب المساحة الطبيعية .. لقد أصبح الهواء مسموما فى غالبية البقاع المكشوفة ، تحلق فيه سحب الكربون والكبريت .. وما عداه فهو مغطى بألواح البلاستيك السميكة الشفافة ، التى يصنعونها الآن ببراعة تعزل الطبيعة ولا تحجب لونها .. ؟!

قال لها أن ذلك جميعه أمر منطقى بالنسبة لنوع من المخلوقات استطاع خلال آلاف الأجيال من سلالته أن يبتلع جميع المخلوقات الأخرى التى كانت تشاركه الحياة ، فلم يبق أمامه غير الطبيعة ، فابتلعها أيضا !

وأخذت حرم السيد تواصل التفكير بينما كانت تقطع باحة الركوب بحقل السبانخ الى السيارة الداخلية التى تنقلها الى غرفة التحقيق الآلى ، دون أن تستطيع الوصول الى شعور موحد .. ؟!

وفى غرفة التحقيق أخبرها الموظف المختص بأن اللجنة تنتظر رؤيتها فورا وأدخلها الى الغرفة وأخذ فى تشغيل آلاته .. فمضت تنظر حولها فى حيرة ..

كانت تتوقع أن ترى السيد زوجها ، لكن المقعد الوثير كان خاليا .. وعلى الشاشة الدائرية رأت وجوه الأعضاء الخمسة يبتسمون لها فى حفاوة .. وجاءها صوت مندوب النظام العام يخبرها أن السيد زوجها يأخذ الآن حماما شمسيا فى الشرفة المجاورة ، بعد أن وصل بهم التحقيق الى سكة مغلقة .. وأن اللجنة قد فضلت أن تمد له فترة الحمام الشمسى حتى تتاح لها فرصة الحوار معها .. قبل أن تذهب للقائه ..

وطلب منها مندوب الأمن المركزى أن تتفضل بالجلوس على المقعد الفريد الذى يتوسط الحجرة ، فجلست ، بينما بدأ مندوب ادارة الصحة العامة فى الكلام .. قال :

ان المتكلمين فى ملهى المناقشات قد بدأوا منذ فترة يطرحون على النظام العام قضية العودة الى الطبيعة ، وهى قضية عبثية لا يملك النظام العام شيئا حيالها .. لقد أصبح التوقف عن ابتلاع الطبيعة أمرا مستحيلا .. وجميع المواطنين يعلمون ان النظام العام الذى يدير الحياة الآن فى المعمورة المغطاة على كوكب الارض لم يدخر وسعا خلال مئات السنين الماضية فى سبيل انشاء طبيعة جديدة بديلة .. يتواءم معها الجميع ، ويطمئنون فى رحابها ..

أليس كذلك أيتها السيدة الفاضلة ؟

وقبل أن تنطق السيدة ، كان مندوب الأمن المركزى قد تناول ذيل الحديث من زميله وأخذ فى اكماله .. قال :

– هى قضية خاسرة ، وبالرغم من ذلك فقد يستطيع هؤلاء المتكلمون فى الملهى التغرير بالسيد زوجك ليتشبث بها أمامنا .. ويدافع عنها هنا .. ان هدفهم شديد الوضوح لنا طبعا .. فبعد أن أذيع ذلك القسم الأول من التحقيق .. انهالت علينا الرسائل والبرقيات تقول : أتركوه يعود للطبيعة .. اتركوه يلق نظرة على الطبيعة .. ؟!

ونحن نعرف أن تلك الرسائل والبرقيات مصدرها واحد ، هو ملاهى المناقشات العامة .. ؟

انهم يتوقعون أن يستفز ذلك النظام العام فيلقى بالسيد الى

تلك الطبيعة التى يطالبون بها ·· فيموت هائما فى مناجم الملح بين أبخرة الكبريت وسحب الكربون المسمومة ··

كانت حرم السيد تلهث وهى تتابع الكلمات تلقى حولها متسارعة من مكبرات الصوت العلوية ، بينما وجه مندوب الأمن المركزى يتابعها بعينيه الودودتين ·· فأخذت تتساءل عما يمكن أن يستفيده المتكلمون فى الملهى من موت السيد بهذه الطريقة ؟

وقبل أن تنطق بسؤالها كان مندوب الأمن المركزى يجيب عليه قائلا :

ـ انهم يكسبون بذلك لهذه القضية العبثية شهيدا ، تصدر عنه بعض الكتب ·· وتؤلف القصائد والغنائيات ·· ويصبح رمزا للطبيعة المجنى عليها ؟!

هل هذا يجدى أيتها السيدة الجادة ؟!

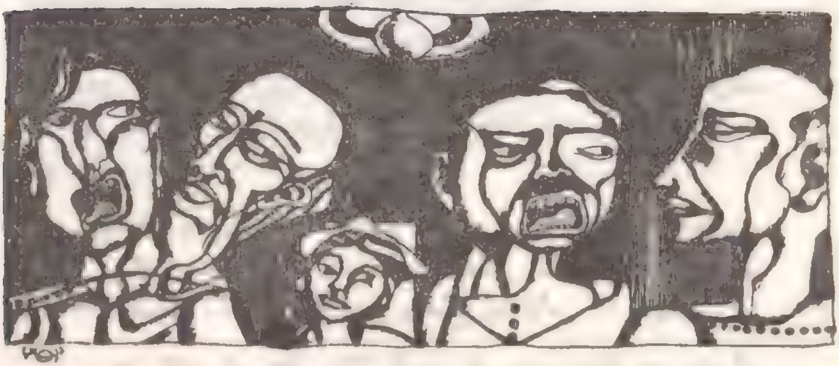
بدأت المسألة تتضح لحرم السيد وأوقعها هذا الوضوح فى الحيرة ·· وأوشكت أن تتساءل عما ينتظره النظام العام منها ، حين جاءها صوت مندوب ادارة العمل يقول بثقة :

ـ اننا نتوقع أيتها السيدة الحديثة ، أن يكون ما أدركناه من توافق دائم بينك وبين السيد هومو ·· مفيد فى مثل هذا الموقف الشديد الدقة ·· اننا نتوقع منك الشجاعة ·· ولسوف تكون التضحية بسبطة ·· ؟

ولاحظ مندوب النظام العام أن جهاز تحليل الذبذبات المتصل بالمقعد يخبره بأن السيدة قد اضطربت من الداخل عند ذكر التضحيات ·· فابتسم وهو يوضح لها الأمر ·· **قال :**

ـ من المتبع فى مثل حالة السيد أن يمنح اجازة ·· رغم أن

الظروف التى تسود الآن فى ملاهى المناقشات العامة لن تسمح بذلك ·· وقد استبعد مندوب الادارة العامة للصحة ، فكرة اعادة تزويج السيد ، باعتبار توافقكما الزوجى ·· ويبقى الحل الذى يقترحه مندوب ادارة العمل ، بانتداب السيد لبضعة شهور ، فى أحد الحقول التجريبية للمحاصيل الممتازة ·· صحيح أن ذلك سيفرق بينكما لبضعة شهور لكننا نعتقد أنه كفيل بأن يخلق مناخا متجددا ينعش ذلك الهبوط النفسى الذى بدأ السيد يتردى فيه ·· ونحن نتوقع منك أيتها السيدة الحديثة قبول هذه التضحية الصغيرة بشجاعة ، وأن تقومى باقناعه ·· !





٤ ـ اتصال غامض ؟

فى الشرفة الزجاجية الملحقة بغرفة التحقيقات الآلية التابعة لحقل السبانخ الضوئى ، كان السيد هومو جالسا وقد مدد ساقيه الطويلتين أمامه على المائدة المثلثة المصنوعة من معدن التيتانيوم ، الذى استطاع خلال القرون الثلاثة الأخيرة أن يصبح أثمن من الذهب والبلاتين وغيرهما من المعادن النفيسة التى كانت مشهورة فى العالم القديم ، لأنه أخف منها وزنا ، وأكثر منها مقاومة لعوامل الفناء ، لقرون طويلة ٠

وكان ظهر السيد هومو العريض ، وجسده المتين البناء ، غارقا فى استرخاءه متماسكة فى المقعد المصنوع من نفس المعدن ٠٠ وبينما كانت عيناه تستقبلان الانعكاسات الضوئية التى

يشعها سطح المائدة اللامع حول قدميه ، اشعاعا دائما مستمدا من ضوء الشمس الساطعة الذى يتخلل سقف الشرفة ، كانت ذاكرته تعيد عرض مجموعة من الصور لزيارة قديمة قام بها منذ سنوات. لصديقه دافيد فى موقع عمله بمعمل المحروقات الاشعاعى ٠٠ حيث يقومون بتغيير التركيب العضوى للخامات الشائعة فى الطبيعة ، للحصول منها على معادل للخامات الأخرى النادرة ٠٠

ورأى السيد فى ذاكرته مرجلا كبيرا جدا مملوءا لحافته بموجات من معدن منصهر يغلى ويتناثر منه الرزاز النارى ٠٠ وكان يقف خلف صديقه الجالس أمام مجمع أزرار الحركة فى غرفة التوجيه المرتفعة ، ويطلان على هذا المرجل من خلف زجاج الغرفة ٠٠ وفجأة توقف المرجل عن الغليان لبضع ثوان وبدأ جهاز له شكل الكمثرى وحجمها يقترب هابطا من أعلى رويدا رويدا فوق المرجل ٠٠ وقال دافيد وهو ينهض ليتناول سترته استعدادا للخروج معه : أنظر ٠٠ ان بداخل تلك الكمثرى الصغيرة المصنوعة من الرصاص مادة ذات نشاط اشعاعى مركب حسب المعادلة المطلوبة ٠٠ وباستطاعتى أن أنصرف معك الآن وسوف تقوم تلك الكمثرى بكل العمل ٠٠ سوف تعرض تلك الكتلة المنصهرة من المعدن الرخيص لكل التحولات النووية الشديدة التعقيد ، فتحولها الى المعدن النادر المطلوب وبعد ذلك سوف يتحرك المرجل أتوماتيكيا ليصب المعدن الجديد فى القوالب !

وقال السيد لنفسه :

لقد كان متوسط عمر الصلب ، أشهر المعادن القديمة ، خمسة وثلاثين عاما ، أو أربعين على أكثر تقدير ، وكان ثقيلا ٠٠ بينما المنتجات المصنوعة الآن من التيتانيوم أو الزركون ، تستطيع أن تبقى أبد الدهر ٠٠ ومع ذلك فهى أخف وزنا بكثير ٠٠؟

وقال السيد لنفسه :

ان التيتانيوم كان موجودا بكثرة فى العالم القديم ، وكان يشكل ستة من عشرة فى المائة من وزن العناصر التى تتكون منهـا القشرة الأرضية ·· ومع ذلك فلم يستطع البشر فى عالم ما قبل الحرب الألكترونية الأولى أن يستفيدوا بشكل جدى منه ، لافتقادهم الى طاقة حرارية قادرة على اذابته ·· !

وقال السيد لنفسه : ان البشريـة بالضرورة تتطور ·· من عصر النحاس الأحمر معدن الصناعات الكهربائيـة ·· الى عصر الألمونيوم معدن الطيران ·· الى عصر التيتانيوم معدن التوربينات الغازية والصواريخ وسفن الفضاء ··

وقال السيد لنفسه :

ومع ذلك فان من حق الانسان المعاصر أن يتساءل ·· الى أين ؟

أخذ يلوك هذا السؤال فى عقله وقد القى براسه الى مسند الراس المخملى الاستجابة المثبت فى ظهر المقعد ، بينما كان يرتفع بعينيه الى شجرة الاكاسيا الضخمة والوارفة ، والتى تعلو المائدة المثلثة التى يمدد عليها ساقيه ، ويجوس ببصره بين أوراقها الخضراء وزهورها الحمراء والصفراء والبنفسجيـة ، التى تسقط بين الحين والحين زهرة منها فوق ساقيه ··

وكاد يصيح قائلا :

من ذا يصـدق أن شجرة صناعيـة كهـذه ، تتصـرف هذا التصرف الحى ، وتسقط بين الحين والحين ورقة من أوراقها كما كانت تفعل الأشجار الحية ؟ ·

لكنه تذكر علم التحويلات المدهشة ·· الكيمياء ·· التخليق هو مجال الابداع للكيمياء ··

لقد ذهبت مزارع المطاط الحى فى طى النسيان بعد أن قدمت الكيمياء للعالم القديم الحداثة ، مطاطا له بعض المزايا القيمة التي لم تكن توجد فى المطاط الطبيعى ··

وقد ألبست الكيمياء أجدادنا القدامى ملابس وأحذية من الألياف والأنسجة الصناعية ، تفوق بدرجة كبيرة مثيلتها الطبيعية ··

وكانت الجدات يحطن أعناقهن بقطع فنية جميلة من الاصطرخان المصنوع من ألياف الأنيد ، أحسن بكثير من فرو ألاسكا الطبيعى !

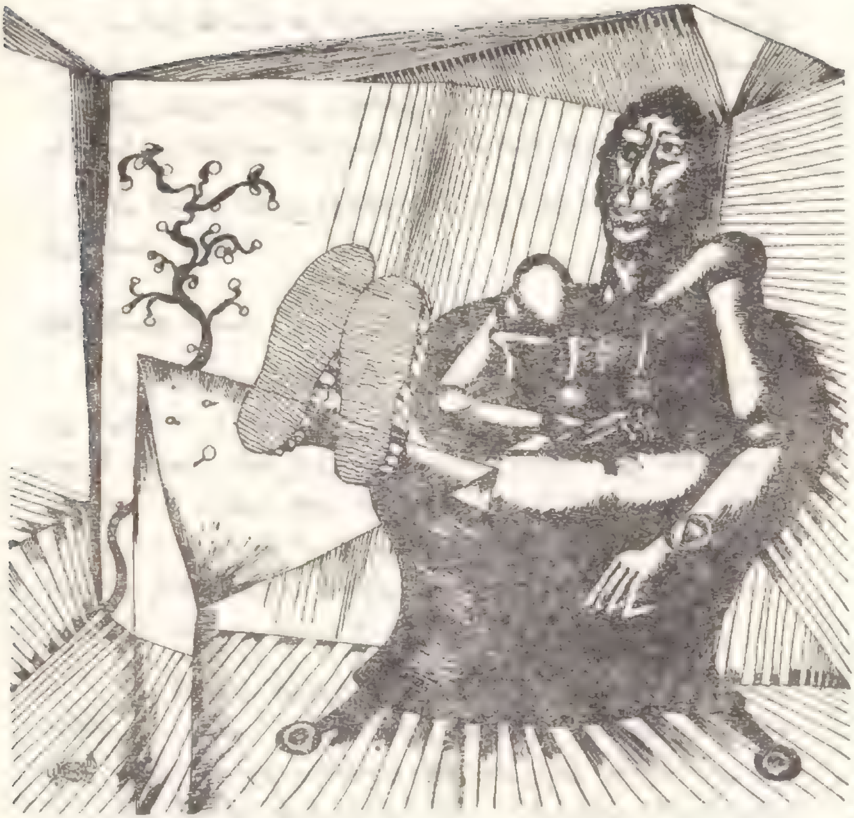
وقال السيد لنفسه :

نحن لم نقرأ أبدا فى الكتب القديمة ، وصفا لصخور ، أو جذوع أشجار ، أو قرون حيوانات ، من مادة البلاستيك ·· فهذه المادة ابتدعها الانسان القديم الحداثة ، ولم تكن موجودة فى الطبيعة ·· ابتدعها بالتخليق الكيمائى ··

وقال السيد لنفسه :

حقا ان البشرية تتطور فعلا ·· ولكن الى أين ؟!

كان السيد مسترخيا تمام الاسترخاء ، غارقا فى تأملاته ، مستمتعا بأشعة الشمس المجردة من الحرارة الضارة عن طريق السقف الزجاجى ، وهى تنعش خلايا جسده الجميل العارى الممدد تحت شجرة الأكاسيا التى تفوق فى جمالها زميلتها فى الطبيعة



القديمة ، وكان السيد يقول لنفسه : ما هذه الطريقة التى تفكر بها يا سيد هومو ؟ •• أنت تعرف جيـــدا الى أين •• لكثرة ما سمعت ذلك من أجهزة الاعلام المسموعة والمرئية ، صباحا ، ومساء •• « ان قدر الانسان هو الخلود •• وهذا الخلود يكمن فى خضوع الانسان لنواميس تريد له التطور المستمر عن طريق الارتقـــاء التدريجى بتكوينه العقلى والعاطفى والخلقى ، بسبب الخبرة التى يكتسبها من التجارب المتواصلة التى تفرضها عليه حياته •• » ؟!

ان الشعار المعبود اجتماعيا الآن هو « من الانسان القرد •• الى الانسان الملاك ؟!

وقال السيد لنفسه :

لسوف تهلك جوعا بتلك المناقشة مع نفسك دون أن تتوصل الى نتيجة •• وكان قد قرر أن يتجاوز مواعيد الوجبات ويكـرر تجربة الشعور بالجوع ويطلق العنـــان لتأملاته فى تلك الشرفة الحديقة •• انتظارا لمقدم السيدة زوجتـــه التى أخبروه بطلبها لرؤيته •• وكان طوال الوقت مشغول الذهن فى خلفية تأملاته جميعا ، بذلك التصرف العفوى الذى أدى به الى هـــذا الموقف ، يحاول أن يعثر على تفسير له •

كان قد علق قميصه المخملى النسيج على أحد فروع شجرة الأكاسيا ، فنهض بصدره العارى وبنطلونه الملتصق بجســـده وسار متجها الى أنبوب التغذية الذى يخرج من الحائط وفى نيته أن يتناول كوبا من عصير الفاكهة فقط •• ليستطيع المقاومة ويظل محتفظا بصفائه الذهنى •

وقبل أن يقترب من أنبوب الغذاء ســـمع أزيزا فالتفت الى ساعة يده التى تستخدم ايضا كجهاز استقبال وارسال صوتى ،

وبدأ يسمع بعد أن رفع ذراعه بالساعة الى مستوى وجهه .. وكان النداء يقول بصوت يبدو قويا وواثقا : أيها السيد من حقل السبانخ .. اسمى بروف ، وأنا أناديك .. هل تتخاطب معى ؟

وأخذ السيد يبحث فى ذاكرته عن صدى لذلك الأسم ... بروف .. لكن لم يجد شيئا .. فقال : ايها السيد بروف .. لقد تبين لى أننى لا أعرفك من قبل .. لكن تفضل بالحديث .

وقال بروف : يا رجل السبانخ .. أنت لا تعرفنى بالفعل ، لكننى كنت اتابع حكايتك فى ملهى المناقشات ، وقد اثار موقفك اهتمامى جدا .. وأحب أن أخبرك برأيى حول مسألتك ، فى لقاء شخصى .. أريد أن التقى بك ؟

وقال رجل السبانخ :

لا شك أنه يسعدنى لقاءك . وأننى لمقدر لك هذا الاهتمام بمسألتى .. لكن .. فى الواقع يا سيد بروف .. لقد أصبح وقتى مرهونا بهذا الاستجواب السخيف ، ولست أدرى متى سأنتهى منه ؟

وأجاب بروف بسرعة :

.. كلا .. كلا .. لا تشغل بالك الآن بمتى ينتهى هذا الاستجواب .. فانه سيستغرق وقتا طويلا فيما أعتقد .. انهم فى لجنة النظام لا يفهمون المسألة .. كما أنهم أيضا فى كثير من ملاهى المناقشات لا يفهمونها كما أفهمها ..

وسأل رجل السبانخ بدهشة : هل تناولوا مسألتى فى ملاهى المناقشات أيضا ؟

وقال بروف :

ألم يخبرك أحد ؟ ·· لقد اصبحت حكايتك غذاء المناقشات فى تلك الملاهى ·· لكنهم للأسف ، لم يتوصلوا الى جوهر المسألة ·· انت ضحية للثقافة ايها السيد ·· ضحية لهذا الشغف المؤلم بالمعرفة والذى تغذيه اوقات الفراغ المتعددة التى يتيحها لنا هؤلاء العبيد الآليون الذين يقومون عنا بأعباء غالبية الأعمال التى كنا نقوم بها !

أنت ضحية للعبيد الآليين يا رجل السبانخ !

وقال رجل السبانخ بدهشة :

أيها السيد بروف ·· ماذا تقصد ؟

أكاد اقول أننى لم أفهمك ! ··

وصاح بروف على الطرف الآخر بمرح : كيف لم تفهمنى ايها الرجل ؟ العبيد الآليون هم السادة الجدد ! هم سر تلك الظواهر الدالة على التعاسة ، والتى بدأت تظهر هنا وهناك !؟

وقال بروف فجأة :

اسمع ·· أنا لا أستطيع الافصاح أكثر من ذلك ·· يجب أن نلتقى ··

اننى أدعوك فى الساعة السابعة من مساء ثالث أيام العطلة الاسبوعية القادمة ، فى القاعة الكبرى للمحاضرات والاحتفالات المعلقة فى سماء الربع الشمالى الغربى من المعمورة ·· أنت تمتلك سيارة هوائية خاصة بالطبع ·· فيمكنك الوصول الى القاعة خلال ساعتين على الأكثر ، من أى مكان فى الربع ·

وقال هوامو رجل السبانخ :

لا استطيع أن اعدك .. لكننى سأفعل لو وجدت الوقت .

وقال السيد بروف :

لابد أن تأتى .. تعالى ولن تندم .. سوف تستمع الى محاضرة حول المستقبل البشرى .. وسوف تشاهد فيلما وثائقيا هاما لم يعد يعرض منذ سنوات ، عن الحروب الألكترونية الأولى التى خربت كوكب الأرض فى بداية القرن الواحد والعشرين .. ولسوف تعلم أشياء كثيرة تفيدك فى موقفك ..

وقال رجل السبانخ :

ان ما تعلن عنه اشياء هامة تستحق السماع والرؤية .. وأؤكد لك اننى راغب فعلا فى الحضور ..

– اذن الى اللقاء .. اننى أعرفك من صورتك التى شاهدتها فى الاستجواب المذاع .. ولسوف تجدنى فى انتظارك فى محطة السيارات الهوائية الملحقة بالقاعة .

– شكرا لك ..

– الى الملتقى ..

وانقطع الصوت ، فأنزل رجل السبانخ ذراعه الى جانبه ووقف لحظة يفكر فى الأمر ..

قال لنفسه .. حقا ان الانسان ليس كائنا مفكرا فحسب ، ولكنه عاطفى أيضـــا ، وهذا سر وقوعه فى الأخطاء بين الحين والحين ..

واقترب من الجدار فتوقف انبوب الغذاء المتحرك وأرتفـع

غطاؤه لكن هومو لم ينتبه ، فقد كان يفكر فيما قاله السيد بروف الذى خاطبه دون أن يعرفه ، حول العبيد الآليين ..

من المؤكد انه يقصد تلك الآلاف المؤلفة من الروبوتات التى تقوم الان بخدمة البشر فى كل مواقع العمل الدنيئة والخطيرة ..

انها أجسام آلية من المعدن ، لا تملك نفعا ولا ضرا ما لم يتقدم الانسان ويغذى عقولها الالكترونية بالمعلومات المطلوبة ، فكيف يمكن لهذه الالآت أن تمتلك السيادة ؟!

وقال لنفسه : ان السيد بروف يبدو جادا ، ولابد أنه قد درس هذه المسألة دراسة مستفيضة ؟

يجب أن أدبر الوقت للقائه فى تلك المحاضرة التى دعانى اليها .

وانتبه السيد الى غطاء الأنبوب الغذائى المفتوح ، وكان الدخان يتصاعد من الوجبات الساخنة فى القسم الساخن .. كما يتصاعد أيضا بخار التبريد من المشروبات المثلجة فى القسم البارد ، رغم انهما متجاوران .. وقال السيد لنفسه : ها أنت قد بدأت تكرر أخطاء شرودك .. لقد كان ممكنا أن يظل ذلك الأنبوب معطلا عن الحركة وقتا طويلا طالما أنت متوقف أمامه مستغرق فى أفكارك .. !

ومد يده بسرعة فتناول من القسم البارد كوبا كبيرا من عصير الفواكه ، ثم ابتعد ، فانغلق الغطاء وعاد الأنبوب يواصل حركته.. وحين استدار السيد حاملا كوبة العصير فى يده ليعود الى مكانه حيث يمدد ساقيه على المائدة المثلثة ، فوجىء بالسيدة زوجته داخل الشرفة واقفة تنظر اليه وظهرها الى الباب المصنوع من الزجاج السميك الملون .

وكان اللقاء بين السيد هومو والسيدة ليالى زوجته .. شديد الحرارة ، فقد تقدم هو الى المائدة ووضع كوب العصير .. بينما سارت هى فى لهفة متزنه ووقورة حتى اقتربت منه واحاطته بذراعيها ، وأسندت رأسها على صدره .. فأنحنى السيد على رأسها وقبلها فى جبهتها .. ثم قبل شعرها فرفعت وجهها اليه وقبلته فى شفتيه .. وقد ظلا متعانقين وصامتين فترة ليست بالقصيرة .. ثم قالت السيدة وهو يقودها من ذراعها بحنان الى أحد المقاعد :

– أرجو أن تسامحنى .. لقد تسببت لك فى كل هذا بابلاغى السخيف عن غيابك .. !

وابتسم السيد بحنان وهو يقول لزوجته :

لا عليك .. لقد كان من الطبيعى أن تقلقى لغيابى .. ولو لم تقومى بالابلاغ ، لكانوا هم سيكتشفون هذا الغياب .. فالظاهر أنهم يواجهون هذه الأيام عددا مماثلا من الانقطاع المفاجىء عن تيار الحياة المرسوم .. فحالتى ليست الوحيدة .. لقد أخبرنى موظف غرفة الاستجواب بذلك ..

وقالت السيدة ليالى بلهفة :

فعلا .. انهم يتحدثون عن ذلك أيضا فى الملهى .. لكن حالتك أنت هى التى تهمنى الآن .. لقد منعنى شعورى بالذنب من الاتصال بك أمس .. كنت أود أن لا تكون لى يد فى تلك المسألة .. ارجو أن أستطيع مسامحة نفسى .. !

وأخذ السيد يتطلع الى وجه زوجته بحب وهو يفكر ..

نفس الوجه ·· نفس النظرة ·· العطوفة ··

هى هى لم تتغير ·· ليالى الرقيقة التى قدموها له منذ خمس سنوات فى احدى الحفلات الأسبوعية التى تقيمها لجنة ترتيب المجتمع حينما جاء موعد الاستجابة لطلب زواجه ··

هى التى اختارتها الآلات الحاسبة الالكترونية له ، بعد أن أحصت صفاته وصفاتها الموروثة والمكتسبة ، وقارنت وافترضت حتى خرجت فى نهاية الحساب بتلك النتيجة ·· أنهما أصلح شخصين للتكامل بالنسبة لكل منهما ، وفيهما من عناصر التوافق والتناقض ، القدر الكافى الذى يمنحهما حياة بهيجة متجددة ·· مع ضمان نسل صحيح فى حالة السماح لهما بالانجاب · ؟!

وبالنسبة للجانب الأول فان الالآت لم تكذب فى الحقيقة ، فان حياته مع ليالى ، هى حياة بهيجة فعلا ، هو يحب القراءة وهى لا تحبها ·· لكنهما معا يحبان الاطعمة التاريخية والمشروبات التارخية ·· ولديهما ميل مشترك لكل ما هو قديم ··

هو لا يثير الجنس اهتمامه بشكل دائم ·· لا يفكر فيه كثيرا ، وهى تختلف عنه بعض الشىء فى ذلك ·· أنها تفكر فى الحب كلما أحست بالتعب ·· حين تعود مرهقة من العمل مثلا ·· فيستجيب لها ·· لكنهما يحبان السفر ·· وذوقهما فى اختيار الأشياء متقارب وكل منهما يحب الآخر ويشعر بالطمأنينة والراحة معه ·· وهذا هو ما يجعل حياتهما بهيجة ·· « فلماذا اذن توقفت أيها السيد عن دخول مركبة العودة فى تلك اللحظة اللعينة ·· » ؟

وعندما وصل الى هذا الحد من أفكاره ، زفر زفرة حارة وانتبه الى زوجته التى كانت تحدق فى شروده وهى مبتسمة وقالت له :

ـ اننى اقرأ أفكارك ··

ـ وردد السيد بقلق :

ـ اريد أن اضع يدى على السبب الحقيقى لما حـــدث .. سأظل مشغولا بذلك ..

وقالت ليالى :

أنا نفسى أود معرفة السبب ، ومندوبو لجنة النظام يودون أيضـــا معـــرفته .. وفى ملاهى المناقشات يخترعون أســـبابا عديدة .. ؟

وسأل السيد زوجته فجأة ، كأنما حديثهـــا عن مـــلاهى المناقشات قد ذكره بشىء .

ـ هل سمعت بشخص يدعى بروف ؟ ..

فأخذت تردد الاسم برهة :

بروف .. بروف .. كلا .. لا أظن أنى سمعت به مـــن قبل .. آوه .. تذكرت .. أعتقد أنى رأيتـــه يتكلم فى ملهى المناقشات ، فى زيارتى الأخيرة .. وكان يبدو من هيئته كواحد من الأفراد الشديدى الأهمية . ؟

ـ لقد اتصل بى هذا الشـــخص وقال لى كلاما يســـتحق التفكير ..

ومضى السيد يتحدث بلهفة وكأنه يوشك أن يكون مقتنعا بما يقول :

ـ لقد حدثنى هذا السيد بروف عن هذه الروبوتات التى تقوم بالخدمة فى المصانع والأبراج السكنية والمزارع ومعـــامل

المحروقات وفى الفضاء الكونى أيضا ·· انه يسميهم العبيد الآليين ·· لكنه يقول أنهم السادة الحقيقيون ·· وأننى ضحية لهم · !

ما معنى هذا يا ليالى ·· ؟ ·· يجب أن تفكرى معى ··

ونهضت السيدة ليالى وهى تبتسم ، ووجهها مشبع بالحب، وتعلقت بعنق زوجها وجلست فى حضنه ثم قالت له :

ـ يا رجلى العزيز ·· لا تترك عقلك يسبح وراء هذه الأفكار كلها ·· ان الأفكار بحار لا حدود لها ، وقد تغرق فيها ·· لقد فكرت أنا فى الأمر ، وأنا فى طريقى لزيارتك اليوم ، وأشعر بأنك قد وقعت فى براثن ميكانيكية التكرار ·· !

اسمع ·· لقد اخبرنى مندوب النظام توا أنهم قد استبعدوا فكرة الفصل بيننا واعادتنا الى لجنة ترتيب المجتمع ·· فهل كنت تود ذلك حقيقة ·· ؟

ونظر رجل السبانخ الى زوجته بدهشة ·· لكنها تابعت حديثها :

ـ أننى أشعر بشرودك ونحن معا فى فراشنا خلال الأسابيع الأخيرة ·· ولقد أمضيت بعض الوقت فى الحب أنا وصديقك دافيد فى الليلة الماضية ، رغم أننى كنت أرفض ذلك ، ولكننى شعرت بمتعة جديدة ·· تبددت البلادة من حواسى وأصبحت فى حالة من الوعى بالواقع ، أكثر عمقا مما كنت من قبل ·· ربما تكون أنت فى حاجة لمثل ذلك ؟ ·

وأخذت السيدة ليالى تمسح وجه زوجها بشفتيها وهى تغمغم : صدقنى يا رجلى الحبيب ·· ان التكرار يؤدى الى التشبع والسأم ، وسرعان ما يضمحل الاحساس بانجاز شىء ما ، وبذلك

تفقد دائرة الاتصال الجنسى اكتمالها ‥ لكنها تتجدد وتكتمل ، مع شريك جنسى جديد ‥ أو شكل جنسى جديد ‥ وأنا وأنت كما تعلم لسنا خبراء فى تلك المسائل ‥ ولهذا ‥ أرجوك ‥ يجب أن تذهب وتمضي بعض الوقت فى صالون الحب الحر ‥ ؟

وقال السيد بدهشة حقيقية :

– ليست هذه هي المشكلة ، اؤكد لك ‥ ليس الجنس هو ما يشغلني ‥

اننى اشعر أن كلام السيد بروف قد أوشك أن يقترب من الحقيقة ‥ فأنا أقرأ كثيرا ، وأنا مشغوف بالمعرفة الى حد مؤلم ‥ وكثيرا ما يلح علي روحى شغف غريب الى العالم القديم الغامض والمبهم بالنسبة للذين عاشوه ، والواضح والمفتوح ككتاب أمام ذاكرتى ، أنا الانسان المعاصر فى عصر العسل ‥ الذى لا يستطيع بكل هذه المعلومات الهائلة والأدوات الهائلة التى أمتلكها ، أن يتطلع لما هو أبعد من المجرة التى يعيش فيها ‥ ؟!

نحن حبيسوا مجرتنا يا ليالى ، وكلما ازددنا تقدما فى الكون كلما فقدنا احساسنا بذواتنا بعد ادراكنا لضآلتنا ‥ وكلما ازددنا بعدا فى رحلتنا كلما ازدادت حاجتنا لابتكار ادوات وآلات أقوى منا ‥ اننا قد نخلق كائنات تتفوق علينا ‥ واخشى ما أخشاه أن نكون قد أصبحنا فعلا عبيدا لهذه الآلات التى خلقناها كما يقول السيد بروف ‥ !

وقالت ليالى :

– دعك من بروف هذا ، أنا لا أشك لحظة فى أنه واحد من المخرفين الذين يملأون ملاهى المناقشات بالصخب ‥ اسمع

يا زوجي الحبيب .. اذا داومت على التفكير بهذه الطريقة فسوف تفقد الصلة بالواقع .. وربما تفقد الهدف أيضا .. وسوف يؤدي بك هذا الى الهستيريا ..

في عصر العسل الذى نعيشه الآن ، وبعد أن وصل الانسان الى هذه الدرجة من القوة والسيطرة فانه لمن العار أن يعود وينزلق من جديد الى أسفل السلم التطورى .. !

يجب أن تبرهن على أنك قادر على مقاومة الانعكاسات التى تسبب الملل من الواقع ، وتؤدى الى انهيار الهدف .. اذهب الى صالون الحب الحر لبعض الوقت .. كلهم يفعلون ذلك ، لأنهم يعلمون أن اللقاء الجنسى الناجح يستطيع أن يوحد الذات المنقسمة .. وأن يعيد للانسان احساسه بالانتماء للواقع ، واحساسه بالقوة .. وأنت تعلم أن فتيات صالونات الحب الحر ، صغيرات السن وفاتنات حقا ، ومدربات على أفعال الحب المختلفة .. انهن موهوبات بالفعل .. صديقك دافيد يقول هذا ..

ونهض رجل السبانخ بعد أن أنهض زوجته عن ركبتيه بحنان ورفق ، وقال لها ..

ـ ها أنت تدفعيننى دفعا للتصرف بالطريقة الاجتماعية المعتادة والمألوفة لأستعيد أنسجامى وتوازنى بسرعة وأتلاءم مع هذا المجتمع ، فى الوقت الذى أشعر فيه بانجذاب شديد للتلاؤم مع الحياة نفسها .. التى أعتبر نفسى قبسا منها .. ؟

ولاحظت السيدة ليالى أن السيد هومو يشعر بالتعاسة فعلا وهو يتكلم .. ؟

كان هذا اللفظ القديم قدم البشرية ، قد بطل استعماله فى هذا القرن الأخير ، واختفى من معظم القواميس الحديثة بعد ان

نجح النظام باغراق المواطنين فى بحار من الحيـاة اللذيذة المتنوعة والسهلة ، لدرجة ان العصر قد أصبح بحق وعن جدارة يستحق تلك التسمية التى أطلقوها عليه ·· عصر العسل ···

ولكن ها هو مخلوق متكامل الوعى فى عصر العسل يستعيد من بطون الزمن ذلك الشـعور التاريخى القـديم ، ويمارسه ، فتنقبض نفسيته عن جميع اللذات والمتع ، ويحتقن عقله من كثرة التفكير ، ويمتنع بارادته عن كل العلاجات الميسورة التى أتاحها النظام للوقاية من كل هذه المشاعر القديمة المنقرضة ، مثل السأم والاكتئاب أو الاحباط والتعاسة ·· ؟!

ولم يكن السيد هومو يتصور أبدا ·· بل أنه الآن وهو يستعيد الحكاية كلها فى رأسه ، يكاد لا يصدق ، أن تلك اللحظة الخاطفة التى توقف فيها عن متابعة تيار حياته اليومية يمكن أن تؤدى به الى كل تلك المواقف والمشاعر التى وقفها أو شعر بها ···

وقال فى نفسه أنه من المفيد جدا أن يكتشف نفسه ويتأمل موقفه ـ لأول مرة ـ من تلك الحياة اللذيذة السهلة ، التى كان يحياها طوال الخمسين سنة الماضية دون أن يفكر فيها ··

من المفيد جدا أن يتوقف الانسان لحظة فى منتصف العمر ، ويتأمل مسيرته الماضية ، ويستشرف مسيرته المستقبلة ···

ولكن ·· لماذا هذا الشعور بالتعاسه ·· ؟

هل لأنه كان عليه أن يسلم بأن خللا ما قد حدث فعلا ، وأدى الى توقفه عن تيار حياته ، وأنه لا يستطيع أن يقرر حقيقة ، اذا ما كان هذا الخلل فيه هو شخصيا ·· أم فى النظام الذى يدير

الحياة في المعمورة البشرية على بقايا كوكب الأرض فى هذا العصر العسلى ؟!

وقد لاحظت السيدة ليالى أن عضــلات وجه زوجها تتحرك تحت الجلد بتوتر ظاهر وهو يستغرق فى أفكار مخبأة ، بينما هو يتحدث معها ·· أو ينهض فجأة وهو يحملـق أمامـه بعينين زائغتين فى الفراغ متناسيا وجودها ··

فانتابها القلق عليه فعلا ·· وأخذت تردد فى حزن : كلا ·· لا يمكن أن تستمر يجب أن تعود الى البيت فورا وتنام ·· يجب أن تنام فورا ···

ومشــت مسرعة الى الباب الزجاجى الملون الذى يقود الى غرفة التحقيقـات ، فوجدت موظف الغرفة مســترخيا فى مقعد التحقيقات الوثير ، وهو يتابع على احدى الشاشات التليفزيونية الصغيرة رحلة مصورة قام بها المحرر التليفزيونى الى تلك المدينة القمرية القديمة « اراثوسفيننز » أول مدينة بنيت على القمر فى القرن الماضى لتخليق مركز دائم مسكون يتخـذ كقاعدة أو محطة لسفن الفضاء التى تغادر الأرض فى طريقها الى كواكب المجموعة الشمســية الآخرى ·· وكانت الكـاميرا كعادتها فى مثل تلك الرحلات تستعرض غرائب الأشياء ، وحين دخلت حرم السيد الى الغرفة كانت على الشاشة الصغيرة ، فجلة فى حجم شجرة النخيل القديمة ، وكان موظف التحقيقات يحـدق فى هذه الفجلـة وهـو يبتسم فى سعادة بهذا الانجاز الانسانى فى تطوير الزراعة فى تربة القمر المعدنية ، فصاحت به حرم السيد فى لهفة :

– أيها الأخ الموظف ·· ان رجل السبانخ مريض ·· يجب أن أعود به فورا الى البيت ··

فنهض الموظف احتراما لوجودها ، وقال ببساطة :

ـ أعتقد أن هذا أفضل ‥ لقد تركت اللجنة المسألة بين يديك ‥ ولدى التعليمات بان أساعدكما على العودة الى مسكنكما ‥ وأن أخبر السيد بأن اللجنة تنتظر مثوله أمامها لمواصلة التحقيق ، عندما يشعر برغبته فى ذلك ‥ !؟

وقالت حرم السيد :

هل نستطيع الآن أن نجد سيارة تحملنا الى منطقة الأبراج ؟

فسألها الموظف بحرج :

الا تملكان سيارة خاصة ؟

فأجابت حرم السيد بسرعه :

ـ ان لدينا سيارة ولكنى لم أجىء بها ‥ لقد جئت فى كبسولة حقل السبانخ كما تعلم ‥ ؟

وقال الموظف :

اذا كان لديكم خادم آلى فى البيت ، فيمكننا استدعاء السيارة هل لديكم واحدا ‥ ؟!

ـ نعم لدينا واحدا ‥

ـ أعطنى أرقام تشغيله ‥

وأملت السيدة ليالى على الموظف الأرقام الخمسة لتشغيل خادمها الآلى ، فذهب الموظف الى دولاب توجيه الحركة الذاتية ،

وضبط المؤشر على منطقة الابراج ‥ ثم ضغط ازرارا وسجل أرقاما أدت الى توجيه القوة الاشعاعية المحركة الى البرج السكنى الذى تقع فيه شقة رجل السبانخ ، ثم سجل الأرقام الخمسة التى أملتها عليه السيدة ليالى وضغط زرا ، فبدأت ذبذبات الاستجابة الاشعاعية تظهر على شاشة الجهاز أمامه ‥ فأخذ يدق باصبعه على زرار طبع التعليمات دقات تختلف فى الطول والقصر والمسافة الزمنية ، كانت تتحول الى كلمات مكتوبة تظهر على الشاشة أمامه: أيها الروبوت الطيب ، هل أنت مستعد لتلقى هذا التوجيه الخارجى ‥ !؟

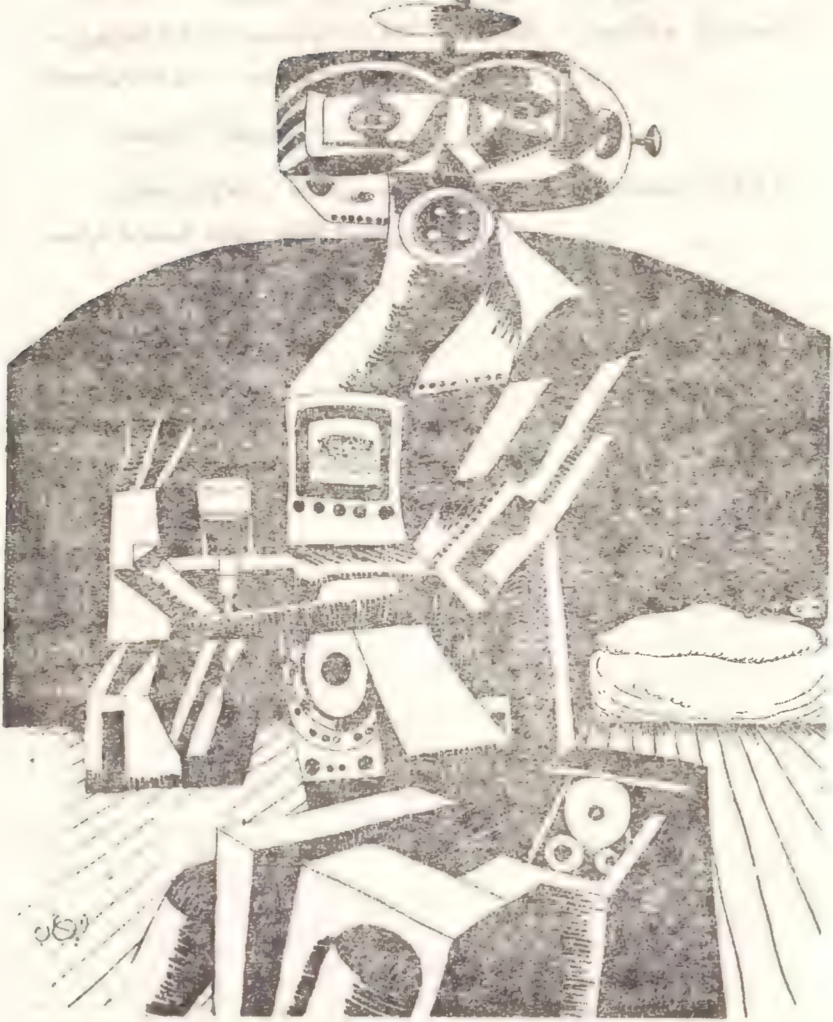
وانتظر الموظف لحظة اختفت بعدها الجملة التى كتبها ، وبدأت تظهر مكانها اجابة الروبوت من الشقة : أنا مستعد ‥

وقال الموظف للروبوت أن سيدته تقف بجواره الآن وهى تريد منه أن يصعد الى محطة السيارات فوق سطح البرج ، لكى يرسل لها سيارتها الخاصة الى ساحة الركوب بحقل السبانخ ‥ فسأله الروبوت عن أرقام تشغيل السيارة ‥ قال الموظف للسيدة : ماهى أرقام السيارة ‥ فأملته السيدة الأرقام ، وأملاها هو بدوره للخادم الآلى ‥ لكن الخادم قال له : أرجو أن تعطينى السيدة أرقام السيارة بنفسها !

وغمغم الموظف :

تلك الآلات الخادمة اللعينة ، لا يمكن أبدا خداعها ‥‥

تفضلى باملاء الأرقام بنفسك ‥



فتقدمت السيدة بنفسها من لوحة التوجيه ، وقالت للروبوت أرقام السيارة ، فجاءت الاجابة : سأقوم بارسال السيارة فورا يا سيدتى .. أية توجيهات آخرى .. ؟

فشكرته السيدة ...

وتقدم الموظف فاغلق جهاز التوجيه وهو يسب الروبوت سبابا فاحشا داخل عقله الباطن !!



٥ ـ حالة السيد هومو ؟

تحرك الخادم الآلى من مكمنه داخل الشقة الى باب الخروج ، ومشى بجسمه المعدنى الخفيف الموشى بعوازل من البلاستيك نمنع الضجة التي تصدر عن حركته ، حتي وقف أمام المصعد ٠٠ وبعد لحظات ابتلعه المصعد فصعد به الى سطوح البرج السكنى فخرج يدب بقدميه المطاطتين على بازلت السطح حتى وصل الى مكان السيارة الصغيرة ، ففتح بابها ، وأخذ يسجل أرقام التشغيل على لوحة التوجيه ، ثم ضبط مؤشر الاتجاه والمسافة على ساحة الركوب بحقل السبانخ وآدار المحرك ، وأغلق باب السيارة ثم ابتعد عنها ٠٠ وبعد بضعة ثوان ، كانت السيارة ترتفع فوق السطح الى الفضاء ثم تستدير الى الاتجاه المحدد لها وتنطلق ٠٠ فاستدار الخادم الآلى أيضا ليعود الى مكمنه ٠

وكان موظف غرفة التحقيقات قد صحب السيدة ليالى الى الشرفة الحديقة حيث يوجد السيد زوجها ·· فحياه بحرارة ثم طلب منه أن يصحبه الى الغرفة الصحية ، ليجرى له كشفا صحيا قبل انصرافه ·· وقال له وهو يقوده الى أجهزة قياس الضغط ورسم القلب ، واحصاء الكريات الدموية بنوعيها ، أن هذا روتين لابد منه حتى يطمئن على سلامته ·· وحين انتهى من ذلك ، أجلسه على مقعد ووضع على رأسه هالة من معدن رقيق متصلة بجهاز لقياس تدفق الدم الى المخ ·· ثم فرك يديه فى بهجة وهو يبتسم للسيد والسيدة قائلا أن كل شىء على ما يرام ·· وأن السيد فى حاجة الى النوم فقط ويجب أن يعود الى فراشه الآن فعلا ···

ثم أركبهما مركبة خاصة وأطلقها بالتوجيه الذاتى ، فحملتهما الى ساحة الركوب بحقول السبانخ وعادت الى موقفها الملحق بغرفة التحقيقات ··

ووقف السيد والسيدة فى ساحة الركوب يبحثان بعيونهما عن سيارتهما الخاصة حتى رأياها تقبل محلقة فى اتجاههما ، ثم تهبط وتتوقف على بعد بضعة أمتار منهما ، فسارا اليها ، وكان السيد يبدو مكدود الذهن ، فاسترخى فى المقعد الخلفى الواسع بينما تولت السيدة ضبط جهاز التوجيه الذاتى من موقعها الأمامى ·· وحين انطلقت بهما السيارة فى الفضاء أطلقت السيدة ليالى لأفكارها العنان وهى ملقية برأسها على ظهر المقعد ···

كانت واثقة من اعتقادها الغريزى المدعم بالمعلومات أن للفعل الجنسى مكانة مميزة خاصة جدا بالنسبة للبشر ، كما أن له ردود فعل حيوية خاصة ·· فلقد أثبتت كل الدراسات التى أجريت فى العالم القديم أن الانسان هو النوع الوحيد الذى تحصل فيه الأنثى على النشوة الجنسية ، كما انه النوع الوحيد الذى يحدث فيه الاتصال

الجنسى بين الذكر والأنثى وجها لوجه ٠٠ وقد كان ذلك أمرا عاما وشاملا فى كل الحضارات ٠٠ وهو دلالة ، أدركها الانسان بغريزته على أن الفروق البايولوجية والشكلية بين الذكر والأنثى فى النوع الانسانى أقل بكثير ، منها عند الحيوانات الأخرى ، وقد أدى هذا الادراك الى تطور الانسان الشبيه بالحيوان الى الانسان ٠٠٠ وفى فترة لا تزيد عن الخمسة ملايين عام استطاع ان يوفر لنفسه شكلا من أشكال التناسل ، خاصا به وحده ويعمل بسرعة شديدة للغاية أكثر من عمله فى المملكة الحيوانية والنباتية ، ذلك هو الاختيار الجنسى ٠٠ الذى ينتج التنوع والتغاير ويدفع بالتطور الى الأمام ٠٠ فالتطور أساسه التنوع ٠٠ والأنسان بالمقارنة بجميع الحيوانات ٠٠ هو المخلوق الأكثر ابداعا عبر القرون لأنه ظل يحمل فى سلالاته تلك الذخيرة المفجرة للتنوع عبر الاختيار الجنسى الحر ٠٠ فى تلك القرون القديمة ولدت العقول الجبارة التى اكتشفت النار ، والزراعه ، وقوانين الفلك ، والجاذبيه ، والنسبية ٠٠ والكترونيات الذرة ٠٠ وغيرها من الفتوحات العلمية المثيرة ٠

لكن هذا الانسان ظل متأرجحا عبر مسيرته الطويلة فى التطور ، بين رغبته فى تحقيق غرائزه ورغباته من جهة ، واعترافه بالمسئولية الاجتماعية من جهة أخرى ٠٠ وليس فى الحيوانات من واجهته تلك المشكلة ؟!

فالحيوان اما أن يكون اجتماعيا ، أو فرديا ، وليس غير الانسان من بين المخلوقات الحية من تطلع الى أن تكون له هاتان الميزتان معا ٠٠ أن يكون فرديا واجتماعيا فى نفس الوقت ٠٠ وربما كان ذلك هو الخطأ المرضى فيه ٠٠ ؟

لقد كان الجنس أداة بيولوجية للتكاثر ابتدعتها الطحالب منذ بضعة بلايين من السنين وبينما ظلت الطحالب متشابهة طوال

تلك البلايين من السنين ، فان الانسان قد طور تلك الأداة وجعلها أساسا لارتقاء البشرية ونموها الحضارى ..

والانسان نفسه هو الذى ابتدع لنفسه الحب الروحى وهو ينمى الجانب الاجتماعى فيه ..

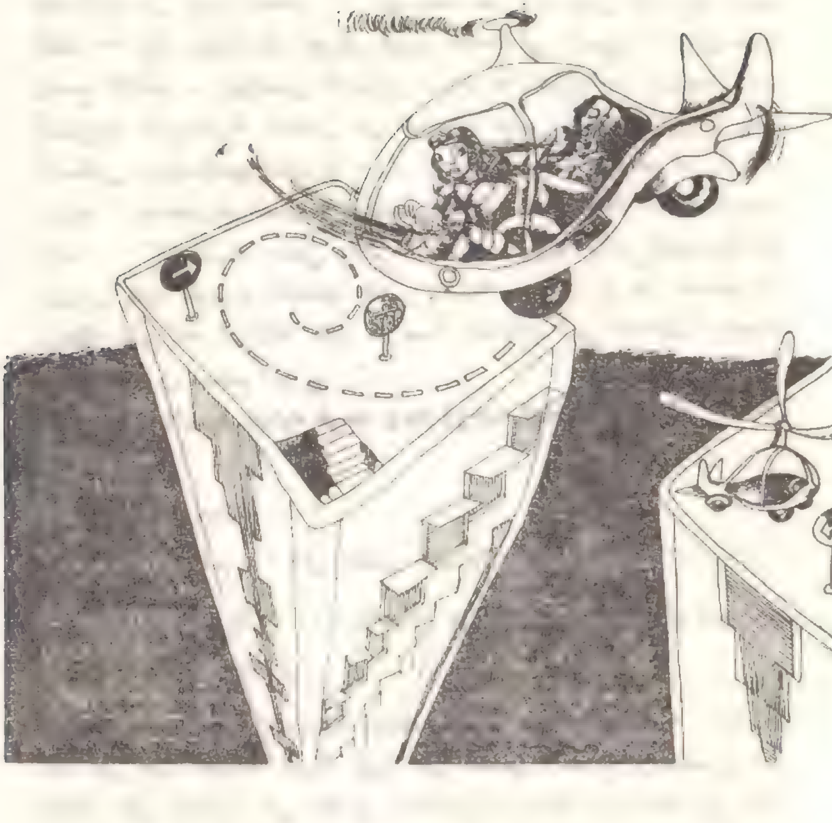
وقد حدث منذ بضعة قرون أن وصلت أداة الاختيار الجنسى هذه، بالانسان ، الى أن النساء أصبحن يتزوجن رجالا مشابهين لهن عقليا .. حتى وصل الأمر فى عصر العسل الذى نعيشه الآن أنهم يصنعون بطريق التكاثر الخلوى فى الأنابيب نسخا متماثلة من البشر ، من أم جميلة وذكية وأب بارع وقوى .. ينتجونهم فى المعامل بالآلاف للعمل فى الخطط الانتاجية المبرمجة .. من اباء وأمهات يتم اختيارهم بالحاسب الالكترونى ...

أتكون تلك هى الخيانة التى ارتكبها الانسان وهو يقف على قمة تطوره ، ضد الطبيعة فعلا .. فبدأت الطبيعة الآن تنتقم منه .. ؟!

والا فما تفسير تلك الظواهر التى تكاثرت فى السنوات الأخيرة، والتي تعتبر حالة السيد زوجها واحدة منها .. ؟!

ان عملية رفض النظام هذه ، قد لا تكون أكثر من حالة من حالات عدم النضوج الناتج عن الاحساس بفقدان الذاتية .. أو افتقاد الاحساس بالحياة ..

وربما كانت هناك فى النفس الانسانية ، أو فى الجسم البشرى ، امكانية بيولوجية أو نفسية تحاول فى الوقت المناسب منع الانسان من الغرق فى السعادة ، وتضعه فى وضع يكون مضطرا فيه الى طرح الاسئلة لصالح تطوره النوعى المستمر ...



كانت السيدة ليالى تقلب الأمر على جميع وجوهه حتى تستطيع أن تكون على قدر أكبر من الفهم لحالة زوجها ‥ وحتى يمكنها أن تقف الى جواره ‥ وقررت بينها وبين نفسها ان تذهب معه الى تلك المحاضرة التى دعاه اليها السيد بروف فى مساء اليوم الثالث من أيام العطلة ‥ أى بعد غد ‥ ومن الآن الى بعد الغد ‥ فان عليها أن تجرى تغييرا شاملا فى البيت ‥ من حيث وضع الأثاث ، وفواصل الديكور ، وغرفة النوم ‥ وبينما كانت السيارة الهوائيـة تخفض من سرعتها وهى تقترب من برجهـا السكنى ، وتستعد للدوران حول البرج تمهيدا للهبوط فى موقفها المعتاد ، استدارت السيدة برأسها الى الخلف فوجدت السيد زوجها نائما ‥ كان أشبه بطفل يحلم ‥ وكان وجهه يكاد يكون ملائكيا بسبب تلك الهموم الذهنية التى تشغله ‥ ورأيت على نفسها أن توقظه وتركته لتوقظه تلك الرجـة الخفيفة التى أحدثتهـا عبوط السيارة فوق سطح البرج ‥

ففتح السيد عينيه فوجد وجه زوجته أمامه يبتسم له ‥ قال لها :

ـ هل وصلنا ‥ ؟

قالت : نعم ‥ هل تشعر ببعض التحسن الآن ‥ ؟

أجاب : لا بأس ‥ سأحصل على حمام ساخن ، ثم استغرق فى النوم ‥ هيا بنا ‥

وغادر السيد السيارة محتضنا ذراع السيدة زوجته ، واتجها معا الى باب المصعد فهبط بهما من الطابق السابع والخمسين بعد المائة ، الى شقتهما فى الطابق الثلاثين ‥ وقد سارا معا فى الممر والسيد مغرق فى الصمت ، مستند الى ذراع السيدة زوجته ‥ لكنه عندما مرا أمام شقة صديقه دافيد توقف فجأة وسأل زوجته :

— أليس دافيد فى عطلة آيضـــا ٠٠ ؟ أريد أن أحـدثه فى حالتى ٠٠٠

وقبل أن تجيبه زوجته بشىء كان يدق على باب شقة دافيد ، جرسا موسيقيا من ذلك النوع الذى كان شائعا فى العصور القديمة، وكان دافيد جالسا يتابع شاشة التليفزيون ، عند فتح باب شقته بتأثير موسيقى الجرس ، ليجد صديقه وزوجته أمامه ٠٠٠

ابتسم مرحبا ، وتعانق الصديقان ، والتفت السيد الى زوجته وقال :

أريد أن أمكث بعض الوقت مع دافيد ، هل تحبين مشاركتنا ؟

وقالت السيدة :

— أنت فى حاجة للنوم ٠٠ قل له الآن ما تريد وبسرعة ، ودعنى أذهب بك الى سريرك ٠٠٠

وقال السيد :

لا ٠٠ ليس الآن٠٠أستطيع البقاء متيقظا بعض الوقت٠٠اذهبى انت اذا لم ترغبى فى مشاركتنا ، وسوف الحق بك فيما بعد ٠٠

وقالت السيدة موجهة حديثها الى دافيد :

— أرجو ان تنتبه أيها الصديق دافيد الى أن السيد فى حالة شديدة من الارهاق ، وانه لن يستطيع المقاومة فترة طويلة ٠

وقال دافيد : لا تخشى شيئا أيتها السيدة العزيزة ٠٠ لسوف أسقيه بعض حبوب البيرة المذابة لأنعشه قليلا ، وأعيده اليك ٠٠ لا تخشى شيئا ٠٠ فسوف اعتنى به ٠ !

وقالت السيدة دون أن تخفى قلقها :

ـ لشد ما أخشى عليه من عنايتك هذه ؟ ·· على العموم ·· لولا أن لدى خطة عاجلة لاجراء تعديلات فى شكل البيت ·· لما تركته لك ·· أرجوك ·· ضعه فى فراشك اذا لم يستطع مغالبة النوم ··

وقال دافيد باخلاص :

ـ ثقى اننى سوف أفعل ··

ومضت السيدة الى شقتها وأجلس دافيد صديقه رجل السبانخ ثم جلس أمامه يذيب له كأسا من حبوب البيرة المركزة ···

وفجأة قال السيد لصديقه دون مقدمات ··

ـ هل تعرف شخصا اسمه **بروف** ·· ؟!

وردد دافيد الاسم أيضا ، لكنه قال بعد لحظة :

ـ أعتقد أننى أعرف شخصا بهذا الاسم ·· لكننى لا أتذكر الآن أين التقيت به ··· ماذا به بروف هذا ؟

ـ لقد حدثنى عن طريق النداء الذاتى ·· ودعانى الى محاضرة فى القاعة المعلقة ··

ـ وماذا فى ذلك ·· لا بد أنه سمع بك ·· ؟!

ـ نعم لقد سمع بى ، لكن ليس هذا هو المهم ·· المهم انه لديه رأى فى حالتى ··

وضحك دافيد ضحكة عالية وهو يقول لصديقه :

ـ لقد أصبح لكل الناس رأيا فى حالتك ·· كلهم يتفننون فى التفسير والتحليل ·· ؟!

ـ لكنى أعتقد أن بروف هذا يقترب من الحقيقة ، هو فقط يحتاج لبعض البراهين والايضاحات ..

ـ ما الذى قاله لك .. ؟

ـ قال اننى مثقف ، وان المثقفين هم ضحايا لأوقات الفراغ الطويلة التى تتيحها الروبوت التى تقوم بغالبية العمل .. انه يسميهم العبيد الآليون .. ويقول أنهم فى حقيقة الأمر ، هم السادة :

وكان دافيد يستمع باهتمام ، فقال لصديقه :

ـ ان هذا رأى جديد فعلا ، وان كنت أشعر بأنه ليس غريبا .. لكنه يحتاج لبعض التفكير ... ماذا قلت .. هل استجبت لدعوته ؟

ـ لقد وعدته أن أحاول ...

وقال دافيد بحماس :

ـ أعتقد أنه من الضرورى أن تذهب .. ان الموعد يناسبنى ولسوف أذهب معك أيضا .. فاذا لم يكن البرنامج الذى سيقدمونه مفيدا ، فانها فرصة بالنسبة لك لتغيير الجو .. وزيارة القاعة ... انها تحفة معمارية رائعة ، معلقة فى السماء .. لا تمل العين من مشاهدتها ، والتجول بداخلها ..

وقال السيد هومو :

ـ المسألة تبدو خطيرة جدا يا دافيد .. ليس هذا وقت الفرجة على التحف المعمارية أو التجول داخل القاعات .. أنا أنوى الذهاب الى تلك المحاضرة لأننى أود بشكل ملح ومقلق ، معرفة

ما الذى حدث لى ، واذا لم تستطع تلك المحاضرة أو المناقشة أن تفيدنى بشىء عن حالتى فأقسم أننى لن أتوقف عن البحث !

وقال دافيد : هل يمكنك أن تصف لى ما حدث بالضبط ·· وما كنت تشعر به ساعتها ·· ؟!

قال السيد : فى البدء لم أكن أشعر بشىء ···

كنت أبدو لنفسى كما لو أننى أنعم بالسعادة بالمفهوم المتعارف عليه ··

اننى لا أحمل هما من أى نوع ·· وكل الأشياء حولى هى أشياء مريحة وممتعة ، حتى العمل ·· ولكننى وأنا أغادر الحقل فى ذلك اليوم كنت أتأمل طوابير الشغيلة الطويلة والممتدة والمتشابهة وهى تتلوى فى تلك الساحة الشاسعة للركوب ، والمسقوفة بالزجاج المظلل ·· وحين عجزت عن رؤية السماء الحقيقية لمعت فى ذاكرتى فجأة صورة عمرها مئات الملايين من السنين ·· عندما أخذت الثدييات تتسلق الأشجار العملاقة وتعيش بين أغصانها ·· صورة الأضواء الوهاجة المتعددة الألوان التى تغمر أعالى الاشجار فى تلك الغابات الاستوائية العميقة القدم فى الزمن وهى تكشف لعيون أسلافنا الأقدمين القابعين فى طمأنينة على الأغصان عن عالم رحب من الأزهار والبراعم والحشرات وبيض الطيور والطيور نفسها ·· باقة من شتى الألوان الزاهية هى فى نفس الوقت طعام شهى ···

كنت قد سمعت تلك الصورة من كتاب قديم يصف تطورنا نحن البشر ·· وقد توقفت دون أن أشعر عن متابعة سيرى فى الطابور حينما تداعت الى ذاكرتى على الفور صورة معيشتنا المعاصرة ·· هذا بالضبط ما حدث ·· لقد كانت لحظة خاطفة ·· كانها الهام أو وحى ·· ان هذا هو ما يقلقنى الآن ·· !!

وقال دافيد وقد بدا عليه الاهتمام الشديد :

– ان ما حدث لك حدث بنفس الطريقة ولكن بتفاصيل مختلفة ، لكل الحالات التى خرجت عن تيار حياتها اليومى فى السنوات الأخيرة ·· وهذا معناه أن الميل الى الطبيعة القديمة ما يزال كامنا فى مكان ما فى المخ البشرى ·· وهو يدفع بعضنا فجاة الى تذكر لحظة من الماضى البشرى والاهتزاز لمواجهتها ·· ؟!

وصاح السيد بانفعال رغم انه كان يبدو شديد الارهاق :

– هناك خطأ ما يا دافيد ·· هناك خطأ ما يجب أن نكتشفه ··

انني أذكر أن الكتاب الذى حدثتك عنه كان يقول أن فصوص المخ فى قرود أعالى الأشجار هذه ، قد بدأت تحتل مساحات اكبر ، وأن خلايا العقل قد بدأت تولد فى تلك الأمخاخ القديمة بسبب هذه الأضواء الملونة الوهاجة بين الأغصان ونتيجة للبصر والتأمل·· وهى أشياء لم تكن متاحة للحيوانات الأخرى التى كانت أجسامها الثقيلة تربطها بالأرض وتشدها غريزة البحث عن الطعام الى تلك الأرض من أنوفها ··· فى تلك الحياة المظلمة الحافلة بالخطر تحت الأشجار ، لم تجد تلك الحيوانات فرصة للتأمل فلم تتطور ·· وقد ظلت فى معظمها على مدى عشرات الملايين من السنين مصابة بعمى الألوان ·· بينما تطورت القرود !

وابتسم دافيد ساخرا ثم قال :

– تريد أن تقول أننا وصلنا الآن ثانية الى تلك المرحلة القديمة من طفولة المخ البشرى ؟!

– ليس هذا بالضبط ·· ولكن شيئا قريبا منه ·· اننا

نجلس الآن هنا بين أغصان عصر العسل ، وعقولنا مسترخية فى كسل تأملى لذيذ بينما وجباتنا الساخنة والباردة تأتى الينا عبر الأنابيب ...

وقال دافيد :

ـ ولكن من المؤكد أن هناك عقولا تعمل لتسيير الحياة ...

وقال السيد بتألم مفاجىء :

ـ هناك عقول تعمل فعلا .. ولكنها ليست عقلى ، أو عقلك ؟!

وقال دافيد :

ـ اسمع يا صديقى .. ان القضية مثيرة وتغرى بالمتابعة ولكن علينا أن نتذكر دائما أن النظام يحاول أن يحل معضلة عويصة فعلا .. انه يهيمن ويحمى ويوفر الحياة السعيدة لكل فرد من المهد الى اللحد ، عن طريق سلوك جماعى منظم مع الاحتفاظ بكل الصفات الأساسية التى تجعل الانسان بشرا ...

وقال رجل السبانخ بحماس :

ـ ها أنت ذا تقول الصفات الأساسية للبشر .. اذن انتبه الى أن أول ما يتعرض للخطر فى مثل هذا النظام هو الذكاء البشرى .. ؟

وقال دافيد :

ـ ان الذين يشغلون المراكز القيادية هم على جانب كبير من الذكاء ..

وقال رجل السبانخ :

– نعم ·· ولكن فى المقابل فان جميع الذين لا يشغلون تلك المراكز القيادية مطلوب منهم سهولة الانقياد وقلة الذكاء والمهارة الخالية من العاطفة ·· مهارة الأداء الغريزى ··

– وماذا فى ذلك ·· لقد وصلت مجتمعات النحل والنمل الأبيض الى مثل هــذه الحالة ومثل هــذا النظام منذ مائة مليون سنة ·· ؟! وقد ضربت المثل ببقائها المستمر على اخلاصها الفطرى للقانون الطبيعى ، الفرد للمجموعة ·· والجزء فى خدمة الكل ··

وقال رجل السبانخ :

– لا يا صديقى ·· البشر يختلفون ·· تلك مخلوقات كانت متفرغة لتكاثر نوعها ضد قانون الطبيعة الصارم الذى يجعل منها غذاء لحيوانات أخرى غيرها ·· ولكن الانسان أفلت من هذا القانون بالتنمية المستمرة لعقله ·· وقــد أصبح جوهره الآن يكمن فى كيفيته لا فى كميته ·· وأخشى ما أخشاه أن نكون قد وصلنا بتطورنا العقلى أو أن يكون نمونا العقلى قــد وصــل الى طريق مغلق ·· ؟؟ !

واعترض دافيد بحماس :

– كيف تقول هذا يا رجل ·· ان عصرنا هو عصر امتداد الحــواس باستخدام الأجهزة ·· ان أبصــارنا قد تجاوزت قمم الأشجار وأغصانها الملونة الى فضاء الكون الفسيح ·· ونحن نتجول الآن بعيوننا وأذاننا وسط مهرجان من الألوان والأصوات الخلابة التى تصنعها حركة النجوم والأفلاك والكواكب ·· وهذا معنـاه يا صديقى أن البشرية قد قطعت معظم الطريق الطويل الذى بدأته فى منهاج التطور ، من القرد الى الملاك ·· !

وضحك رجل السبانخ ثم مال الى الامام برأسه وهو يقول لدافيد باهتمام :

ـ هذا هو الحلم الأجوف يا دافيد ٠٠ الشعار الذى أصبح مفرغا من معناه من كثرة تكراره على عيوننا وأسماعنا باجهزة الاعلام والثقافة العامة : من الانسان القرد ٠٠ الى الانسان الملاك ٠٠ ؟!

ولكن قل لى بحق هذا الكون الذى ننتمى اليه ٠٠ من هو هذا الملاك الذى يقصدونه ٠٠ ؟

انسان له أجنحة يتخطى بها جاذبية الأرض وينطلق بها بين الكواكب ٠ ؟!

وأجاب دافيد بسرعة :

ـ ان الانسان يحلق بعقله ٠٠ وبعقله يصنع الأجنحة ٠٠

فتراجع هومو فى مقعده بثقة وهو يقول :

ـ انظر ٠٠ ها أنت تفكر بنفس الطريقة المألوفة ٠٠ ان الملاك ليس مقدرة على الطيران فقط يا دافيد ٠٠ ان الملاك فكرة ٠٠ لقد ظل الملاك تعبيرا بشريا عن الحلم بالنقاء الروحى وارتقاء الجانب الروحى فى الانسان ٠٠ وهذا هو التناقض الذى أشعر بوجوده وأريد أن أحدثك عنه ٠٠ نعم ما تقوله صحيح ٠٠ الانسان يحلق بعقله وبعقله يصنع الأجنحة ٠٠ هذا الفعل « يصنع » قد وصل بالانسان الى أنه أصبح يتدخل فى كل شىء ٠٠ و « يصنع » كل شىء ٠٠ حتى المخلوقات البشرية نفسها ٠٠ !

وتدخله هذا فيما أعتقد ربما كان يعوق بشكل مؤثر نمو الجانب الروحى فى البشر ، ويطمس تلك الارادة الفطرية التى تقود غريزة الارتقاء فيهم ؟

يخيل الى أننا لم نعد نستخدم ارادتنا يا دافيد .. وأن الانسان المعاصر يترك نفسه للحياة السهلة اللذيذة كقطعة خشب منسابة مع تيار مائى دونما ارادة .. !

وظل دافيد صامتا لحظة .. كان يفكر فيما قاله رجل السبانخ ، ولعله أراد أن يستوثق من مضمون الفكرة التى تولدت عنده حين سأل صديقه :

- أتريد أن تقول أن لحظة التوقف التى انتابتك هى وليدة انتباه مفاجىء بافتقاد الارادة .. وأن تلك الحالات المشابهة الأخرى هى حالات تنتاب أصحابها حين يدركون فجأة انهم يعيشون فحسب ... أنهم يفعلون ما يجب فعله فحسب .. ؟

- أجل .. أجل .. هذا هو التعبير بالضبط .. أن تفعل ما يجب فعله ، وما هو متوقع ومعتاد أن تفعله .. تلك هى القضية بالضبط ...

واستطرد هومو بانفعال :

- ان هذا يعنى أن الانسان المعاصر قد تم حرمانه من العفوية الفطرية .. ومن الروح المغامرة ...

تلك الروح المغامرة الفطرية هى التى قادت القطيع البشرى الأول الى اكتشاف النار .. والى اقتحام السهول والصحارى ، فانقذوا النوع البشرى الذى كان فى طفولته ، من براثن العصور الجليدية .. ؟

وتراجع دافيد فى مقعده بعد ان تناول كأس البيرة ، وقال وهو يقربه من فمه ..

- لست أدرى .. لست أدرى .. انت تصل بالمناقشة الى حدود يصعب الخوض فيها ، دون مساعدة الحاسب الالكترونى ..

وجرع دافيد كأسه ثم قال بحماس :

ـ اسمع يا هومو ٠٠٠ حتى اذا كان ، أن نعيش فحسب ، هو الهدف ٠٠ فما هو الاعتراض على ذلك ٠٠ ؟!

ـ أنا أيضا لست أدرى يا دافيد ، ولكننى أشعر بأنه لا بد ان يكون هناك دائما هدف ٠٠ وارادة نسعى بها الى هذا الهدف ٠٠

لقد كان هدف أسلافنا القدامى هو الطعام ٠٠ كم من بلايين البلايين من البشريين القدامى عبر ملايين السنين التى استغرقها تطور الفصيلة البشرية ، قد راحوا فريسة وضحيه فى سبيل تحقيق هذا الهدف ٠٠ الطعام ٠٠ لقد ولد العقل الذى تميز به البشر عن بقية الحيوانات ، أثناء البحث عن الطعام ٠٠ واستخدم الانسان فى مراحل تطوره المختلفة هذا العقل للبحث عن الطعام ٠٠ وسخر كل مبتكرات العقل وانجازاته لتحقيق أطعمة كافية للجنس البشرى فى مراحل نموه المختلفة ٠٠

الآن ٠٠ هذا الهدف قد تحقق تماما ٠٠ ويستطيع كل انسان ان يأكل ما يشاء فى أى وقت يريد ، دون مجهود أو تفكير ٠٠ وما يقلقنى أن نكون خلال انهماكنا فى تحقيق هذا الهدف ، قد نسينا أنه لم يكن هدفا فى حد ذاته ، وانما كان وسيلة لمواصلة الحياة ٠٠٠ وأن نكون بذلك المفهوم الخاطىء الذى واصلته سلالات بشرية عديدة ، قد طمسنا ارادة التطور الفطرية فى العقل البشرى!؟ وان البشر قد أصبحوا متشابهين الى درجة مقلقة فعلا يا دافيد ٠٠ نسخ متطابقة من طريقة اللبس والغذاء والتفكير والأداء الحياتى اليومى ٠٠ وكل العقول العامة قد أصبحت أسيرة وغارقة فى هذا الفيضان الاعلامى والثقافى الذى يندفع فى عقولها من أجهزة الاعلام والثقافة المركزية ٠٠ وقد أصبحوا جميعا يفكرون ويتصرفون حسب الطريقة المطلوبة ؟



وقال دافيد :

ـ ان ما تقوله يثير القلق فعلا يا هومو ٠٠ ولكنني فى بعض الأحيان أجد أن هذا ضرورى ٠٠ أن يتوحد الأداء ٠٠ لقد كان هذا دائما هو قانون الطبيعة ٠٠ ألسنا نحن جزء من الطبيعة ، وجزء من هذا الكون الشاسع ٠٠ هذا الفراغ اللانهائى الحافل بالحركة ٠٠ من تدفقات الدقائق الصغيرة ، الى الغبار الكونى ، والجسيمات النيزكية ، والمذنبات ، والكويكبات والكواكب السيارة والنجوم ٠٠ وكل نوع منها خاضع فى حركته لقانون وحدة الأداء هذا ٠٠ فاذا كانت الكرة الأرضية ، بيتنا الذى نسكنه ٠٠ أو مهد البشرية كما يحب العلماء أن يسموه ٠٠٠ هذا البيت ٠٠ كم من بلايين البلايين من السنين قد مرت وهى تدور فى مدارها الدائرى الذى يبلغ نصف قطره ١٥٠ مليون كيلو مترا ، بسرعة ثلاثين كيلو مترا فى الثانية الواحدة تقريبا ٠٠ دون أن تتوقف لحظة واحدة لتتساءل عن الهدف من دورانها هذا ٠٠ فكيف نتوقف نحن لنتساءل ٠٠ ؟!

ان النظام الذى تحقق لنا الآن يسير بالنوع البشرى فى طريقه الطبيعى يا هومو ٠٠ لقد استطعنا ان نتفوق على الأنواع التى كانت معنا على الارض عندما بدأنا نتأمل فى الطبيعة التى حولنا وندرك بعض قوانينها ٠٠ وواصلنا التطور حتى استطعنا ان نعرف كل شىء تقريبا عن كوكب الأرض الذى نعيش عليه ، وعدد كبير من الكواكب الأخرى قد وصلنا بمعرفتنا اليها ٠٠ ونحن الآن واقفون بثبات فى الفضاء الكونى على حافة مجرتنا هذه المسماة طريق التبانة ، ونواصل الاستعداد للقفز الى كواكب المجرة المجاورة لنا ٠٠ وهكذا دواليك ٠٠ انه طريق طويل لا نهاية له يا هومو ٠٠٠ من قمم الأشجار العملاقة القديمة التى تداعب ذاكرتك ٠٠ الى الفضاء الكونى ٠٠ هوهوهوووه ٠٠ أنا شخصيا

أشعر بنشوة كلما تصورت أن أحد أحفادى سوف يسكن كوكب الزهرة ..

كان هومو رجل السبانخ يستمع لصديقه باهتمام ، ولكن يبدو أن فكرة ما كانت تلح عليه .. فما كاد صديقه يتوقف عن حديثه ضاحكا فى انتصار .. حتى بادره قائلا بسرعة :

ــ وما يدريك أن هذا هو الطريق الطبيعى للفصيلة البشرية .. أن يلقوا بأحفادهم فى أنحاء الكواكب ، ويبعثرونهم فى الفضاء الكونى .. ؟

بل ما يدريك اننا قد أصبحنا نعرف كل شىء فعلا ، عن كوكب الأرض .. بيتنا هذا الذى نسكنه كما تقول ؟ ! نحن نعيش تحت ناقوس زجاجى يا دافيد ، يحتل جزءا من هذا الكوكب .. نحن بكل هيلماننا هذا ونظامنا المحكم هذا نعيش فى معسكر مغطى .. أما الأرض القديمة بمحيطاتها وغاباتها ومخلوقاتها العديدة .. فقد انقطعت صلتنا الحقيقية بها منذ قرون أربعة تقريبا .. منذ الحرب الالكترونية الاولى .. التى أدى اليها ميل الجنس البشرى للتعصب والتنافس .

انهم يقولون الآن أن الخطأ الذى أدى لتلك الحرب ، هو أن البشرية قد سمحت للعلوم والتكنولوجيا أن تكون فى خدمة الأنظمة والعقائد ، وليس فى خدمة النوع البشرى بشكل عام .. ويحكون لنا أن هؤلاء الأسلاف العديمى النضج ، الذين عاشوا فى القرن العشرين ، كانوا ينفقون ثرواتهم على جمع الأسلحة ، بينما كانوا يتضورون جوعا ، وتموت أعداد هائلة منهم بأمراض سوء التغذية .. !

ومع ذلك فاننى أعجب حينما أرى المؤرخون يسمونها الحرب

الألكترونية الأولى .. لماذا الأولى ! .. وكأنهم يتوقعون حربا ثانية وثالثة .. !

أم أن ذلك بسبب غريزة الترقيم ، التى كانت أول مشاغل العقل البشرى فى طفولته ؟!

وكانت السيدة ليالى حرم السميد ، حين عادت الى مسكنهما ، قد ألقت بجسدها فى الماء الدافىء داخل حمامها الرخامى الفسيح الأنيق .. وأخذت تفكر فى شكل جديد للبيت ...

فكرت أولا فى أن تلغى الفواصل والجدران جميعها .. ولحسن الحظها أنها غير ثابتة ، وقابلة للحركة أو الالغاء .. وبذلك تحصل على مساحة موحدة شاسعة ، قررت أن تجعلها قاعة جميلة للاسترخاء والحديث أو الاستماع والاطلاع .

وقررت كذلك أن تجمع المكتبات الصغيرة المتناثرة هنا وهناك للكتب المسموعة ، والأشرطة الفيلمية ، فى وحدة واحدة تحتل الجدار المتقاطع مع الشرفة الزجاجية الكبيرة للمسكن ، وبهذه الطريقة يمكنها تنفيذ الفكرة الجذابة التى خطرت لها حول غرفة النوم .

كانت الفكرة مأخوذة من عصر قديم ... عن قصة غرامية سمعتها فى شبابها من كتاب كان اسمه روميو وجولييت .. وتعتمد فى تصميمها على تحويل غرفة النوم الى شرفة كبيرة معلقة داخل البيت ، فى الواجهة المتعارضة مع المكتبة ..

فراش كبير واسع له واجهة تشبه الشرفة .. تتدلى منها نباتات كثيفة الخضرة مزينة بالزهور البيضاء والبرتقالية اللون ؟!

وتكون تلك النباتات فى نفس الوقت ، هى وسيلة الصعود الى هذا الفراش التاريخى المرتفع .. الذى سيكون بوجوده المجسم

هذا والمكشوف دائما داخل البيت ... مثيرا للحواس وعنصرا منشطا لهـا !

كانت السيدة جذلة بما توصل اليه ذهنها .. وقد أنهت حمامها بسرعة وجففت جسدها ، ثم جلست الى لوحـة التعليمات الألكترونيـة .. وأخذت تغذى عقل الخادم الآلى ، برسم بيـانى للصورة التى تريد أن يتغير البيت عليها ..

وبعد أن انتهت ، استرخت فى أحد المقاعد الجانبية تتـابع الارسال المتدفق من شاشة التليفزيون الملونة .. بينما كان الخادم الآلى قد بدأ يرفع الجدران والمكتبات من حولها ، ويعيـد ترتيب البيت بالشكل المطلوب ...

ويبدو أن الوقت قد مر بها دون أن تشعر به ...

أو يبدو أنهـا قد غفت ، وراحت فى نعاس خاطف بسبب قلقها فى ذلك اليوم .. لأنها قد انتبهت فجأة الى أزيز متقطع ، وصوت الخادم الآلى يعلن لها أن تيار الكهرباء سوف يتوقف بعد عشرة دقائق ، وأنه سوف يكمل عمله فى الصباح ..

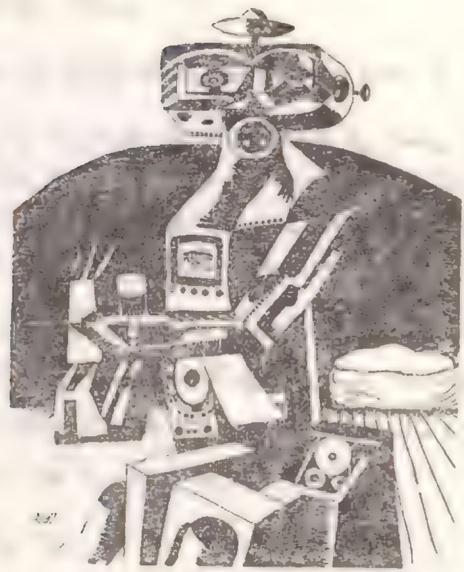
فنظرت حولها وهى تكتم ضيقها من تلك العادة السقيمة التى يتبعها النظام فى السنوات الأخيرة لترشيد استخدام الطاقة .. وجدت أن الخادم الآلى قد انتهى من رفع الجدران وبناء المكتبة .. لكنه لم يبدأ بعد فى بناء الفراش الأسطورى ..

الفراش الشرفة ..

فقالت فى نفسها : لا بأس بهذا الانجاز اليوم ...

وبينما كان الخادم الآلى يسير مترنحا الى مكمنه .. اتجهت السيدة ليالى الى جهاز الاستطلاع الشخصى .. ووجهت مفتاح الاستقبال الى شقة الصديق دافيد .. لترى اذا ما كان زوجها قد استسلم للنوم ..

ولكنها فوجئت على الشاشة ، بصورة زوجها وصديقه دافيد .. وهما يواصلان النقاش !؟





٦ ـ رحلة الى الذاكرة ٠٠؟

استمر السيد هومو رجل السبانخ فى النقاش مع صديقه دافيد ، حتى تمكن منهما الاجهاد تماما ٠٠ وكانت السيدة ليالى حرم السيد قد قطعت عليهما خلوتهما الذهبية أكثر من مرة ، من خلال جهاز الاستخبار الشخصى فى شقتها ، وظهرت لهما فى جهاز الاستخبار بشقة دافيد ، لتنبههما الى ضرورة نوم السيد زوجها حتى لا تزداد حالته سوءا ٠٠٠ لكنهما كانا يهزان رأسيهما فى استجابة لها وموافقة ، ثم يواصلان النقاش ٠٠٠ فنامت متعبة ، ونام هومو وصديقة دافيد فى مقعديهما أيضا ، بعد أن عجزا عن مواصلة النقاش بسبب الاجهاد والتعب ٠٠٠

وقد ظل الجميع نائمون حتى عصر اليوم التالى ٠٠

وكان الخادم قد خرج من مكمنه فى الساعة السادسة من الصباح تماما وتوجه مباشرة الى آنبوب التغذية الذى يعبر بالجدار الخلفى داخل الشقة فى طريقه الى الشقق الأخرى فتناول منه كوبا من القهوة ووجبة افطار ، ثم مشى يترنح بطريقته المسلية ، حتى توقف بالافطار والقهوة أمام سيدته النائمة على أحد المقاعد الوثيرة فى جانب من الصالة ·· ومضى يعزف لها موسيقى الصباح المعتادة ، ليوقظها ·· لكن السيدة تململت وعجزت عن الاستيقاظ ، وحين راح يلح عليها بموسيقاه ووقفته التى تدل على العناد والتصميم ، رفعت رأسها ونهرته قائلة : اليوم أجازة ·· الغ هذا الأمر ··

فأوقف الروبوت موسيقاه على الفور واستدار عائدا حيث ألقى بوجبة الافطار وكوب القهوة فى سلة العادم ·· ومضى يكمل ما بدأه من عمل فى الليلة الماضية ··

مضى فى بناء غرفة النوم المعلقة ··

الفراش الشرفة ؟ ··

وحين انتهى من تنفيذ كل التعليمات الطارئة التى شحنت السيدة بها عقله فى الليلة الماضية ·· بدأ فى تنفيذ التعليمات الدائمة التى تلقاها وهو يتسلم عمله فى البيت ·· فقام بتنظيف المكان ·· وأجرى مراجعة على مصادر التغذية والتدفئة والاضاءة والمياه ، وتأكد من ضبط مفاتيح التوجيه والتشغيل فى كل الأجهزة العاملة داخل البيت ·· بما فيها جهاز انذار الطوارىء ·· ثم عاد الى مكمنه وقبع فيه هادئا شديد السكون ·

وكان السيد هومو هو أول المستيقظين ·· فتح عينيه ونظر حوله ، وحين تنبه الى أنه فى شقة دافيد نظر الى الساعة المعلقة على الفور فوجدها تشير الى الثالثة والنصف ·· قفز من مقعده وهو يصيح : المحاضرة ·· المحاضرة ··

وتنبه دافيد على صيحته فاستيقظ هو أيضا ..

وجد رجل السبانخ يقول له وهو يستعد للخروج : انهض يا دافيد .. لقد سرقنا النوم .. ان لدينا ثلاث ساعات ونصف فقط منها ساعتان للسفر الى القاعة .. سأقابلك بعد ساعة أمام المصعد .

ونهض دافيد من مقعده وهو يتمطى بينما غادره رجل السبانخ متوجها الى شقته .. وحين دخلها مندفعا ، اضطر للتوقف بعد أن تجاوز الباب وصار فى قلب المكان ...

للوهلة الأولى خيل له أنه قد دخل شقة خطأ .. لكنه أمعن النظر فوجد أن الأشياء الموجودة هى أشياؤه التى تعود عليها .. لكنها فى غير موضعها ..

أخذ يجيل عينيه فى المكان ، ورأى خادمه الآلى قابعا فى ركنه المعهود .. ورأى زوجته السيدة ليالى نائمة على مقعد .. ورأى الفراش المعلق والنباتات المتسلقة المدلاة على جانبيه .. وتأكد انه فى شقته وابتسم !

قال فى نفسه :

لا بأس .. لا بأس .. ان ليالى تفكر فى المسألة بطريقتها .. ؟ !

ودنا من زوجته وهو يشعر بتعاطف شديد ، وانحنى عليها وقبلها برقة ففتحت عينيها ورأته فطوقت عنقه بذاعيها ، وجذبته اليها ..

قال لها : لدينا ثلاث ساعات وبضع دقائق لنبدل ملابسنا ونصل الى القاعة ..

وأشار برأسه الى الفراش المعلق وقال فى مرح ..

ـ مفاجأة رائعة تلك التى فكرت فيها .. ولكننا سنضطر لتأجيل الاحتفال بها لحين عودتنا من المحاضرة .. ما رأيك ؟

وهزت السيدة ليالى رأسها فى تفهم وهى تبتسم .

كان المساء شديد البرودة فوق سطح البرج السكنى ، والسماء تمطر رذاذا من نديف الثلج الأبيض ، الذى يمكنه أن يتراكم ويغطى تلك السيارات الهوائية الواقفة هنا وهناك فلا يتعرف عليها أصحابها حين يجيئون ليركبوها .. غير أن تلك السيارات كانت تحتوى على أجهزة أمن خاصة ، تعمل تلقائيا على تدفئة سطوحها الخارجية حين يقع عليها الثلج ، فيذوب على الفور ..

وقد خرج هومو وزوجته وصديقه من باب الخروج الى السطح وحين شاهدوا النديف الأبيض المتساقط من السماء ، أخذوا يقتحمونه وهم يهرولون بمرح بعد أن ضموا معاطفهم الواقية الى أجسادهم ...

وفتح هومو باب سيارته بسرعة ، فدخلت ليالى ودخل دافيد ، وأخذ هومو مكانه فى مقعد القيادة ، وبعد أن أحكم اغلاق الباب وراءه أدار محرك الطاقة فدارت المروحة الحاملة ، وأخذت تقطع بأجنحتها المعدنية رذاذ الثلج فى حركتها الدائرية ، فتشع ضوءا دائريا شديد الالتماع ، يحدد مكانها فى الطرق الهوائية المظلمة ويحذر من التصادم ..

وحين بدأت السيارة فى الارتفاع ، أخرجت السيدة ليالى وعاء لحفظ القهوة ، وأخذت تصب القهوة لزوجها وصديقه فى الأكواب .. بينما مضى الصديقان يحاولان الرؤية من وراء الزجاج ، لمشاهدة

منطقة الأبراج التى ترتفع من الأرض مدببة الى السماء ، والقباب الزجاجية الضخمة التى تغطى المدينة ..

لكن الرؤية خارج زجاج السيارة كانت مستحيلة وهذا الرذاذ الثلجى يفرض كثافته على الفضاء .. فضبط هومو مؤشر الاتجاه صوب القاعة المعلقة ، وحول الحركة الى أجهزة التحكم الآلى داخل السيارة ثم أرجع ظهـر مقعده الى الوراء قليلا واسـترخى فيه ، بعد أن أداره فى مواجهة زوجته وصديقه ..

ومضوا يتحدثون عن تلك القاعة التى يقصدونها ..

كانت بالفعل تحفة تؤكد براعة المعمارى الفضائى .. كرة ضخمة فى حجم مدينة صغيرة .. ثابتة فى مكانها بالفضاء بواسطة الآلاف من المحركات التى تعادل قوة الواحد منها المئات من الجياد.. تدور جميعها بالطاقة الكهربائية المستمدة بالجهد الذاتى من حرارة الشمس .. وبرغم وقوفها فى نطاق جاذبية الأرض الا أنها مؤمنة من السقوط بفعل تلك القشور الهائلة الحجم المصنوعة من معدن التيتانيوم الأبدى العمر ، والتى تتحول الى ملايين المظلات فوق سطح الكرة عند أى بادرة للسقوط ...

تلك التحفة المعمارية تظهر مضيئة فى السماء الأرضية فى ضوء النهار الساطع ، فتبدو لمن يشاهدها على البعد من نوافذ الأبراج السكنية ، وكأنها كوكب صغير ولدته الأرض .. تحيط به هالة عريضة ، هى فى الحقيقة ذلك الحزام المسطح المحيط بالدائرة .. لوقوف السـيارات القادمة ، واقامة التماثيـل للعلماء والفنانين المخلدين فى تاريخ البشر .

ولكن تلك الكرة من الداخل ، كانت مصممة على غرار الدماغ البشرى ، لأن وظيفتها فعلا هى وظيفة الدماغ ...

فمن خلال مداخلها المائة ، والواقعة على الحـزام الخـارجى المسطح ، تستطيع أن تبدأ مسيرتك فى ممر أنبوبى طويل أشبه بتلك الانابيب المخية فى الدماغ البشرى . تعترض طوله بين الحين والحين انبعاجات دائرية ، هى الصالونات المجهزة بأنابيب التغذية وشاشات الرؤية البانورامية ، وقاعات الاطلاع والاستماع والمناقشة المجهزة بالعقول الالكترونية البالغة الاتساع فى حجم الذاكرة ...

مائة مدخـل تقود الى تلك الممرات الأنبوبية المتسـعة الحافلة بمئات الصالونات ومئات القاعات المجهزة بالذاكرة ..

ممرات تمتد وتتصاعد وتلتف ليقود بعضها الى البعض الآخر، مالئة هذا الفراغ الكروى من داخله بتلافيفها التى تقود جميعها الى القاعة الكبرى الرئيسية ، التى تحتل مكان الجبهة من هذه الدماغ المعدنية الهائلة ، المحتوية فى ذاكراتها الألكترونية .. والتى تملأ القاعات ، على مجمل شامل التلخيص ، لتاريخ الجنس البشرى ، وأهم انجازاته العلمية والفنية ...

وقال هومو :

تلك هى الحسنة الوحيدة التى تركها وراءهم أسلافنا القدماء الحمقى .. ولست أدرى كيف استطاعوا التفكير فى انشاء تلك الكرة لانقاذ التراث .. فى الوقت الذى كانوا مشغولين فيه بتدمير أنفسهم والعالم القديم كله ؟ !

فأجابه دافيد :

ـ هذا هو لغز الانسان ياهومو .. هذا الانفصال بين عقله وقلبه .. بين ملكاته العاقلة ، ونزعاته العاطفية اللامعقولة..؟!..

لقد تطور دماغ الانسان ووضع قوانين العلم ، بينما ظلت غرائزه على حالها فلم تتطور ، ولهذا فان تعاليم الأنبياء .. وعظماء

المصلحين وكبار المفكرين والفنانين عبر المسيرة البشرية قد ذهبت سدى .. وعاش أسلافنا بدايات عصر الفضاء ممزقى النفوس بين ذلك التقدم العلمى الهائل .. وذلك التخلف الأخلاقى الهائل ...

قال هومو :

ـ ان ما يدهشنى هو هذا العداء الشديد الذى كان يضمره ذلك الانسان القديم لنوعه .. ان شريعة الغاب فى العصور المظلمه كانت تبيح القتل عند الجوع . ورغم هذا فالحيوان لم يكن يقتل حيوانا من جنسه .. وظل الانسان هو المخلوق الوحيد الذى يمارس قتل أخيه الانسان .. على المستوى الفردى ، والمستوى الجماعى .. بطريقة فورية تلقائية انفعالية . أو منظمة ومدروسه ومخطط لها .. ولأسباب تتراوح بين الحصول على الطعام أو السيطرة . وبين النزاعات العقائدية أو الدينية .. أو حتى ، العائلية ! ..

وقالت ليالى ضاحكة :

ولا تنسى أيضا كل الذين قتلوا بسبب الغيرة ؟! ..

فضحك هومو .. لكن دافيد علق ساخرا :

ـ لا تضحكون .. فربما لو أحصينا الذين قتلوا بسبب المرأة والدوافع الجنسية لوجدنا أنهم أكثر عددا من الذين ماتوا بسبب التعذيب أو الارهاب أو الحروب ! ..

ففى تلك الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين ، كان الشعار السائد بين رجال الشرطة « فتش عن المرأة خلف كل جريمة » قبل أن يصبح الشعار « فتش

عن السياسي » ·· في النصف الأخير من القرن العشرين وما تلاه ؟! ··

وقال هومو :

لقد أكد أحد العلماء القدامى أن نزعة الموت والتدمير غريزة في الانسان ·· أيكون ذلك صحيحا ونحن قد تجاهلناه ؟

قالت ليالى : لقد كان أجدادنا القرود يتسلون بقذف الثمار على رؤوس الحيوانات الأخرى التي تمر تحت الأشجار التي يجلسون عليها ·· وكان آباؤنا منذ العصر الحجرى يقتلون على الفور أى كائن حي يتحرك حولهم ·· أو يفككونه بأيديهم ويتفحصونه اذا كان جمادا ·· وربما لم تنجح البشرية فعلا في الغاء هذا الميل الغريزى للعنف والاعتداء ·· وانما استطاعت كبته وتخبئته ، فهو يطل برأسه حينا بعد حين ، كلما سنحت الفرصة ؟!

وكانت السيارة تطير قاطعة الفضاء المعبأ بحبات البرد والرذاذ الثلجى ، ورغم سرعتها الصاروخية فقد كانت تتوقف فجأة وتعدل مسارها بسرعة ، كلما صادفتها في السماء سيارة أخرى ، أو جسم طائر ·· ولأن السيارة ، قد توقفت أكثر من مرة وعدلت مسارها ، فقد لاحظ ركابها الثلاثة أن الطريق الهوائى الى القاعة يبدو مزدحما ، وتوقعوا أن يكون الاقبال شديدا على تلك المحاضرة ·· وبالفعل أخذت السيارة بعد فترة تدور دورانا منتظما ، وظهرت من وراء الزجاج أضواء مكثفة تخترق الرذاذ الثلجى ·· واستطاع هومو وزوجته وصديقه أن يقربوا عيونهم من الزجاج ، وشاهدوا آلاف السيارات الهوائية الخاصة التي جاء بها أصحابها وبعضها

قد استقر على الرصيف الدائرى الضخم ، والبعض الآخر لا يزال يحلق باحثا عن مكان للهبوط ·· فوق هذا الحزام المسطح المزدحم بالسيارات الصغيرة الخاصة ، والكبيرة الحافلة ·· والمزدحم بالبشر الذين يغادرون هـذه السيارات مهرولين تحت رذاذ الثلج تجـاه مداخل القاعة وأبوابها المائة ···

وقال هومو لنفسه بصـــوت عال : كيف سيتسنى للسيد بروف هذا أن يعرفنى ، أو أعرفه ·· وسط هذا الحشد الهائل من البشر ؟!

وقبـل أن يفكر فى اجابة لتساؤله ، سمع الأزيز ينطلق من ساعة يده ، فرفع الساعة أمام وجهه وسمع صوت السيد بروف يناديه : يا رجـل السـبانخ ·· هنـا بروف يناديك ·· هـل تسمعنى ؟! ··

وقال هومو :

نعم أسمعك ·· أين أنت ؟

وقال بروف :

أنا فى ساحة السيارات ، قل لى أنت أين موقعك ؟

ـ نحن نحلق الآن أمام مدخل رقم واحد ···

ـ استمر فى التحليق تجاه المدخل رقم اثنين وخمسين ·· سـوف أعطيك اشـارة بضـوء أصـفر ·· ولسـوف تجد مكانا للهبوط ···

واعتدل الجميع فى مقاعدهم داخل السـيارة ، بينما اسـتدار

هومو الى جهاز الحركه واستعاد القيادة منه ، وبدأ فى توجيه السيارة ، للتحليق على ارتفاع منخفض فوق الساحة الدائرية وهو يدقق النظر فى العلامات الضوئية المشعة التى تعلن عن أرقام الأبواب .. وعند الباب الثانى والخمسين ، توقف هومو عن التحليق الاندفاعى وبدأ يحلق ساكنا فى مكانه ، وانحنى برأسه على الزجاج مطلعا الى أرض الساحة ، فلمح الضوء الأصفر يلمع وينطفىء بتوال ، فبدأ فى الهبوط تجاهه ، حتى استقر بسيارته على أرض رصيف القاعة ...

كان السيد بروف مغايرا للصورة التى تخيلها له هومو ، فمن صوته القوى والشديد الثقة ، ظن هومو أنه فى منتصف العمر مثله ، لكنه وجد أمامه رجلا فى التسعين من العمر . له لحية كثيفة سوداء وشعر كثيف أسود .. ووجه مشدود قليل التجاعيد ، وجسد متهدل البناء قليلا وبه بعض الامتلاء .. لكنه واضح الصحة ...

لقد أقبل على السيارة مسرعا غير عابىء برذاذ الثلج الذى كان يتناثر فوقه ، وفتح الباب للسيد هومو وهو يرحب به فى حماس ، وقدمه هومو لزوجته وصديقه وقدمهما له .. وتم التعارف بسرعة بينما كان السيد بروف يتعجلهم :

ـ هيا .. هيا .. لقد حضر عدد كبير من مندوبى النظام .. تعرفونهم طبعا .. هؤلاء الخبراء الذين يديرون الحياة الآن على ما تبقى من كوكب الأرض .. انتبهوا الى تلك العبارة جيدا : ما تبقى من كوكب الأرض .. لسوف تكون المناقشة عارمة .. هيا .. هيا .. ان هناك زملاء كثيرين ينتظروننا بالداخل ! ..

واندفع السيد بروف يقودهم الى المدخل ، غير عابىء بالمطر الثلجى المنهمر ، بينما كانوا هم يهرولون خلفه وهم يضمون معاطفهم

الواقية الى أجسامهم ، ويخبئون آذانهم من البرد الشديد ، وما كادوا يتجاوزون المدخل المزين بالتماثيل الرخامية ولوحات البرونز البارز حتى احتواهم الدفء المنبعث من الممر الأنبوبى ·· وكان الزحام شديدا فى الممر ، ضاعف من وطأته هؤلاء الذين توقفوا على الجانبين يتطلعون فى تأمل ودهشة الى اللوحات الفنية المعلقة على الجدران ·· لوحات لمشاهير الفنانين فى القرون السابقة الحديثة ، القديمة ··

وكان دافيد يتأمل اللوحات وهو يهرول خلف المجموعة ·· وبين الحين والحين كانت تجتذبه احداها ، فيتوقف ويمد رأسه ، لكن صوت السيد بروف سرعان ما يجذبه الى الهرولة ·· فيلحق بهم وهو يقول معلقا :

ـ اسمع يا هومو ·· يخيل لى أن أسلافنا الحمقى ، قد أخلوا المتاحف ونقلوا محتوياتها الى تلك القاعة ، قبل أن يبدأوا تلك الحرب اللعينة ؟!

وظل الدكتور بروف يهرول فى المقدمة وهو يستحثهم ، مقتحما الزحام الشديد فى الممر الأنبوبى قرب المدخل ، حيث يتوقف بعض البشر لينفضوا الرذاذ الثلجى عن رؤوسهم وملابسهم ، أو يتلكأوا أمام اللوحات المرسومة فى القرون القديمة والمعلقة بطول جدران الممر ·· وكانت تبدو على الجميع علامات السكينة والاستقرار والبهجة ·· وقد لاحظ السيد هومو أن الكثيرين من هؤلاء يحيون الدكتور بروف ، ويلوحون له بأيديهم أو برؤوسهم ·· وكاد هومو يتعثر وينكفىء وهو مشغول بملاحظة الناس من حوله لو لم يلتفت له بروف قائلا :

ـ انتبه أيها السيد هومو · فلسوف نركب الآن السلالم المتحركة ···

ولاحظ هومو أن أرض الممر المنبسطة قد تحولت الى سلالم متحركة ٠٠ صاعدة ٠٠ وأخرى هابطة ٠٠ وثالثة تستدير الى اليسار ٠٠ وكانت الاشارات الضوئية فى أعلى الممر تشير الى اتجاهات هذه السلالم ، والقاعات التى تمر بها ، بالاضافة الى بعض الاعلانات الضوئية بألوان مختلفة ، تعلن عما تقدمه هذه القاعات الواقعة فى طريق تلك السلالم ، من محاضرات أو عروض فنية أو علمية أو مناقشات ٠٠٠

لكن هومو لاحظ أن كل الاشارات الضوئية الخاصة باعلانات القاعات الفرعية هذه ، مطفأة ، ويلتمع فوقها جميعا اعلان واحد يضىء بالحاح شديد ، يقول أن محاضرة « مستقبل النوع البشرى » فى القاعة الرئيسية الكبرى ٠٠ وأن الارسال سيكون موحدا فى كل القاعات الصغرى الفرعية نتيجة للزحام الشديد ٠٠ وأن بامكان أى شخص ، من الجالسين فى تلك القاعات الفرعية أو الصالونات ، حتى الواقفين بالممرات الأنبوبية ، أن يتابع المحاضرة على الشاشات التليفزيونية الكبيرة ، وأن يشترك فى المناقشة والتعليق عن طريق الكاميرات الالكترونية والمايكروفونات المنتشرة فى جميع الأماكن ٠

وقد ركب هومو السلم المتحرك خلف بروف فى اتجاه الصعود وركبت السيدة ليالى ودافيد خلفهما وهما مستمران فى تأمل اللوحات المعلقة ، والتماثيل الواقفة أو الجالسة عند مفترق الطرق المتحركة ٠٠ وكان هومو مندهشا ، أنه رغم هذا الزحام والحركة المتعددة الاتجاهات والاشارات الضوئية العديدة المتعددة المقولات ، فان المكان يبدو هادئا ، تحلق فيه موسيقى الكترونية مقتبسة من بعض السيمفونيات القديمة ، تداعب الأعصاب دون أن ترهقها ٠٠ وأخذ هومو يتأمل مشاعره وهو يقف ساكنا على السلم المتحرك خلف بروف ، فبدت له المسألة غريبة بعض الشىء ، وخيل



له أنه يبدو منقسما على نفسه .. فمن ناحية هو يشعر بنوع من البهجة لوجوده فى تلك القاعة ، واستمتاعه برؤية هذا العدد الكبير من الناس ، فى مثل هذا الجو المحاط بروائع الفن القديم ، والمغلف بالموسيقى ...

ومن ناحية أخرى ، كان هذا السيد بروف الذى يهرول أمامه وهو يلتفت اليه مغمغما بين الحين والحين بلهجة متحدية ، « الى القاعة الكبرى يا هومو .. لابد أن تكون فى القاعة الكبرى .. ان معركتنا ستكون هناك !

فيشعر هومو وكأنما هذا الرجل يقوده الى فاجعة ، أو كارثة ؟!

كان احساسه يبدو غريبا فعلا ، ولأنه مجرد شعور لا يسانده دليل عقلى فقد كان ينفضه عن نفسه ويواصل الحركة خلف بروف فى اتجاه القاعة الكبرى .

أخذ منهم الطريق الى القاعة بعض الوقت ، رغم أنهم ركبوا العديد من السلالم الصاعدة والهابطة ، وهرولوا على طرق متحركة بسرعة شديدة ، ومروا على عشرات الصالونات والقاعات الفرعية ، لكن بروف ظل مقتحما طريقه فى مقدمتهم باصرار الى القاعة الكبرى .

وفى القاعة الكبرى كان من المستحيل على البصر العادى أن يشمل بنظرة واحدة ، كل هذا الحشد من البشر فى أزهى حللهم وأنضر حالاتهم .. كما كان من الصعب أيضا أن يكتشف البصر مكانا خاليا للجلوس ، غير أن بروف أمسك بيد هومو وأخذ يقود المجموعة فى ممر دائرى يحيط بالمقاعد الخلفية المرتفعة ، الى أن وصلوا الى باب صغير يقود الى درج هابط يصل الى بؤرة القاعة ،

على يمين المنصة ·· حيث وجد بروف بعض الأصدقاء يستقبلونه هو وضيوفه ، ويفسحون لهم كى يجلسوا فى الأماكن الفارغة التى احتجزوها لهم .

وقدم بروف السيد هومو لأصدقائه ثم قدم بعض الأصدقاء له وهو يقول : « اطمئن يا هومو أنت لم تعد وحدك الآن فها هنا عدد كبير من الأصدقاء الذين مروا بنفس حالتك ·· ولسوف ننتصر لقضيتكم اليوم ·· أنتم الذين ما تزال أرواحكم مخلصة للطبيعه الأصـــيلة !

وربت بروف على ســاق هومو بمرح وهو يلفت نظــره الى الصفوف المواجهة لهم ، على يسار المنصة : انظر يا هومو ·· ها هم رجال النظـام وممثلوه قد بدأوا يتوافدون ·· تأملهم جيــدا ·· ألا يذكرونك بالآلات الجيدة البناء التى تتحرك لهدفها فى شموخ وصـــلافة ؟

هؤلاء هم سادة البشرية الآن يا عزيزى ؟!

وأخذ هومو يتأمل مندوبى النظام وهم يدخلون تباعا ممشوقى القوام فى ملابس بسيطة وأنيقة ·· وجوههم ترتسم عليها ابتسامة شديدة القوة والتأثير ، جعلت هومو يفكر فى أنها لابد أن تكون نابعة من شعور شديد بالثقة فى القدرة على التحكم ، والتأكد من الهدف ، وليست ابتسامة المجاملة ، تلك التى تظهر على الوجوه تلقائيا عندما يلتقى البشر فى التجمعات البشرية ···

وقد تعرف هومو بينهم على مندوب النظام العام ، ومندوب اللجنة الصحية اللذين كان قد التقى بهما على شاشة التحقيقات الآلية ·· وقد شعر هومو بسرور لأنه رآهم أمامه الآن يتجسدون فى لحم ودم !

وقال بروف هامسا فى أذن هومو :

ـ انهم يتحكمون فى كل شىء ٠٠ حتى فى أنفسهم ٠٠ لقد خانوا الطبيعة ، وتخلصوا من العواطف ٠٠ انظر اليهم ٠٠ آلات حسنة الصنع ، متحركة مبتسمة !!

لسوف تكون المعركة معهم شديدة القسوة ؟

كان هومو يتابع ببصره مندوبى النظام وهم يأخذون أماكنهم فى الصفوف الأمامية المواجهة له فى الجانب الأيسر من المنصة ٠٠ وعكس ما كان يشعر به بروف تجاههم ، وجد هومو نفسه متعاطفا معهم ، وقد أخذ يتأملهم فى مودة ٠٠ **وقال لبروف :**

ـ لماذا تكرههم ؟

انهم لا يمثلون أنفسهم ٠٠ انهم يمثلوننا نحن ٠٠ هم ليسوا حكاما أو مسيطرين يا سيد بروف ٠٠ انهم خبراء ، وقد تحملوا بحكم خبرتهم هذه ، مسئولية ادارة الحياة على كوكب الأرض ؟ ٠

وقاطعه بروف قائلا :

ـ ما تبقى من كوكب الأرض لا تنسى ذلك !

يا سـيد هومو ٠٠ لقد جئت بك هنـا لتتعرف بنفسك على حالتك ٠٠ وكل ما عليك هو أن تجلس مفتوح العقل ٠٠٠ ولسوف ترى أشياء كثيرة وتسمع أشياء كثيرة ، وكل ما عليك هو أن تجعل عقلك يعمل فيما تراه وتسـمعه ٠٠ وحينئذ سـوف تتبين لك الحقيقة ٠٠ وتدرك نوايا هـؤلاء الخبراء ٠٠ والى أى طريق مدمر ومخرب ، يقودون مسيرة البشرية ، بعيدا عن بشريتها !

وكان اللغط والهمس المتداخل مع الموسيقى المحلقة فى القاعة

يخلق مناخا مترقبا ٠٠ وقد تسربت بعض التساؤلات من هنا وهناك تعبر عن القلق لهذا الزحام الشديد الذى لم ترى القاعة له مثيلا من قبل الا عند التغيرات الهامة التى يريد النظام ادخالها على الحياة العامة ٠٠

وقد مال السيد الجالس الى جوار دافيد ناحيته وسأله : أتعرف لماذا يعيدون عرض ذلك الفيلم القديم الآن ؟

وقال دافيد انه لا يعرف ٠٠ بينما واصل الرجل تساؤلاته ٠٠

ـ لقد تعودنا أن يقوم النظام بعرض هذا الفيلم ليذكرنا بالويلات القديمة ، حين يريد أن يدفع بالبشرية خطوة أخرى جديدة فى اتجاه النظام المرسوم ٠٠ فما الذى ينتوونه تلك المرة يا ترى ؟!

وقال دافيد :

ـ لست أدرى ٠٠ ولكن ربما يكون ذلك بسبب حالات الانقطاع العديدة عن تيار الحياة المرسوم ، والتى بدأت تشكل احدى الظواهر السلبية فى السنوات الأخيرة ؟

وقد تواصلت التساؤلات على الوجوه ، وأخذت تعبر الصفوف ، الى أن سكت الهمس وتوقفت الموسيقى فجأة ، وبدأت الأضواء تخفت بالتدريج ، ليبدأ الارسال على الشاشة البانورامية الكبيرة التى تتصدر القاعة فى خلفية المنصة ، وعلى جميع الشاشات الأخرى فى الممرات الأنبوبية والصالونات والقاعات الفرعية الصغيرة ، ثم بدأ عرض الفيلم مباشرة دون تقديم ٠

وكان من الشائع أن الفيلم عن الحرب الالكترونية الأولى ،

فيخيل للذين لم يروه من قبل أنهم سيشاهدون تفاصيل تلك الحرب التى أفنت البشرية القديمة ·· ودمرت حضاراتها مع بدايات القرن الواحد والعشرين ·· بل ويتصور بعضهم أحيانا أن الفيلم سوف يشرح لهم كيف قامت تلك الحرب المعينة ، ومن الذى بدأها ·· ولكن هؤلاء جميعا كان يخيب أملهم حين يشاهدون الفيلم ·· لأنه ورغم مرور تلك القرون الثلاثة على تلك الحرب ، فان أحدا لا يستطيع أن يؤكد من الذى بدأها !

لقد بدأت ، فانتهى كل شيء فى بضعة دقائق ·· وأبيدت شعوب عديدة ودمرت حضارات متكاملة ·· بل أنه لم يتمكن أحد من تصوير الكارثة الشاملة ، ليبقى ذكراها للأجيال ·· لأن الذين تبقوا من البشر خارج نطاق الكارثة ، كانوا يعيشون فى مناطق نائية متخلفة ، ولم يكن يسمع بهم أحد فى ذلك الزمان القديم .

وفيما عدا بضع عشرات من الصور التى التقطها بعض الاقمار الصناعية والتى أفسدت جانبا كبيرا منها تلك الأشعة المنبعثة من الكارثة ·· وبضع مئات من العلماء والخبراء قد استطاعوا النجاة لأنهم كانوا فى المخابىء الحصينة ، فان التراث البشرى لم يستطع الحصول على معلومات كاملة عن تلك الكارثة ؟!

غير أن جميع البراهين التى جمعها الفيلم كانت تؤكد أن الحرب قد وقعت بطريق الخطأ وسوء الفهم والغباء الناتج عن التعصب ··

وكانت تلك النتيجة تثير ثائرة الناس عندما عرض الفيلم لأول مرة ، منذ مائتى عام تقريبا ·· الا أنها قد أصبحت عادية ومفهومة الآن ·· بعد أن تكاملت الدراسة التى أجريت على تلك الشعوب القديمة ، وكشفت عن التوجس والحذر الذى استولى عليها ، حيث كانت منقسمة على نفسها ، وتحيا فى خلاف مستمر بين بعضها البعض ·· تتنازع طوال الوقت حول امتلاك الأراضى ،

واستثمار مناطق الخامات الطبيعية ، وتبذل غاية جهدها في صنع الاسلحة بهدف التوسع والانتصار فى الخـــلافات بين العقائد .. ففي مثل هذا المناخ ، فعلا ، وبعد أن تتنافس الأنظمة والدول في تخزين القدر الاكبر من اسلحة الفتك والتدمير ، تصبح فرصة الخطأ واسعة .

ولكن الفيلم قد استطاع ان يقدم تصورا جيدا جدا عن الحياة العسكرية والاسلحة التي كانت تستخدمها تلك الشعوب القديمـة الحمقاء .. مســتعينا في ذلك بالمعلومات التى كانت تحتويهـا الذاكرات فى القاعة المعلقة .. وببعض الصور والأفلام التى وجدت في المجلات والكتب التى كتبت فى تلك العهود ..

وتوالت على الشاشة صور الاقمار الصناعية التى استخدمت فى قتل الاقمار المتجسسة .. والاقمـــار حاملة القنابل ومحطات الصواريخ ذات الرؤوس النووية .. وقنابل النيترون والاشعاعات القاتلة الحارقة والمذيبة الخ .. الخ .. الخ .. وقدم الفيلم بذكاء شديد لقطات شديدة التأثير لفاعلية هذه الاسلحة . مثـــل قنبلة الوقود الجوى المعبأة بأكسيد الاثيلين ذى القابلية الشديدة للتفجر . والتى تنتج انفجارا هائلا على مساحة واسعة ، فتعطى تأثير قنبلة هائلة الحجم بجزء ضئيل من تكاليفها .. أو الصاروخ المطارد ، وهو سلاح رخيص وصغير ، يمكنه أن ينطلق من أى مكان ، سواء كان طائرة أو غواصة أو مركبة ارضية ، ويحدد بدقة وبطريقة ذاتيـــة اتجاهه نحو الهدف ، وهو يحمل فى رأسه ، تشـــكيلة من قوى التدمير : غازات ، سلاح ذرى صغير ، وقود جوى ، متفجرات تقليدية حارقات .. لقد كانوا يسمونه السلاح الصغير الجميل !

كانوا يتغزلون فيه !!

وتلك اللقطة من الفيلم بالتحديد ، كانت تعطى انطباعا مباشرا

للمتفرجين المعاصرين ، بأن هؤلاء الاسلاف كانوا مرضى ومنحرفين فعلا ٠٠ لقد برعوا فى انتاج مثل هذه الاسلحة الصغيرة الجميلة بكثرة هائلة ، وتنافسوا فى تطويرها وتخزينها ٠٠ وأوضح الفيلم كيف استخدموا التقدم العلمى التكنولوجى على نطاق واسع ، فى عمليات التجسس والاغتيال وتدمير حضارات بعضهم البعض ٠٠

لقد استخدموا الترددات تحت الصوتية ، وهى منخفضة لا تدركها الاذان البشرية ، ولكنها تحدث طنينا يظل مسيطرا على جسم الانسان ويخلق فيه حالة من الخوف والقلق تؤدى الى الصداع والالام بالمعدة ، تنتهى بنزيف مستمر يدمر الكائن البشرى !

كذلك استخدموا الومضات الضوئية بترددات معينة لانتاج الأشعة تحت الحمراء التى تنفذ تحت جفون الانسان حتى لو اغلقها فتؤدى الى الخدر والاغماء والارتعاش والصرع !

كما استخدموا الموجات الضوئية الدقيقة ذات التردد المنخفض لتسخين بخار الماء فى الجو لدرجة أنها تطهو الناس الذين يتواجدون على الأرض فى مداها !

كل تلك الوسائل التدميرية التى استعرضها الفيلم فى بعض أجزائه ، كانت تطبيقات لعدد كبير من النظريات العلمية ، فى الفيزياء ٠٠ الطاقة الحركية ٠٠ القصور الذاتى ٠٠ الطاقة الكيمائية ٠٠ الصوت ٠٠ الضوء ٠٠ العمليات النووية ٠٠ الاشعاع ٠

وكان الوجوم مخيما على المتفرجين وهم يتابعون الفيلم ويتساءلون بينهم وبين أنفسهم عن الصورة التى كان من الممكن أن يكون عليها الآن كوكب الأرض ، لو أن هؤلاء الاسلاف قد استخدموا تلك النظريات العلمية فى خدمة الصناعات الاستهلاكية والزراعة، واستغلال الصحارى ، والمحيطات ٠٠ بدلا من تبديدها فى وسائل التدمير هذه !؟



٧ ـ برنامج ثورى !

استطاع الفيلم أن يترك الأثر المقصود عند المشاهدين جميعا ٠٠ وكان الوجوم مخيما على الجميع ، فى القاعة الرئيسية الكبرى ، والقاعات الصغيرة الفرعية ، والممرات ٠٠ وقد بدأوا يتساءلون بينهم وبين أنفسهم عن الصورة التى كان من الممكن أن يكون عليها كوكب الأرض ، لو أن الاسلاف قد استخدموا تلك الاكتشافات العلمية الباهرة التى توصلوا اليها ، فى خدمة الحياة البشرية ، بدلا من تبديدها فى تخزين وسائل التدمير المريعة هذه ، والتى حفل بها الفيلم ، والتى انفجرت بفعل التراكم الكمى ، والانقسامات البشرية الأخلاقية ، فأدت الى الكارثة ٠

وقبل أن يفيق المشاهدون من وجومهم ، أضيئت الأنوار فى

القاعة ، وشاهد الحاضرون مندوب النظام العام واقفا على المنصة ، أمام مائدة الخطابة ..

كان يبتسم فى ثقة لا حد لها ابتسامة متواضعة رغم ذلك ، وبدا حديثه بتحيةالجماهير ، المحتشدة ، واثنى على وعيها الاجتماعى المرهف الذى حقق كل هذا الازدحام فى القاعة المعلقة ، ثم واصل حديثه :

ـ ان معنى هذا أيها السيدات والسادة أن الشعور بالخطر الذى أحسه النظام ، كان شعورا عاما يسود غالبية المواطنين .. وقبل أن نناقش معا هذا الخطر ، أود ان أستدعى لحضراتكم وثيقة قديمة ترجع الى مئات السنين من بلايين الوثائق المحفوظة فى ذاكرة هذه القاعة ..

وضغط السيد مندوب النظام على زر من الازرار العديدة فى تابلوه الاستدعاء الوثائقى المثبت على المائدة أمامه ، ثم سجل رقم الوثيقة المطلوبة بدقات اصبعه على جهاز الذبذبات الخاص بالذاكرة .. ولم تكد تمضى بضع ثوان ، حتى ظهرت الوثيقة المطلوبة على الشاشة الضخمة خلف السيد المحاضر ..

كان عنوان الوثيقة : « برنامج المستقبل عن تواجد الانسان فى الكون » ..

وتقول الوثيقة أن رئيس أحد المعاهد الشهيرة (معهد هودسون) التى تبحث فى برامج المستقبل قد أعلن أن العالم سيشهد فى السنوات القليلة المقبلة موجة رحيل الى الفضاء الخارجى للسيطرة على الكون .. (تاريخ الوثيقة : الشهر الخامس من السنة الثالثة بعد الثمانين من القرن العشرين)

وقسمت الوثيقة برنامج هذا الرحيل على الوجه التالى :

فى سنة ١٩٨٧ م سيتم استخراج المعادن النادرة المطلوبة فى صناعة سفن الفضاء ، من سطح القمر والمريخ ، بالطرق الآلية المرسلة من الأرض ، وسوف تتكون شركات عالمية للتعدين الفضائى ...

فى سنة ١٩٩٠ م ستتم عملية هبوط أول انسان أرضى على سطح كوكب المريخ ..

فى سنة ١٩٩٥ م ستقوم المؤسسات الصناعية الأرضية بانتاج أدوات محررة من الوزن ومن عملية التفريغ الهوائى ...

فى سنة ٢٠٠٠ م سيتم الانتقال فى الفضاء الخارجى بواسطة أول وأكبر مركبة فضائية .. تتسع لمائتين من البشر ...

فى سنة ٢٠٠٥ م سيتم انشاء مصانع ذاتية موجهة من الأرض لبناء المناجم على سطح كوكب المريخ ..

فى سنة ٢٠٤٠ م سوف يرتفع عدد البشر الذين يعيشون على سطح القمر فى شكل دائم الى مائة ألف نسمة ...

فى سنة ٢١١٠ م سيصبح عدد الأشخاص القاطنين فى الفضاء الخارجى ، أكثر من عدد القاطنين على كوكب الأرض ..!

انتهت الوثيقة التى استغرق عرضها بضع ثوان .

وكانت الضحكات قد بدأت تجلجل فى القاعة تباعا من الأشخاص الذين انتهوا من قراءتها .. وحين اختفت من الشاشة بدأ السيد مندوب النظام العام يواصل حديثه :

ـ اننا جميعا نشعر بالأسى ، وقد أدركنا طبعا أن هذه الوثيقة ترجع فى تاريخها الى السنوات السابقة المعـام الذى بدأ فيه هذا البرنامج المستقبلى الذى كان يخطط له هؤلاء الاسلاف ؟

نشعر بالأسى جميعا الآن ٠٠ لأن هؤلاء الأسلاف قد أحبطوا أحلامهم ومخططاتهم بأنفسهم ٠٠ وانتهوا الى تلك الكارثة المروعة ، قبل أن يزرعوا انسانا واحدا فى الفضاء !!

لقد أساءوا استخدام فيزياء الذرة فى منتصف القرن العشرين ٠ كما اساءوا استخدام الكيمياء قبل ذلك بقرن كامل فى استغلال اختراع البارود لتطوير أسلحة القتل والاقتتال ٠٠ ولم تفلح المذابح الدامية التى نتجت عن سوء الاستخدام الأول ، فى وقف أو منع سوء الاستخدام الثانى !

وهكذا سقطت أول قنبلـة ذرية على هيروشيما ٠٠ وأدرك الانسان أن زوال الجنس البشرى قد أصبح واردا ٠٠ ورغم ذلك فقد القى بقنبلة الهيدروجين على نجازاكى ، قبل أن يتمكن من احصاء الضحايا وتقدير الخسائر التى نجمت عن القنبلة الأولى ؟؟

ولم يتوقف من وقتها عن تخزين السلاح الذرى حتى أصبح شائعا فى معظم دول ذلك الزمان من كل لون ومن كل عقيدة ٠٠ وزاد فى الكارثة أن دولا عديدة ينقصها النضج ، ودولا متهورة ، قد امتلكت الاسلحة الذرية أيضا ٠٠ حتى أصبح هذا السـلاح ملازما لذلك الانسان القديم ٠٠ يسمع دقات ساعة التفجير المركبة فى القنبلة الموقوته المعلقة فى رقبته ٠٠ دون أن يتقدم ليعطل جهاز التفجير ٠٠ فوقعت الكارثة ٠

لقد ورث أجدادنا الأوائل عن أسلافنا هؤلاء ، خرابا تحلق فيه الغازات المسمومة والاشعة القاتلة ، كان يسمى قبل الكارثة ، قمة الحضارة الحديثة ٠٠٠



وكان على هؤلاء الاجداد الأبطال خلال نضالهم الباسل لاعادة بناء البشرية ومواصلة مسيرتها ، أن يرصدوا الأخطار السالفة ويبحثوا فى دوافعها ·· ولقد قالوا فيما تركوه لنا من وثائق ، أن العملية التى تطور من خلالها الانسان وتقدم ، لا يمكنها أن تنتج قيما جمالية أو أخلاقية ·· اذ كيف يمكننا أن نتصور السماحة والعدالة فى المعاملة والرأفة والرحمة والتعاطف والتعاون والايثار ، وكافة الروحيات الأخرى ، فى مناخ يكون شعاره ، البقاء للأقوى ، لا للأصلح ؟! ·

لقد كانت العنصرية والتعصب ، هما المرض ، الذى ظل كامنا فى العقل البشرى القديم ، وحين توصلوا الى طريقة عملية لاسقاط الأمطار الصناعية بهدف رى المناطق الصحراوية وزراعتها لمحاربة المجاعة ·· اذا بهم يستخدمون تلك الطريقة فى اسقطار أمطار صناعية فوق الشعوب المعادية ، لاغراق المزارع وتدمير الطرق والجسور ··!

ألا يكون مريضا فعلا ، هذا الانسان الذى يحفل تاريخه الطويل بالحرب والدماء والتدمير ؟!

توقف السيد مندوب النظام لحظة ، أخذ يلقى خلالها ببصره هنا وهناك فوق الرؤوس المرهفة الاذان على مقاعد القاعة ، ثم قال بلهجة حاول أن تكون مؤثرة ، رغم طابعها العلمى :

ـ اننا نجلس الآن هنا ، فى ظل رفاهية عصر العمل وأمانه ، نتكلم عن الماضى المؤلم ونفكر فى اننا قد نجونا منه تماما والى الابد ·· ولكن هذا الشعور فى الحقيقة غير دقيق ·· وربما يكون غير صحيح أيضا ··؟

حقا لقد نجح النظام خلال المسيرة الجديدة للبشرية ، فى القضاء على التناقض بين منجزات الانسان العلمية وبين عجزه عن اقامة

علاقات انسانية منسجمة داخل العائلة البشرية ·· وقد كان لتوحيد الوطن واللغة الدور الأساسى فى هذا النجاح ·· الا أن النظام يرى بوادر الخطر تطل برأسها فى السنوات الأخيرة ، عبر هذه الحالات الشاذة ، لهؤلاء السادة الذين يتوقفون فجأة عن متابعة تيار حياتهم اليومى ·· انها نذر بأن الشعور الفردى الذى يقود الى المخالفة والاختلاف والتعصب ، لا يزال كامنا يطل برأسه بين الحين والحين هنا وهناك ·· وهى مشكلة صحية يرى النظام أن السكوت عليها أكثر من ذلك ، يعد خيانة لمسيرتنا الجديدة ··

أيها السيدات والسادة ·· اننى أدعو السيد الزميل ، مندوب الصحة العامة ، ليتولى هذا الجانب الصحى من المسألة ، ويشرح لكم رأى النظام فى هذه الحالات ، والوسائل التى يقترحها لمعالجتها· وبعد أن ينتهى السيد مندوب الصحة من كلمته ·· سوف يفتح باب المناقشة وتؤخذ الأصوات على المشروع المقدم ··

أتركم الآن للسيد الزميل ··

وأشكركم على حسن استماعكم ··

وصعد السيد مندوب الصحة العامة الى المنصة وأخذ مكانه أمام مائدة الخطابة ، وانطلق مباشرة فى حديثه ، دونما تمهيد ·· قال سيادته ،

ـ أرجو أن تسمحوا لى بأن أذكركم بتلك النظرية القديمة التى كانت تدرس بالمدارس الأولية · فى القرن الماضى باسم (نظرية الانفعالات) تلك التى تقسم الدماغ البشرى الى قسمين ·· الأول يتعلق بالغرائز والانفعالات ، والثانى هو مركز الكلام والمنطق والتفكير ·· وبدلا من أن يتطور القسم الأول والقسم الثانى من الدماغ معا ، بصورة منسجمة ·· فان القسم الخاص بالمنطق والتفكير قد تطور ، وبقى القسم الخاص بالغرائز على حاله دون تطور ···

وكان من الحتمى أن ينعكس هذا التناقض فى شكل نزاع عنيف بين شقى الدماغ ·· الشق الأول القديم الموروث ، والشق الثانى الجديد المكتسب ، وهكذا نشأ جنس بشرى مختل عقليا بسبب هذا النزاع بين الغرائز والعقل ·· بين العاطفة والفكر ·· بين الأهواء والمنطق ·

وقد أدى هذا الانقسام ، أو الانفصام ، داخل المخ البشرى القديم ، الى كل الكوارث التى جلبتها البشرية القديمة على نفسها ·

ولقد أدرك المسئولون عن المسيرة البشرية الجديدة بعد الحرب الالكترونية الأولى تلك الحقيقة الفاجعة ، فبدوا يعملون على تطوز ذلك القسم المتخلف من المخ البشرى بواسطة السيطرة البيولوجية على الغرائز ·· وتوجيهها فى سلم التطور ···

لقد أستفدنا كثيرا من الابحاث والدراسات التى تركها لنا الرواد الأوائل فى هذا المجال ، حين أدركوا أن الطفل البشرى يظل عاجزا ومرتبطا بوالدته مدة أطول بكثير من المدة التى كان يقضيها أى صغير آخر فى المخلوقات الأخرى ·

وهكذا كان ينمو الطفل البشرى متأثرا بأهله ، خاضعا لعقائدهم ومعتقداتهم دون تمييز شخصى بسبب هذا الالتصاق الطويل ·· وهكذا ينمو مع هذا الطفل ، التعصب الاعمى للأفكار والعقائد الموروثة ، دون تفكير ، وبحماس غير معقول ، ندرك جميعا الآن أنه كان يتنافى مع مصلحة النوع البشرى ، بل ويناقض غريزة البقاء فيه ، بدليل أنه قد أدى به الى تدمير نفسه ···

وقد نجح النظام فى خطة الولادة المعملية عبر الانابيبب التى بدأ تطبيقها فى النصف قرن الاخير ·· وبدأت تولد أجيال جديدة

صحيحة فعلا من هذه الناحية ، وشبه متجردة من تلك العواطف القديمة المتعلقة بالبنوة والأبوة والآمومة ...

ان العملية التربوية القائمة على فصل الأطفال عن وعاء الأم ، سواء فى المرحلة الجنينية ، أو مرحلة الطفولة .. قد أثمرت نماذج بشرية متجردة من الاحساس الفردى ومرتبطة تماما بالنظام العام وأهدافه التطورية الشاملة ..

وانتم تعلمون جميعا أن هؤلاء الطلائع يحملون منذ سنوات طويلة ، مسئولية التنمية البشرية فى المجتمعات الجديدة التى تنشأ عاما بعد عام فوق سطح كوكب القمر .. وهى مهمة تستدعى البقاء فى الفضاء الخارجى بعيدا عن الأرض . عشرات السنوات ، وهو شىء لا يستطيع احتماله ، الأشخاص الآخرين الذين ولدوا ونشأوا فى أحضان عائلاتهم ، حيث يستولى عليهم الحنين والقلق . ويؤثر على تفكيرهم وطريقتهم فى الآداء ذلك الشعور بالاغتراب عن الاسرة .. وقد كنا نظن أن اطلاق الحرية ، لبقية الغرائز الأخرى . مثل غريزة التنوع الجنسى واللذة ، وغريزة التعبير بالكلام ، عبر صالونات الحب الحر ، وملاهى المناقشات العامة .. تقوم بترويض تلك الغرائز واشباعها بالشكل الذى يمنع التمرد أو العنف والاعتداء .. ولكن بالرغم من النجاح النسبى فى هذا المجال .. الا أن ظواهر الانقطاع والتوقف التى تكاثرت اخيرا ، تعطى جرسا منذرا يجب علينا أن ننتبه له ، اذا كنا مازلنا مخلصين لعنصرنا البشرى ...

اننا نعلم أن قانون التطور الطبيعى بطىء .. وان تلك الحالات انما هى استثناء من القاعدة .. ويستطيع النظام أن يتجاهلها ، وهو مدرك أن التطور سوف يشملها آجلا .. أو سوف يتجاوزها وتنقرض .. الا أن خطورة هذه الحالات ، انما تكمن فى هذا الميل

الملاحظ فيها جميعا ، الى الأشياء القديمة والتاريخية ‥ والتحليل العلمى يفسر هذه الحالات بأنها ارتداد الى الطبيعة الفطرية ‥ حيث لم يعد للطبيعة الفطرية وجود في واقع الامر ‥ !

ان الوقت أمامنا ضيق جدا نحن البشر ، وعلينا كما نعلم جميعا أن نرحل بأسرع ما نستطيع عن كوكبنا العتيق هـذا ‥ الأرض ‥ حيث لم يعد يصلح لبقائنا ‥

نحن فى سباق مع الزمن ، وربما تصمد تلك البقعة المغطاة التى نعيش فيها هنا مائة سنة أخرى ، أو مائتين ‥ قبل أن يلتهمها ذلك التطور الاشعاعى والحرارى الذى تركه آسلافنا بألاعيبهم الحربية الدنيئة ‥

وحتى الآن فان كل ما امكننا ترحيله واسكانه بالمستعمرات البشرية فى كواكب مجرتنا ، لا يزيد عن ثلث البشر ‥ ولهذا فان أمامنا عمل طويل ، ووقت قصير ‥ لا يسمح ابدا بهذا الترف الوجدانى بالعودة للتفكير فى الطبيعة القديمة ‥ بعد أن تبين لنا أيضا ‥ أن هذا الترف يعدى ؟!

ولهذا أيها السيدات والسادة فان خطة التوصـــل الى بشر عقلانيين بالكامل ، والتى يسير فيها النظام بتدرج وروية ‥ يجب أن تسير بسرعة أكبر ‥ وبدلا من الاعتماد على مراقبة التطـور البشرى وتصحيحه ، فان من الضرورى دفع هذا التطور بالوسائل العلمية وتوجيهه الى الوجهة الصحيحة المطلوبة فى أقصر وقت .

اننا بكل آسف سوف نبدأ ذلك متأخرين ‥

فبرغم أن الانسان القديم قد حطم الذرة ، وقفز من الأرض الى القمر ‥ فانه مع ذلك لم يحل لغز الذاكرة والفهم والوعى ‥ أو بمعنى آخر ‥ لم يفهم نفسه ‥

لقد كان أرسطو فى عصر ما قبل الميلاد ، يقول لتلاميذه أن المخ البشرى عبارة عن جهاز لتبريد الدم ؟!

وقال عن القلب أنه جهاز الفكر فى الانسان ٠٠ !

أما الفيلسوف بلينى فقد أعطى معاصريه تفسيرا صحيحا للمخ البشرى عندما قال انه قلعة الحس والادراك ٠٠

ومع ذلك فلا أرسطو ، أو بلينى ، قد استطاعا أن يغوصا داخل مخ الانسان لاستكشافه ، لأن عقبات فلسفية متخلفة ، وقفت فى طريقهما وفى طريق غيرهما من أجيال العلماء القدامى ٠٠ بسبب ذلك الاعتقاد القديم الذى ظل شائعا حقبات طويلة ، بأن المخ هو عرش الروح ، ولا يجوز الاقتراب من محرابه !

وعاد السيد مندوب اللجنة العامة للصحة يكرر ما قاله من قبل ، ويصف خطة التوصل الى بشر عقلانيين بالكامل ، والتى يسير فيها النظام بتدرج وروية ٠٠ بأنها خطة حياة أو موت ، ويجب أن تسير بسرعة أكبر ٠٠ وبدلا من مراقبة التطور البيولوجى للبشر ، وتصحيحه ، فان من الضرورى دفع هذا التطور بالوسائل العلمية وتوجيهه الى الوجهة الصحيحة المطلوبة ، فالوقت قد أصبح ضيقا ، ولا يسمح أبدا بهذا الترف الوجدانى بالعودة الى التفكير فى الطبيعة والتى تعبر عنه تلك الحالات الشاذة التى بدأت تظهر على بعض المواطنين هنا وهناك فى السنوات الأخيرة ٠٠

وعلا صوته وهو يؤكد :

ـ انها نذر بأن الشعور الفردى الذى يقود الى المخالفة والاختلاف والتعصب ، لا يزال كامنا ، يهدد مسيرة البشرية الجديدة ٠٠ ؟!

تحرك السيد هومو فى مكانه بقلق ، ومال بوجهه قليلا ، ليشمل ما حوله بنظرة جانبية ، فرأى ان عددا كبيرا من معارف السيد بروف وأصدقائه ، قد تململوا بقلق فى أماكنهم أيضا عند سماع تلك المقولة الأخيرة ٠٠ من خطاب السيد مندوب الصحة ٠٠ ولكن السيد بروف التفت اليه قائلا : لا تقلق ٠٠ كل هذا الكلام الذى يبدو لك مؤثرا ٠٠ هو كلام مردود عليه ٠٠ ولسوف أتولى الرد حين يفتح باب المناقشة ٠٠ ان النظام فى مأزق ، وهم يحاولون التنصل من الخطأ بمزيد من الأخطاء ٠٠ ؟!

وكان السيد مندوب الصحة يواصل حديثه قائلا :

ـ لقد كان هناك فى الزمن القديم بشر يعيشون فى الماضى ، وبشر يعيشون فى الحاضر ، وبشر يعيشون فى المستقبل ٠٠ ولقد استطاع عصرنا أيها السادة ، أن يقضى على هذه التقسيمات الجائرة التى أضرت بالأسلاف ، وبددت مسيرتهم وضيعتهم جميعا فى آخر الأمر ٠٠ !

الآن نحن جميع الفصيلة البشرية ، نعيش المستقبل فعلا ، ونتقدم فيه بوعى ، لنبنى حضارتنا الكونية ٠٠ ولا أذيع سرا اذا قلت أن الحياة العلمية المعاصرة قد خلخلت ان لم تكن قد قضت على الكثير من قيم العالم القديم ومؤسساته التقليدية ٠٠ وفى طليعتها ، المؤسسة العائلية ٠٠ أو مؤسسة الزواج ٠٠

تلك المؤسسة القديمة التى ظل البشر عبر القرون يشتمونها ويسخرون منها دون أن يتوقفوا عن الاشتراك فيها وتدعيمها ، جيلا بعد جيل ٠٠

لقد كان الخط الفاصل بين مرحلتين فى تاريخ البشرية الأولى ،

هو اكتشاف الزراعة ·· فقد بدأت معها الملكية الفرديـــة ، واذن العصر الشيوعي الأولى بالانتهاء ··

وكما نعرف جميعا حسب درايتنا بالتاريخ ، كانت مرحلـة الملكية الفردية بداية لظهور نظامين من أخطر النظم الاجتماعية فى تاريخ الانسان ·· نظام الرق ·· ونظام الاسرة ، حيث كان الرجل لا المرأة ، هو رأس الاسرة ورأس القبيلة ورأس الدولة ، ورأس كل تنظيم اجتماعى ··

لقد كانت المرأة هى الحاكمة فى المجتمعات الشيوعية الأولى فى عصور الصيد ·· وبظهور الملكية الفردية انتقلت السيادة للرجل ، فامتلك المرأة وفرض عليها التخصص له ، بينما احتفظ لنفسـه بحق التعدد ·· !

فى ذلك الزمن الموغل فى القدم أيها السادة ·· ولدت مؤسسة الزواج التى اعتقد الانسان الذكر أنه قد استطاع من خلالها أن يمتلك المرأة ، دون أن يمتلكها أبدا فى الحقيقة ·· لأن امتلاك كائن بشرى هو تفكير خاطىء من الأساس ·· لقد كانت الغيـــرة هى المرادف البشع لحب انسان فى تملك انسان آخر ·· ونحـــن نشاهد الاثار المدمرة التى نجمت عن هذه الغيرة ، فى الافلام البشرية القديمة التى عثر عليها أجدادنا فى ذاكرة هـذه القاعة المعلقـة ·· ونضحك الآن من هؤلاء الأسلاف البلهاء الذين ظلوا عصورا عديدة يطالبون بتحرير المرأة ·· والمرأة كانت حرة تماما مثل الرجل ورغم أنفه ·· لأنها فى الحقيقة تستطيع أن تحب أكثر من شخص واحد فى آن واحد ، مثله تماما ·· وكانت تستطيع الاستمتاع بالفعل الجنسى دون حب ، ودون زواج مثله أيضا ·· بل أن ذلـــك كان

ضروريا ، كى تكتمل شخصيتها وتصبح معادلة له فى مؤسسة الزواج والعائلة ، التى كان مطلوبا الحفاظ عليها وتدعيمها !

وبالرغم من الخيانات الزوجية الشائعة والمحافل الجنسية العديدة التى ازدحمت بها مجتمعات ما قبل الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ؛ والحرب العالمية الثالثة المسماة علميا بالحرب الالكترونية الأولى ·· ظلت تلك المجتمعات حريصة على مؤسسة الزواج ، بتطوير قوانين تلك المؤسسة بين الحين والحين ·· لا لأنها مؤسسة عاطفية ·· وانما لأنها مؤسسة اقتصادية وسياسية ·· وبالرغم من كل تلك الحرية الظاهرة التى كانت تتمتع بها المرأة خلسة وعلنا فى ظل مؤسسة الزواج القديمة تلك ، الا أنها ظلت فى الحقيقة ، مستعبدة لمشاعرها الانثوية المتعلقة بعمليات الحمل والانجاب ، على كثرة وسائل منع الحمل وايقافه التى كانوا يستعملونها فى تلك الأيام ··

حدث هرج فى المدرج الذى على يسار المنصة حيث يجلس هومو ·· وغمغم بروف بصوت تعمد أن يصل الى السيد المحاضر ·· بأن الخطاب طويل ··

وقال السيد المحاضر :

ـ ان الخطاب طويل فعلا ·· لأن المشروع الذى يقدمه النظام اليوم هو نقطة تحول فى مسيرتنا البشرية ، ربما تعادل اكتشاف النار ، أو ختراع العجلة ·· وأنا أعرف طبعا ان هناك عددا لا بأس به من السادة يود الكلام ·· ان لدينا الوقت ، ولسوف نتكلم جميعا ·

لقد تخلصنا فى عصر العسل ، من كل العيوب القديمة التى كانت للمؤسسة الزوجية ، والتى كانت قائمة عى الامتلاك ·· لقد

أصبحت المرأة حرة ، وأصبح الرجل حرا أيضا ٠٠ لقد تجاوزنا منذ زمان ذلك الاحساس المرضى بالغيرة واستبدلناه بالفرح لأن شريك حياتنا سعيد بممارسة علاقة مع شخص آخر أو أشخاص آخرين ٠٠ ولكن الحرية الحقيقية التى تتمتع بها المرأة فى عصرنا هذا ، انما تحققت عندما توقفنا عن استعمال الرحم ، ذلك العضو السريـع العطب ، فى انجاب الأطفال ، وأوكلنـا ذلك الأمر الى الأنابيب ٠٠

وكما تحررت المرأة من عملية الأمومة التى كانت تكبلها بالقيود العاطفية والمعنوية ٠٠

كذلك تحرر الرجل من أعباء الأبوة ، بعد أن اصبح الاولاد ملكا للنظام ٠٠٠

لقد انتهت المؤسسة الزوجية بكل معانيها القديمة أيها السادة بالفعل ، ونحن مازلنـا نحتفظ باطـارها الشـكلى لتحقيق الرفقـة للمواطنين ٠٠ ولكن لجان التحقيقات الآلية قد تبينت أنه فى عش تلك الرفقه التى ما يزال النظام يسمح بها ، تولد كل مشـاعر التخلف والارتداد التى تطرأ على المجتمع بين الحين والحين ٠٠ حيث لوحظ على جميع الذين اعترتهم حـالات التوقف او الانقطـاع عن تيار الحيـاة المرسوم ، أنهم لا يترددون على صالونات الحب الحر ويرتبطون عاطفيا بالأشياء ، مما يعنى وجود الميل للامتلاك ٠٠ ؟

ان قدر الانسان أيها السـادة ، هو الخلود فى هذا الكون عن طريق الارتقاء المستمر بتكوينه العقلى والعاطفى ٠٠ ذلك هو شعار النظام ٠٠ الصعود المستمر فى الكون ٠٠ ومن أجل مواصلة الصعود، فان النظام يطرح على سيادتكم اليوم هذا البرنامج التطـورى ، للاستفتاء العام ٠٠

اولا : بالنسبة للحالات العارضة التى ظهرت خلال السنوات الأخيرة متمثلة فى الانقطاع أو التوقف عن تيار الحياة المرسوم ، فانه يجب البدء فورا بمعالجة عقولها كيمائيا عن طريق حقن الخلايا العصبية ، لتصويب عمليات الاستقبال والشعور ، بحيث تعود لهؤلاء الأشخاص ، السيطرة العاقلة على أنفسهم :

ثانيا : أن نتوقف عن خداع أنفسنا كما كان يفعل الأسلاف ، ونعلن بشجاعة الغاء الزواج .. الذى انتهى دوره الاجتماعى اقتصاديا وسياسيا ، منذ قرون عديدة .. والذى لم يبق لنا منه الآن سوى تلك اللافتة التى تحمل اسمه ، نعلقها على منزل كل اثنين يعيشان معا ! .. فكل اللجان الصحية الفرعية قد توصلت فى تقاريرها المرفوعة للمركز الصحى العام ، الى أن هذا الزواج يخلق فى كثير من الأحيان ، مناخا خصبا للمشاعر الفردية ، حيث يخلق تكرار المعايشة نوعا من استقطاب الشعور تجاه شخص واحد .. وبالغاء هذا الزواج ، فان الشعور الفردى سوف يتحول تلقائيا الى مجاله الطبيعى تجاه المجموعة البشرية بأجمعها ..

ثالثا : اننا فى الحقيقة لم نعد فى حاجة الى الزواج اجتماعيا بعد أن انتفت منه أغراض تكوين الأسرة .. فان معامل الولادة تحتوى الآن فى مخازنها مئات الملايين من خلايا الاخصاب المأخوذة من المواطنين الذكور ، ومئات الآلاف من البويضات المستعدة للتخصيب ، والمأخوذة من المواطنات الاناث .. وكل خلية أو بويضة تحمل رقم صاحبها أو صاحبتها .. ويتم تخصيبها فى تلك المعامل حسب المواعيد التى تقررها لجنة ترتيب المجتمع ؛ لانجاب الأفراد .

ولا شك أن الكثيرون منا لا يزالون يشعرون باللهفة للانجاب .

انهم يقبلون بحماس على زيارة جنينهم لمتابعة نموه فى أنابيب

معامل الولادة ·· بل ان عددا كبيرا من المواطنين ، يمضون أجازتهم الأسبوعية هناك بالقرب من مواليدهم ·· وقد يبدو هذا التعلق العاطفى غير ضار ·· لكنه فى الحقيقة يخلق حالة من القلق ، لأن الانفصال عن الطفل أمر حتمى بحكم النظام السائد لتنشئة الأطفال فى حضانات الدولة ومدارسها ·· ولهذا فمن الأفضل ان يتم هذا الانفصال مبكرا عند تسليم النطفة أو البويضة ، لمنع أى ارتدادات نفسية لدى المواطنين ·· فالشعور تجاه الابن المجهول هذا ، سوف يتحول تلقائيا تجاه كل الابناء فى المجتمع البشرى ·· وبهذا يتم القضاء نهائيا على أخطر البذور التى تثمر المشاعر الفردية ، ويصبح الانسان اجتماعيا مائة فى المائة ·

رابعا : الغاء الزواج سوف يستتبع بالضرورة بالغاء المساكن ·

ان الانسان المعاصر يمض جانبا من وقته فى العمل ، وجانبا آخر فى أماكن الرحلات المختلفة ومجالات المتعة الثقافية والترفيهية العديدة وملاهى المناقشات ·· كما أنه يحصل على اللذة فى صالونات الحب الحر ، وأنديته المنتشرة ·· ووجود مسكن مخصص له ، يحتم عليه العودة من كل هذه الأماكن الى هذا المسكن فى النهاية ·· مع أن كل ما سيفعله فى هذا المسكن ، هو النوم فقط !!

ان النظام يقترح الغاء المساكن واستبدالها بالفنادق المجانية المجهزة بكل الاحتياجات الانسانية ·· حيث يستطيع الانسان المعاصر أن يمضى ليلته فى أقرب فندق للمكان الذى يكون فيه ويستبدل هناك كل ما يشاء من ملابس وأدوات وأشياء ·· انه بذلك يصبح أكثر حرية ·· وفى نفس الوقت يتخلص تماما من كل غرائز الامتلاك الفردى المتبقية فيه ، ويدرب نفسه على التجرد ، فيصبح كما أوصت الديانات القديمة ، قريبا فى أخلاقه من الرعاة والقديسين ·· بالاضافة الى ما سوف تنتجه هذه الحياة الفندقية ، من تخلص

من عادة التعلق بالأشياء والأماكن ، كتمهـــيد نفسى للرحيل عن الأرض ·· كوكبنا الأم ·

أيها السادة ذكورا وأناثا ·· فلنقل وداعا للتخبط ·· فـان العلم يوجه التطور الآن بوعى كامل ··

لقد أصبح الانسان فى النهاية وصيا على نفسه ··

والنظام حين يطرح هذا البرنامج الثورى للمناقشة ، قبل أخذ الاصوات عليه ·· انما يثق ثقة لا حد لها فى الوعى الجماهيرى العام ·· ويعتمد الى حد لا نهاية له الآن على هذه الثقة فى الموافقة على هذا البرنامج واقراره ·

أحييكم جميعا ·· ونترككم الآن الى استراحة قصيرة ·· نعود بعدها الى المناقشة وأخذ الاصوات ··

وغادر السيد المحاضر مندوب الصحة العامة المنصة بينما كانت القاعة تدوى بالتصفيق حماسا لهذا البرنامج المقترح ·· ولاحظ هومو أن الجانب الذى يجلس فيه ، لا يصفق منه أحد ··

فمال على دافيد وسأله :

ـ يبدو أننا نجلس فى الجانب المعارض ، مع أن هذا البرنامج يبدو جديرا بالتفكير · ما رأيك ؟!

وقال دافيد :

ـ رأيى أن النظام منسجم تماما مع نفسه ومع أهدافه ·· ان هذا البرنامج ضربة مناسبة فى الوقت المناسب ·· ولكن انتظر حتى ترى ما سيقوله صاحبك بروف ··

وكانت المقاعد قد بدأت تخلو فى القاعة ، من روادها الذين اتجهوا الى أنابيب الطعام والمشروبات التى تعبر بالجدران ‥ لأن جميع الصالونات والكافيتريات كانت مشغولة تماما بالمواطنين ‥ ولاحظ هومو أن السيد بروف يبدو متجهما وهو ينهض قائلا لهم :

ـ هيا نشرب شيئا ‥

وحين وقفوا أمام الأنابيب المتحركة وتناول كل منهم مشروبا ، قال بروف :

ـ هل لاحظتم كيف يفكرون ‥ هؤلاء التكنوقراط الذين يحكموننا ‥ ؟!

ان ذكائهم مجرد تماما من الفطرة ‥ انه ذكاء مسير بالقوانين العلمية التى تخترعها الآلات ‥ لقد أصبح هذا النوع من الذكاء غريزة جديدة يريدون زرعها فى الكائن البشرى الذى يحاولون اقتلاع غرائزه القديمة منه ‥ !

بل ان هذا النوع من الذكاء العلمى المجرد من المشاعر ، قد أصبح تعصبا أيضا ‥ فى نفس الوقت الذى يلومون فيه الاسلاف على تعصبهم ‥ !

انتظروا حتى نواجههم ‥

لابد ان نواجههم ‥ ونوقفهم قبل أن يقودونا الى الكارثة المحتومة بتلك الخلخلة للقوانين الطبيعية المركبة فى البشر ‥ ؟

وقال هومو :

ـ ولكننى أشعر ايها السيد بروف أن البرنامج المطروح هو برنامج منطقى الى حد كبير ‥ انه امتداد طبيعى لمسيرتنا البشرية

الجديدة التى بدأناها منذ بضعة قرون .. ولست أدرى اذا ما كان ذلك حقيقة سوف يؤدى الى علاج الحالات المشابهة لحالتى ، أم أنه سيقود الى أمراض جديدة لم نسمع عنها أبدا ؟

وقال بروف :

ـ انهم مجرمون ، هؤلاء السادة مسئولو النظام .. انهم يعرفون جيدا أن علاج حالتك هو أن تعود الى استثمار جميع امكانياتك البشرية بطريقة طبيعية .. أن تعود الى العمل بيديك .. والى مواجهة التحديات بعقلك وليس بواسطة هذه الآلات اللعينة !

انهم يسعون الى أن يصبح الأفراد مجرد قطع صغيرة فى الالة الكبرى .. وبذلك يستطيع النظام أن يأخذ كل شىء ويعطى كل شىء .. يأخذ الحياة من الطبيعة .. والروح من الانسان .. ويعطى الأمن المادى لأولئك الذين يسهمون بلا مناقشة ، فى بناء النظام واستمراره ، أليس ذلك واضحا أيتها السيدة ليالى .. ؟

وقالت السيدة ليالى أنها لم تستطيع أن تكون رأيا بعد ، ولكن لديها تساؤل حول مصير الأشخاص المتزوجين فى حالة الغاء الزواج المقترح هذا .. ؟

وقال بروف :

انه الغاء شكلى .. انه الغاء لاعتراف النظام بالزواج والتوقف عن مساندته .. ولكن الازواج يستطيعون الاستمرار فى علاقاتهم الثنائية فى اطار نظام الحب الحر المسموح به طبعا .

ولاحظ دافيد أن جمهور المواطنين قد بدأو يعودون الى مقاعدهم فى القاعة فقال لهم وهو يسحب هومو من ذراعه :

هيا بنا لنحضر المناقشـــة من بدايتها ‥ من الذى سيبدأ يا ترى ‥ ؟!

وقال بروف :

ـ أنا الذى سـوف أبدأ ‥ انهم يعرفون ذلك جيدا لأنهم يعرفوننى كما أعرفهم ...

لقد كنت واحدا منهم ...

كنت عضوا فى الهيئة العليا للتكنواقراط ‥ لكن ضميرى ظل يؤلمنى كلما رأيت العبيد الآليين يقومون بكل شىء ‥ والبشر لاهون فى المتع الرخيصة التى يغرقهم النظام بها ‥

ولهذا انسحبت ‥ وقررت المعارضة !

وعـادوا الى مقاعدهم فى القاعة الرئيسية ‥ فلاحظـوا أن عددا من صناديق الخطابة التى تبـلغ فى ارتفاعها حتى صدر الخطيب ‥ قد انتصـبت فى أرجـاء المنصـة ، وقـد وقف وراء بعضها ، السادة مندوب النظام العام ، ومندوب الصحة ، ومندوب اللجنة المركزية للأمن ‥ بينما كانت الصناديق الأخرى خالية ، فى انتظار السادة المتناقشين ، الذين أخذوا يصعدون الى المنصـة تباعا ، ويحتلون أماكنهم خلفها ‥ ولاحظت السيدة ليالى ، كما لاحظ دافيد ؛ أن عددا من هؤلاء الذين صعدوا للمناقشة ، هم من الذين كانوا يشتركون فى تلك المناقشـــة التى حضراها بملهى المناقشات العامة ، التابع لمجمعهم السكنى ‥ فقد رأت ليـالى بينهم ذلك الشخص الذى كان مغرما بامتصاص حبوب البيرة المركزة دون أن يذيبها فى كأسه كالمعتاد ‥ ورأت أيضا ذلك الشخص الذى كان يتكلم والغليون فى فمه ينفث الدخان كثيفا مع الكلام ‥

وكان السيد بروف قد صعد الى المنصة وأخذ مكانه خلف صندوق الخطابة المواجه لصناديق مندوبى النظام ·· وبدأ يتكلم ·· قال يقدم نفسه :

ـ اسمى بروف ·· عضو بالهيئة العليـــا للتكنوقراط ·· وعضو باللجنة الدائمة للنظام ·· وقد طلبت التفرغ لمراجعة تلك الظاهرة التى بدأت تطرأ على الأفراد والتى تمثلها خير تمثيـــل حالة السيد هومو ·· رجل السبانخ ···

وانى أقف أمامكم الآن لأعلن ·· أن هـــذه الحـالات التى يعتبرها النظام شاذة وخارجة عن التيار اليومى المرسوم للمواطنين فى عصر العسل ·· انما هى حالات طبيعية ·· وأصحابها لا يزالون يحتفظون بالجوهر الحقيقى للبشرية ·· !

أيها الأخوة والاخوات ··

ان تطور العقول الالكترونية يطرح علينا تحديا مخيفا ·· فالى متى سيستمر العقل البشرى فى السيطرة على العالم ، ويظل الانسان سيد مصيره كما أعلن السيد مندوب الصحة ؟!

والى متى سيظل صالحا تعريف الانسان بأنه حيوان عاقل ، فى حين تتجاوز العقول الصناعية قدرته وكفاءته ؟!

اننى أشـــعر بالأسى وأنا أعلن لكم الآن رأيى فى أن عصر العسل الذى نعيشه الآن ، هو عصر الخيبة الحقيقية للبشرية ·· ان هذا العصر يذكرنا بالجنة القديمة التى كانت فى أعالى الأشجار ، حيث كان يعيش أسلافنا القرون يتسلون بالتقاط الحشرات من رؤوس بعضهم البعض ، حسب قاعدة أنا أهرش ظهرك ، وأنت تهرش ظهرى !

ففى واقع الأمر يعيش البشر هذه الأيام ؛ عالة على الآلات التى تغذى نفسها بالمعلومات ، والآلات التى تنظم نفسها بنفسها وتضع لذاتها برامج العمل ، وتجدد وتطور فى هذه البرامج أيضا حسب النتائج التى تتوصل اليها ... بل أن هذه الآلات قد أصبحت تخترع بعضها بعضا ، فهى تضع التصميمات لآلات أخرى يستلزمها سير العمل ، دون تدخل من البشر .. ؟!

لقد كنا نحن البشر نقول فى القرن العشرين أن الانسان قد اخترع الآلة التى تفوقه قدرة ، ولكن هذه الآلة تنحنى للعقل البشرى ... لكننا لم نلحظ عبر مسيرتنا التكنولوجية السريعة ، أن تلك الآلة قد كفت عن الانحناء منذ زمان طويل .. !

الآن أيها السادة ؛ أصبحت الآلات عاقلة ، لها قدرتها على الاختراع ووضع التصاميم واختزال الخبرات السابقة .. بل أن عملية تقليد الشعور تجرى فى هذه الآلات من أزمنة طويلة ، وعلى نطاق يتسع بشكل مرعب ، دون أن يعترض أحد .. وأبسط مثال على ذلك ، أجهزة التدفئة التى تقوم تلقائيا بتعديل الحرارة كلما شعرت بالحاجة الى ذلك .. والكثير من الآلات الحديثة الآن ، تشعر بالملل ، وتمتنع عن الاصغاء .. بل وترسل بصورة اتوماتيكية رسائل احتجاج الى منطقة البث المركزى ، اذا وصلتها معلومات متكررة أو خاطئة .. فالعقول الالكترونية الحديثة تقوم بالكثير من الوظائف التى كانت من اختصاص الدماغ الانسانى ، كالادراك وتصحيح الخطأ ذاتيا ، والتكيف ، والتعلم ، والاستدلال ... وعندما تبلغ الآلة التى يخلقها الانسان ، هذا الاسراف فى الكمال ، فانها تصبح غريبة عنه ، ومعادلة له .. وتستطيع أن تعمل له أو ضده ؟!

ان النظام يتحدث عن تطوير العقل ، والغاء الغرائز ، دون

أن يلاحظ ذلك الهبوط المستمر فى مستوى الذكاء البشرى ، كنتيجة لسيادة المنطق الآلى الميكانيكى ‥ فلقد أصبح هذا المنطق الآلى نوعا من القدر الغامض والمبهم ، يمسك بتلابيب المصير البشرى ‥ وأصبح أشهر العلماء والباحثين الآن ، اشخاصا عاديين متوسطى الذكاء ‥ انهم تقنيون يجيدون استخدام الأجهـــزة ‥ أو على الأصح جهاز واحد ‥ أو جزء من الجهاز فقط ‥ ؟!

ان البشرية تفقد الكثير من خصائصهـا ونحن مندفعون وراء الحلم العبثى القديم للانسان بأن يكون خالقا ‥ بالرغم مما يحتويه هذا الحلم من أخطار ‥ ؟

بل ان تلك الصيحة الشهيرة التى أطلقها الفنان القديم مايكل انجلو وهو يقف معجبا بتمثال موسى الذى صنعه ، ويقــول : انطق ؟! هى تعبير مأسوى عن هذا الحلم المستمر والذى سـوف يقودنا الى الكارثة ؟!

ان السيد هومو رجل السبانخ ورفاقه أيها الأخوة والاخوات ‥ قد أدركوا من خلال الروح الفطرية للطبيعة والتى لا تزال تشع بداخلهم ، تلك الفاجعة التى تسير اليها البشرية وهى تنطلق الى الفضاء مغمضة العينين ، مقودة بهذا المنطق الآلى الذى تلده العقول الآلية ‥ وحين توقفوا عن متابعة مسيرة حياتهم المرسومة ، انما كانوا يستجيبون الى تلك الانذارات الداخلية التى تشـبه الالهـام الفطرى ، بأن المسيرة خاطئة ‥ ويجب التوقف عنها ‥ ؟

انهم يبدون فى نظر النظام متعارضين ؛ لأن موقفهم يتخذ شكل احتجاج عاطفى ، روحى فردى ، غائم ، لا يستند الى تحليل للواقع أو الى موقف محدد من التاريخ ‥

ولكن ، لكى نكون عادلين ، فكيف نطلب من هؤلاء البشر

الذين جردناهم من الارادة البشرية .. وشحنا عقولهم بالمنطق الآلى، أن يعودوا لاستخدام عقولهم الطبيعية بطريقة محايدة ؟

ان الحضارة ليست مجموعة من المصنوعات من نتاج العقل .. بل انها اتقان وتطوير العمليات ، ولم تكن مسيرة الانسان وتقدمه عبر العصور جميعها ، سوى تحسين عمل اليد البشرية .. وأهم حافز دفع الانسان للارتقاء هو متعته فى ممارسة مهارته وحذقه ، والفرح والجرأة التى تتملكه خلال انجاز عمله .

والكثير من النصب التذكارية والمعابد الشاهقة والانشاءات التى شيدتها البشرية عبر أجيالها العـديدة ، لتمجيد ملك ، أو تقديس عبادة ، أو تخليد حزب من الاحزاب ، ندرك الآن جيدا أنهـا لم تمجـد أو تخـلد سـوى البنـاء الذى بناها ، والنحات الذى زخرفها .

وهـكذا أيها السـادة .. نجد أن الانسان الفرد ، هو البداية والنهاية .. هو الغاية والوسيلة .. وجدير بنا أن ننتبه فى تلك المرحلة من تقدمنا البشرى الى تلك الانذارات التى يطلقها أخوتنا هؤلاء الذين لا يزالون يحتفظون بجوهرنا البشرى الأصـيل .. أمثال رجل السبانخ وزملائه .. وبدلا من تلك المغالاة فى الاندفاع بعيدا ، بالغاء الغرائز والعواطف والقضاء على المشاعر الفردية .. فان علينا ان نعود الى بشريتنا ونتشبث بها ..

اننى أسـتطيع الآن أن التمس العذر لهؤلاء الأخوة .. بل وأحذر بصفة خاصة من أن حالات التوقف التى انتابتهم هى حالات معدية قد تنتشر بيننا الى أن تنفجر فجأة وتؤدى الى تدمير فوضوى ثان يودى بالبشرية الحديثة كما أودت الحرب الالكترونيـة الأولى بالبشرية القديمة السابقة علينا .. فانه فى الحقيقـة ليس أدعى

الى انقباض الصدر ، والشعور بالسلبية ، من عالم يجد الانسان نفسه فيه مكررا فى أعداد لا نهاية لها ٠٠ ويرى صورته فى كل شخص آخر يلتقى به ، ويعرف أنه يفكر بنفس تفكيره ، ويتصرف بنفس الطريقة التى يتصرف هو بها ٠٠ ان لم يكن هذا هو الجحيم الذى كان يتحدث عنه الأقدمون ٠٠ فما هو الجحيم اذن ؟

انني أعلن أمامكم الآن ٠٠ أنا بروف التقنى ، خبير الآلات وبرامج التشغيل الذاتى ، وعضو الهيئة العليا للتكنوقراط ، وعضو اللجنة الدائمة للنظام ٠٠ أننى أنسحب من هذه العضويات جميعا ٠٠ وأتوقف بارادتى وبوعى كامل ، عن الاستمرار فى أداء عملى ٠٠ لاقف معارضا هذا البرنامج الثورى الذى يطرحه النظام للاستفتاء العام ٠٠ والذى أعرف جيدا بخبرتى العلمية ، أنه سوف يجعل عقول الأشخاص تعمل بغير ارادة من أصحابها ٠٠ وأن تتفاهم هذه العقول وهى مستقلة عن ردود أفعال أصحابها ، وباختصار سوف يؤدى الى كائنات رهيبة ، غير بشرية ٠٠ !

انني أرتعب الآن خوفا من الوصول الى حالة تفوق حتى خيالنا فى دقة تنظيمها وسيطرتها الكاملة على الأفراد ، اذا ما نجح النظام فى الحصول على الأصوات اللازمة لتمرير برنامجه الثورى هذا للقضاء على ما بقى من المشاعر الفردية ٠٠ بحجة الانتقال الى الفضاء ٠٠ ثم تلازمنا تلك الحالة بعد ذلك ولا تتغير أبدا ، كما حدث فى مملكة النحل ٠٠ لأن التنظيم يتطلب ويؤدى الى مزيد من التنظيم ٠٠ وهكذا نكون قد قطعنا هذا الشوط الطويل فى مسيرة التطور ، لكى نصل الى نموذج حياتى قديم ، من عالم الحشرات ؟!

كان الصمت يحلق فوق رؤوس الجميع ، فبدأت الأنفاس تسمع بوضوح وهى تتلاحق فى اضطراب حين نطق بروف جملته الأخيرة ٠

ولاحظ هومو أن السيد مندوب الصحة العامة يرفع يده طالبا الكلمة ، لكن بروف نظر اليه برهة فى صمت ثم قال :

ـ أنا لم أنته بعد ..

وقال السيد مندوب الصحة :

ـ من الواضح طبعا أنك لم تنته بعد أيها الزميل .. وأنك لن تنتهى فى وقت قريب .. فان خطابك جذاب ومؤثر .. ولكننى ألاحظ أنك تتلاعب بألفاظ رنانة وتموه المعانى بالكلمات المؤثرة .. وأنا فقط أود أن أوضح حقيقة علمية لا يختلف عليها أحد ، فقد تبدو فى حديثك مموهة ، فتؤدى غرضا غير الغرض الذى يجب أن تؤدى اليه .

ان قولك أن استمرارنا فى التطور نحو كائن تسميه أنت (غير بشرى) موحد اجتماعيا وعلى نطاق يشمل المخلوقات البشرية جميعها ، هو وصول الى نموذج من مجتمع الحشرات .. انما هو قول يناقض مبدأ الالتزام بالطبيعة الذى يبدو من خطابك أنك تنادى به .. لأننا ونحن نفعل ذلك انما نتبع القاعدة العامة أو الاتجاه الطبيعى الذى تسير فيه المادة المتطورة والحياة المتطورة أيضا ، وهى الانتقال من البسيط الى المركب .. من مراتب تنظيم دنيا عفوية ، الى مستويات أعلى فاعلى من التنوع والتخصص .. وهذا واضح فى مسيرة التطور للكائنات جميعها عبر ملايين القرون .

لقد وصلنا الى مركزنا البشرى الممتاز ، لأننا كنا أذكى من أقرب أقاربنا من المخلوقات الأخرى التى انقرضت .. وأن النظام يعلم تلك الحقيقة ويعيها جيدا .. ولهذا فان من واجبه المحافظة على

مستوى هذا الذكاء وتطويره ·· ولن يكون ذلك بغير حمايته من الغرائز التى لم تعد لازمة للانسان فى تلك المرحلة من تطوره ·

وصاح السيد بروف مقاطعا وهو يوشك على الهياج :

ـ من أنت أيها السيد مندوب الصحة العامة ، ومن أنا ، ومن نحن جميع الجالسين هنا ·· بالنسبة للسلالة البشرية كلها ، حتى نقرر أن الغرائز لم تعد لازمة لها فى تلك المرحلة ·· ؟

أنت خبير بالشئون الصحية ، وتعلم جيدا أن السعادة ، تلك الكلمة التى ظل البشر أجيالا وراء أجيال يبحثون عن معنى وتفسير لها ، ندرك نحن الآن أنها تنشأ عن المتعة التى يشعر بها الانسان حين يزداد وعيه وادراكه ·· وتنشط حواسه نافضة عنها البلادة ·· وهى أشياء كما ترى مرتبطة بالجسد ونابعة من المتع التى تتحقق له عن طريق استخدام الحواس الغريزية المركبة فيه ·

ان تجريد المرأة من سعادة الأمومة قد ألقى بها فى متاهة البحث عن سعادة اللذة ·· وزيارة واحدة أيها السادة لصالونات الحب الحر كافية كى تكشف لنا عن هذا الكائن الشهوانى الذى لا يرتوى أبدا ، والذى تحولت اليه المرأة بعد حرمانها من عملية الانجاب الطبيعية ·

لقد كانت للباحث الجنسى القديم ، المركيز دى صاد ، ملاحظة ذكية وعميقة ·· كان يقول ان اللا تمييز الجنسى يؤدى الى الشبع والسأم اللذين يؤديان بدورهما الى البحث عن وسائل جنسية للاثارة ، أكثر عنفا وتطرفا ·· ويمكننا أن نفهم الآن ، كيف تحول رواد صالونات الحب الحر التى يشجعها النظام ويتوسع فى انشائها ، الى وحوش جنسية ·· !



وقال السيد مندوب الصحة وهو يحاول السيطرة على غضبه :

ـ ها أنت تواصل لعبة الكلمات المثيرة أيها السيد بروف ·· وحوش جنسية ·· ! انه تعبير جذاب ·· ولكن هذه الوحوش التى تتكلم عنها تحقق الكثير من السعادة بتلك الرياضة الجنسية التى تمارسها فى صالونات الحب الحر ·· لأن المتعة الجنسية ، متعة محركة ·· انها تقوم بتصريف الكهرباء الاحتكاكية أو الساكنة المخزونة فى العضلات ·· وتصريف الشحنيات الكهربائية الساكنة أو الاحتكاكية هذه ، يقوم بعملية تصفية للذهن والحواس ·· بل ان الأفعال العنيفة والمؤلمة أحيانا والتى يقومون بها فى تلك الرياضات الجنسية ·· هى تعويض طبيعى ، عن الحرمان من الألم ، بعد أن حقق النظام للبشر ، أمنا دائما وكفل لهم الحماية الكاملة من كل الآلام القديمة ·· ان هذه الجرعات الصغيرة من الألم والتى يحصل عليها رواد صالونات الحب الحر ، خلال الأفعال الجنسية الحرة التى كانت تعتبر فى الزمن القديم شاذة ومكروهة ، تبين أنها تؤثر على عملية تصريف الكهرباء الساكنة هذه ·· وتصبح مبالغة فى غير محلها أن نسمى من يقومون بها وحوشا !

وصاح مندوب النظام وهو يبتسم معجبا بمنطق زميله مندوب الصحة :

ـ أيها السيد بروف ·· اننا نتجه الى الفضاء ·· والنظام يضع فى اعتباره كما تعلم ·· أن هذه الرياضات الجنسية سوف تتطور أيضا بالضرورة ، خلال الرحلة الكونية التى بدأناها ·· ؟

وقال بروف :

ـ يا عزيزى مندوب النظام العام ·· أنت تعرف رأيى

جيدا .. فلقد سبق أن كررته فى اجتماعاتنـــا العديدة .. ان هـذا الاندفاع فى الفضـاء الكونى ، انما هو مغـامرة غير مضمونة العواقب .. ان الأرض هى ميراثنا ومسئوليتنا الوحيدة .. وعلينا أن نبذل جهدنا كله ، ونكرس امكانياتنـــا جميعها للاهتمام بها . وبدلا من هذا الانفاق الهائل على خطة تهجير البشر واسكانهم فى الكواكب المجاورة .. حرى بنا أن نعالج كوكبنا الأم مما أصابه من شرورنا البشرية القديمة .

ان ضميرى معذب ومثقل بآلام معنوية لا حد لها ، وأنا أشاهد الامكانيات الطبيعية المركبة فى البشر تتقلص تحت وطأة الخدمة المتزايدة التى تقوم بهـا الآلات .. كمـــا تقلصت من قبل تلك الأرض التى نعيش عليها ، الى تلك البقعة الصغيرة المغطاة ، تحت وطأة الاشعاع المتخلف عن الحرب الألكترونية الأولى ..

لقد أدار أجدادنا ظهورهم لمكان الكارثة بمـــا يحتويه من ضحايا مشوهين بالاشـــعاعات .. وأخذو يعزلونهـم خارج تلك القباب الزجاجية والمعدنية التى أقاموها ، دون أن يتحرك ضميرهم لحظة واحدة ..

اننى أدين بشريتنا الجديدة بتلك الخيانة لأبناء النوع .. واعتبرها معادلا موضوعيا للخطيئة الأولى التى جاء ذكرها فى كتب الديانات القديمة .. فمن تلك الخطيئة ولدت هذه القسوة وولد هذا العداء ضد العواطف .. والذى يؤدى بنا اليـوم لطرح هذا المشروع المدمر ، الذى يسعى لتجريد الانسان ، مما بقى له من انسانيته .

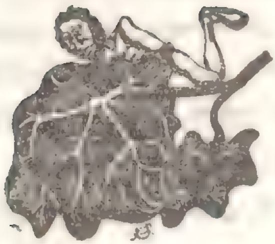
أيها الأخوة والأخوات ..

ان النظام يقدم الكم برنامجا ثوريا ويطلب منكم تأييده واعطائه أصواتكم ..

وأنا أطالبكم اليوم بالثورة على هذا البرنامج الثـورى ، والوقوف ضده .. مطالبين بالعودة الى استخدام القوى البشرية الطبيعية .. والعلاقات البشرية الطبيعية .. والزواج الطبيعى ، والولادة الطبيعية .. كى ننتج بشرا طبيعيين .. يستطيعون بضمير حى أن يعودوا الى أرضهم الأم ويعيدون اكتشافها ، ويعالجون جراحها .. كى تصبح جنة عدن الحقيقية .. القديمة والموعودة ..

ان السؤال المطروح عليكم الآن يتلخص فى الاختيار بين برنامج النظام للانتقال الى الفضاء الكونى .. وبين برنامجنا نحن أبناء الطبيعة المخلصين : العودة الى أمنا الأرض واعادة اكتشافها .

الأرض .. أو الفضاء أيها الأخوة والأخوات ..



٨ ـ حيرة السيد هومو ؟

كان هومو رجل السبانخ الجالس بين زوجته ليالى وصديقه دافيـد ، مستغرقا فى الاستماع بانتباه كامل ، لكل ما ينطق به بروف ٠٠ وقد شعر بأنه استطاع أن يفهم ما كان يقصده حين قال له فى مكالمة النداء الذاتى ٠٠ أنه ضحية للعبيد الآليين ، وأن العبيد الآليين هم السادة الجدد ٠٠٠

لكن تلك العبارة التى قال فيها بروف أن البشر هذه الأيام يعيشون عالة على الآلات كما كان يعيش الأسلاف القرود فى الجنة القديمة التى كانت فى أعالى الأشجار ٠٠ تلك العبارة تركت أثارا مقلقة فى عقل السيد هومو ٠٠ فمن تلك الجنة القديمة وقرودها كانت البداية التى أدخلته فى تلك المتاهة كلها ٠٠ لحظة أن انبثقت

صورتها الملونة المغطاة بالسماء من ذاكرته القديمة وهو فى طابور العودة ، فمضى يبحث عن السماء خلف القبة الزجاجية الشديدة الارتفاع والتى تغطى الساحة ·· فتتخلف عن مركبة العودة الهوائية ·· وبدأ يصبح حالة ·· ؟!

وانشغل هومو بخواطره عن احصاء المصفقين لخطاب بروف والممتنعين عن التصفيق له ، وأخذ يسأل نفسه : هل هو حالة فعلا ؟

وهل معنى تلك الحالة كما يقول بروف ، وكما شعر هو من قبل بشكل غامض ، افتقاد الارادة الفردية المركبة فى البشر بسبب الاستعاضة عن ملكاتهم بالآلات ·· ؟

ان بروف يردد كثيرا : السيد هومو رجل السبانخ وزملائه أبناء الطبيعة المخلصون ·· ها أنت ذا يا هومو قد اصبحت علما على المجموعة ··· فهل مكانك الطبيعى هو الأرض الأم ، تتشبث بها فعلا كما يقول السيد بروف ·· ؟

كان يشعر أنه منجذب بشعور غريزى غامض للاتجاه الذى يقوده بروف ، فليس من المعقول أن يتخلى رجل مثله ، مثقف ، من الصفوة التى تقود النظام ، عن كل مسئولياته ومواقعه المتميزة وامتيازاته ، ما لم يكن مقتنعا فعلا بالاتجاه المعارض الذى ينادى به ···

لكن عقل هومو فى الحقيقة ، كان يميل بشكل محدد الى خطة النظام فى مواصلة الصعود بالبشر الى الفضاء ···

وقد انتزعته من خواطره أصوات المناقشة التى بدأت على المنصة ·· فمضى يتابع المناقشة وهو منقسم موزع النفس ، بين شعوره الغريزى الغامض ، ومدركاته العقلية ···

وكانت المناقشة قد اتسع مداها ، فلم تعد قاصرة على المنصة .. بل امتدت أيضا الى القاعات الصغيرة والصالونات الملحقة بالممرات الانبوبية .. وبدأت تظهر تباعا على الشاشة الكبرى فى القاعة الرئيسية . صور المتناقشين وهم يقفون فى أماكنهم البعيدة ويعلنون عن آرائهم مؤيدين لوجهة نظر النظام ، أو منضمين للمعارضة خلف رأى السيد بروف .. ورأى هومو على الشاشة احدى السيدات تقول أن النظام يتعمد منذ زمن طويل منع عرض أفلام التراث البشرى القديمة ، حيث تظهر الأمهات حاملات أطفالهن ، والرجال يلاعبون أولادهم فى الحدائق .. وهى تطلب الآن استدعاء أحد هذه الأفلام وعرضه ، كى يدرك الحاضرون المعنى الحقيقى لحرمانهم من مشاعر الأبوة والأمومة .. تلك المشاعر التى هى تجسيد لخلود الانسان الفرد واستمراره ... ان تطورات نمو الجنين داخل بطن الأم الى أن تبدأ التغيرات الأخيرة حيث تتهيج الهرمونات التى نضجت تمهيدا للحظة الولادة ... فتشعر الام بأن الساعات التالية لن تكون مثل سابقتها .. وحين تبدأ عملية الولادة فى التسارع الأخير بين التشنجات والألم الذى يفوق القدرة على التحمل ، لا تستطيع قوة مهما بلغت أن توقف تلك الولادة المحتمة .. وحينذاك تدرك الأم والأب معا .. بل والأسرة جميعها ، معجزة الخلق على حقيقتها ... معجزة الطبيعة .. !

وظهرت على الشاشة صورة شخص آخر ، وقف يرد على تلك السيدة قائلا بلباقة ساخرة :

— أيتها السيدة الزميلة .. لا تقلقى بشأن الشعور بمعجزة الخلق هذه ، فان باستطاعتك متابعة نمو الجنين داخل أنابيب معامل الولادة ، لحظة بلحظة .. ويمكنك مشاهدة ولادته واخراجه من الرحم الصناعى الشفاف ، الى الحاضنة الآلية .. وفى تلك الحالة فانك سوف تدركين معجزة الخلق على حقيقتها فعلا ، ادراكا عقليا ،

دون أن ترهقى جسدك الجميل هذا بآلام الحمل والولادة ، وسوف تدركين أيضا أننا نبدأ حياتنا بالطريقة البدائية كخلية واحدة تعيش وتنمو فى سائل ملحى ، بكيفية هى تكرار لرحلة التطور التى قطعها أسلافنا خلال ألف مليون سنة .. وفى عمر ثلاثة أو أربعة أسابيع من بدء تكويننا سوف يستحيل عليك التمييز بين جنين الانســـــان ، وجنين الفيـــل ، أو الفأر ، أو الأرنب ، أو الشامبنزى .. !

ثم ظهر على الشاشة شخص بادى الحماس أخذ يتكلم بانفعال عن الاستمرارية التاريخية للانسان فى الطبيعة ، متهمـا النظام بخيانة البشر حين يجردهم من خصائصهم الطبيعية الأبدية ...

ولكن سرعان ما وقف له شخص آخر يتكلم بتعقل واضح ، موجها حديثه للجميع .. وقال :

ـ أيها السادة لا يوجد ، ولم يوجد شىء أبدى فى الطبيعة التى تتشبثون بها ...

ان التجارب القديمة التى أجريت على جسم الانسان باستخدام المواد المشعة والكاشفة لتحديد معدل استبدال مختلف مواده .. قد كشفت لنا أن ذرات الحديد التى بالدم وذرات الفوسفور التى بالعظام والأسنان ، وذرات اليود التى بالغدد .. وغيرها من المواد .. كلها تخضع لقانون واحد .. فهى بالجسم اليوم ، وتضيع غدا .. كأنها عقارب ساعة بيولوجية للطبيعة ، وهكذا ترون أيها السادة المعارضون باسم الطبيعة ، أن الطبيعة نفسها تعارضكم :

وتكلم معارض آخر عن تلك النقطة التى أثارها السيد بروف فى خطابه ، والتى ذكر فيها خيانة الأجداد لذلك الجزء المنسى من الأرض .. مكان الكارثة .. وطلب من النظام ايضاحا شاملا للحالة التى توجد عليها الطبيعة الآن فى ذلك الجزء المنسى .. ؟

ونهض مندوب النظام العام وقال بايجاز ، أن البشرية القديمة التى أنهتها تلك الحرب الالكترونية ، قد تركت أثارا بشعة فى البيئة باساءتها استخدام التكنولوجيا نتيجة لانقسامها بطريقة مضحكة الى شعوب راقية تحتكر هذه التكنولوجيا وتسيطر على تعداد سكانها بسليقة حضارية ، وشعوب أخرى متخلفة ، تتناسل دون ضوابط بدرجة تجعل انتشالها من براثن الجهل والفقر شبه مستحيلة ٠٠ وقبل انقراضهم جميعا بواسطة تلك الحرب الأخيرة ، كانوا قد استهلكوا فى قرون قليلة ، كل احتياطى الأرض من النفط والفحم الخام الذى استغرق تكونه فى جوف الأرض مائة مليون سنة أو أكثر قليلا ٠٠ كما أن هذا الوقود الذى أحرقوه قد أدى الى مضاعفة كميات غاز ثانى أكسيد الكربون فى الجو ، الأمر الذى أدى بدوره الى اذابة الثلوج القطبية ، وما أدى اليه ذلك من أعاصير وفيضانات ٠٠ ومن تغيير فى أشكال الزراعة والمناخ والبيئة ٠٠ فاذا أضفنا الى هذا كله تلك المخلفات الذرية التى ظلوا يدفنونها فى الأرض ويغرقونها فى المحيطات ، ثم التفجيرات والاشعاعات التى أطلقت فى الحرب الالكترونية الأولى ٠٠ وحرب الكواكب التى سبقتها ومهدت لها ٠٠ لأدركنا بوضوح عظيم ذلك التغير المناخى والبيئى الشامل الذى حل بتلك الأرض القديمة ٠٠ فهو بالتأكيد أعظم بكثير من التغيرات التى شهدتها تلك الأرض فى العصور الجليدية ، والتى أدت الى انقراض الديناصور والمخلوقات الضخمة الأولى ٠٠٠

ان كل ما نعلمه الآن ، هو أن أكثر من نصف مليون نوع فى عالم الحيوان والنبات قد انقرض بسبب احتراق الغابات وتمدد الصحارى وتحطم الأنماط البيئية واحتراق الأكسوجين واشتعاله فى الجو ٠٠ مما أدى الى اختلال التوازن البيئى كله ٠٠ وعدم صلاحيته للحياة الانسانية ٠٠٠

ونحن لا نستطيع أن نلوم عددا من الأفراد قدر لهم النجاة من هذه الكارثة ٠٠ ومهدوا لاستمرار السلالة البشرية بانشاء المجتمع البشرى المغطى الأول ٠٠ فما كان بامكانهم وهم يلوذون فرارا أن يجروا خلفهم أو أن يحملوا على ظهورهم تلك الملايين من الأجسام البشرية المشوهة والتى أصاب الخلل أجهزتها البيولوجية ، أو تلك التى ذهبت عقولها من هول الصدمة !

وعلى العموم ، لقد أصبح هـذا كله فى ذاكرة الماضى ، كعبرة للمستقبل ٠٠ ومن تلك العبرة ينطلق المشروع الذى يتبناه النظام٠٠ وكل انسان لديه الاستعداد ليعترف بحدوث تطورات مفاجئة فى مسيرة التطور والارتقاء أو التاريخ الانسانى ، مثل اختراع الزراعة أو قيام الثورة الصناعية ، أو انشطار الذرة ، لا بد وأن يدرك أننا نواجه الآن ، فى عصر العسل قفزة تطورية أكثر تركيزا وأكثر أهمية من كل ما سبق ٠٠ بل أن هجرة الانسان الى الفضاء لا تقل أهمية وحجما ، عن تلك الهجرة التى قامت بها المخلوقات الأولى من مياه المحيط الى اليابسة ٠

وهكذا استمرت المناقشة ثلاثة أيام بلياليها بين المدافعين عن النظـام والمؤيدين لمشروعه ، وبين عناصر المعارضـة التى يقودها التكنوقراطى السابق بروف ٠٠ ولم تكن عناصر المعارضـة كبيرة الحجم بالنسبة للمؤيدين ، الا أنها كانت أكثر حماسا واندفاعا فى التعبير عن آرائها والتشبث بها فى عناد ٠٠ وبالرغم من أن أصواتا كثيرة قد ارتفعت من جميع القاعات والممرات تطالب بانهاء المناقشة وبدء عملية أخذ الأصوات على المشروع الذى قدمه النظام ٠٠ الا أن بروف ورفاقه كانوا يشعلون نار المناقشـة من جديد للتأثير على الحاضرين باصرارهم على ضرورة الثورة على الآلات ٠٠ وكان بروف يصيح بفخر وهو يحاول اجتذاب أكبر عدد من المؤيدين الى صفوف المعارضة !

– أيها السادة ·· لقد كانت أول ثورة فى تاريخنا البشرى هى ثورة العبيد على السادة ·· فلتكن آخر الثورات إذن هى ثورتنا ضد العبيد ·· !

فنتكاتف جميعا لانزال تلك الآلات اللعينة عن عروشها ، ليجلس الانسان على عرشه المسلوب .

وقد أعلن الكثيرون رأيهم فى السيد بروف ورفاقه ·· واتهموهم بالميول التخلفية ·· وبتغلب غرائزهم القديمة على عقولهم الحديثة مما أدى الى طمس العقول ·· وقالوا ن دعوتهم تلك معناها القاء النوع الانسانى من جديد الى براثن الصدفة ·· وكان المتناقشون يتبادلون النوم والمناقشة ·· وبدت المسألة وكأنها لعبة مسلية تثير شهية الجميع للاستمرار فيها ·· فالطعام فى الأنابيب ·· وغرف الراحة الرخامية المجهزة بالمياه الدافئة ، لا تكاد تخلو من مرتاديها ، تفرغ لتمتلىء بالقادمين لحلاقة ذقونهم أو التخلص من فضلاتهم ، أو للاستحمام واستبدال الملابس ·· وأثناء ذلك أيضا يواصلون متابعة المناقشة وتبادل الآراء من خلال الشاشات المركبة فى تلك الأماكن أيضا .

وكان هومو قد نام واستيقظ مرتين ، دون أن يستطيع التخلص من حيرته ·· واختلطت صور المتناقشين أمام عينيه لكثرة تتابعها على الشاشة الرئيسية ·· وقالت ليالى :

– يا عزيزى هومو ·· أرى أننا قد تورطنا بالجلوس فى المكان الخطأ ·· ان الطريق قد أصبح واضحا أمامنا الآن ·· ومن الطبيعى جدا أن ندلى بأصواتنا لصالح مشروع النظام ···

وقال دافيد :

أنا شخصيا سوف أعطى صوتى للمشروع ···

وقالت ليالى :

اذا كان الهدف هو الصعود المستمر بالسلالة البشرية عبر هذا الكون الواسع ، لمواصلة اكتشافهم لأنفسهم خلال اكتشافهم للمدى الكونى اللامتناهى ٠٠ فلابد من التضحيات ٠٠ لقد كانت المرأة الأم تضحى عبر جميع السلالات القديمة من أجل أبنائها ومستقبلهم ٠٠ فما الذى يمنع أن تكون التضحية فى زمننا هذا بالأمومة نفسها ، خصوصا وأن هؤلاء الأبناء لم يعودوا فى حاجة بيولوجية أو نفسية لها ٠٠ ؟!

وظل هومو غارق فى أفكاره لا يستطيع الاجابة ٠٠ فعاد دافيد يلح عليه :

ـ لعلك الآن قد أدركت أن « الملاك » المطروح فى شعار النظام هو ذلك الانسان الذى تسيطر ملكاته العقلية على جسده سيطرة تامة لا مجال فيها للعواطف ٠٠ حيث لا تصلح العواطف الغائمة هذه لعصرنا الحالى ٠٠ لا تصلح العواطف يا هومو لمواجهة تلك الرحلة الشاقة والطويلة بين الكواكب ؟

وقالت ليالى :

ـ أود أن أعرف كيف تفكر الآن ؟ ٠٠ ان الوقت يمضى ، وسوف تبدأ عملية أخذ الأصوات على المشروع بعد قليل ٠٠ يجب أن تستقر على اتجاه يا هومو ٠٠ يا زوجى الحبيب ٠٠ فلنكن اجتماعيين بالكامل كما يريد النظام ٠٠ ولكن تأكد أننا سنبقى دائما معا ٠٠ برغم الغاء الزواج ٠٠ اننا نستطيع أن نواصل اللقاء فى اطار الحب الحر المسموح به ٠٠ فما الذى تخشاه ٠٠ ؟

وقال هومو : أيتها الزوجة الحبيبة ، وأنت أيها الصديق العزيز ٠٠ اننى غير قادر على اتخاذ قرار بهذه السهولة التى تأخذون

بها قراراتكم ، والقضية فى الأصل هى قضيتى ٠٠ أنا الذى توقف عن تيار حياته اليومى ٠٠ وليس أنتم ٠٠٠

اننى بالفعل مقتنع عقليا بما تقولون٠٠ومقتنع عقليا بما يقول به المشروع الذى قدمه النظام ٠٠

ولكن شعورى الداخلى الغامض والمبهم ٠٠ يقودنى وراء هذا السيد بروف ، ذلك التكنوقراطى المنسحب من النظام ٠٠ وكأننى مربوط اليه بخيوط غير مرئية ٠٠٠ !

وأقبلت ليالى على زوجها تحاول اخراجه عن ذلك اليقين العبثى الذى يتشبث به :

ــ أرجوك يا هومو ٠٠ لا تزج بنفسك أكثر من هذا فى تلك القضية الخاسرة ٠٠ ابتعد عن بروف هذا وعن طريقه ٠٠ لقد كنت أظنه واحدا من هؤلاء المهووسين بالمناقشة فى ملاهى المناقشات ٠٠ ولكن تبين لى الآن أنه مهووس بالماضى الغامض الذى تخطيناه نحن البشر منذ قرون عديدة ٠٠٠

وقال هومو : اننى لا أستطيع التفكير ٠٠ لا أستطيع التفكير ٠٠ ورأسى يوشك أن ينفجر ٠٠٠ أريد أن أكون وحدى لأتمكن من السيطرة على أفكارى ٠٠٠

ونهض هومو مغـادرا مكانه بين زوجته وصـديقه ٠٠ ومشى يتخبط بين الصفوف حتى غادر القاعة الى الممر الأنبوبى ٠٠ وحاولت ليالى أن تخفى لهفتها وهى تنهض وراءه لتلحق به ٠٠ لكن دافيد أمسك بها برفق من ذراعها واجلسها وهو يقول :

ــ لا فائدة ٠٠ لا فائدة من محاولة التأثير عليه الآن ٠٠ دعيه وحده يعيد ترتيب أفكاره ٠٠٠

وعادت ليالى الى الجلوس ، لكنها ظلت معلقة العينين بباب

القاعة حينئذ خرج هومو وحتى بعد أن زالت آثار طيفه من الباب بفترة طويلة ...

ومشى هومو متخبطا بين الزحام فى الممر الأنبوبى محاولا أن يجد طريقه الى واحد من الأبواب المائة التى تؤدى الى خارج تلك القاعة الذاكرة ، لكنه كان مختلط الذهن فلم يكن منتبها للاشارات الضوئية التى تشير الى أبواب الخروج ، فكان يتجاوزها وتقوده أقدامه من ممر الى ممر آخر ، وأخذ يتقاذفه الزحام من صالون فرعى الى قاعة فرعية .. وفى رأسه يدوى شعار النظام : من الانسان القرد الى الانسان الملاك .. وكأنه يطارده ...

ولكن صيحة بروف تنبثق من أعماقه مدوية بصوته العريض الآجش والشديد الثقة : الأرض هى ميراثنا ومسئوليتنا ..

الانسان ابن الطبيعة ...
العنصرية ...
المرض .. التعصب ...
تطهير العقل من الغرائز ...

كانت الجمل والكلمات كأنها أشباح تطارده ، فيسرع فى هرولته ، محاولا أن يشق طريقه بين الزحام الى خارج تلك القاعة المعلقة ، ليتطلع الى السماء ، ويدفن وجهه الساخن فى رذاذ الثلج المنهمر فى الخارج .. لكنه كلما أمعن فى هرولته كلما ازداد بعدا عن الأبواب ـ وازداد غوصا فى الممرات الأنبوبية ، وفى الزحام ، وفى القاعات الصغيرة الفرعية والصالونات ، حتى أوشك على الاختناق ...

ووجد أمامه بابا مغلقا ، فاندفع بكل جسده عليه ، لكن الباب قد انفتح الى الجانبين قبل أن يلمسه بجسده ، فسقط هومو بكل ثقله على الأرض فى الداخل ...

نظر حوله فوجد نفسه ملقى على الأرض في غرفة شديدة الاتساع مرتفعة السقف خالية ·· مبطنة أرضها وجدرانها بخشب الماهوجني القديم الفاخر ·· وكان الباب قد أغلق خلفه بمجرد سقوطه على الأرض ؟!

رفع رأسه وأخذ يتأمل المكان بدهشة ، فأدرك أنه في الغرفة التي يطلقون عليها في كتالوج القاعة المعلقة اسم المعبد ·· حيث تضم العقل الالكتروني الشامل الذي يعرف كل شيء ، ويستطيع الاجابة على جميع الأسئلة ···

نهض بلهفة وأخذ يتأمل تلك الواجهة الالكترونية للعقل الآلي والتي ترتفع من الأرض الى السقف ، بعرض الجدار الرئيسي في الغرفة ·· وجرى بعينيه على مئات الألاف من النقاط الدقيقة الملونة والتي تنطفيء وتضيء بألوانها المتعددة الجذابة ·· وأخذ يبحث بأصابعه في أزرار تشغيل العقل بلهفة ، حتى عثرت أصابعه بالزر الصحيح لتشغيل العقل ·· فاذا بحركة الاضاءة في اللمبات الدقيقة تزداد توهجا ·· واذا بصوت رفيع ومتحشرج كأنه صوت قديم يأتي من تجويف سحيق في الزمن ، لكنه يملأ عليه الغرفة من كل الجهات ، يقول في برود وثقة :

ـ اسألني أجبك ···

ارتجف هومو واخذ يغمغم بسرعة وأطرافه ترتعش :

ـ أجبني أرجوك ·· أريد أن أعرف من انا ·· وما الذي يجب على أن أفعله ·· ؟!

ومرت لحظة صمت لم يكن يبدد كآبتها ووحشتها سوى توهج الضوء في تلك اللمبات الملونة الدقيقة ·· وشعر هومو بضآلة شديدة

وهو يقف حائرا أمام هذا العملاق الحديدى ·· ثم جاءه صوت العقل يقول فى برود وثقة :

ـ أنت هومو الذى يحمل الرقم ٧٠٤٩ بين شغيلة حقل السبانخ الضوئى لانتاج أوراق خضراء دون عيدان ، والمولود فى الشهر الثالث من العام الثانى والثلاثين فى هذا القرن الرابع والعشرين ·· والمتزوج من السيدة ليالى التى تحمل نفس الرقم بين شغيلة المحطة الفرعية لتحويل العواصف والسحب ···

لكن هومو صاح مقاطعا وهو يكاد يتوسل :

ـ أرجوك ·· ان هذا كله أعرفه جيدا ·· وليس هذا ما قصدت أن أسألك عنه ··

ـ ماذا تريد أن تعرف اذن ؟

ـ أريد أن أعرف من أنا فى هذا الكون الذى ننتمى اليه ·· وما هو الطريق الذى يجب على أن أسلكه ·· ؟

وأجاب العقل الحديدى الملون الأضواء بسرعة ، بسرعة ، فى فى برود وثقة أيضا :

ـ أنت الذى قتلت أخاك هابيل يا هومو ··

وخنت أبيك حتى ضيعت عقله ··

ودفنت أختك موؤدة فى رمال الصحراء وهى وليدة ··

وقد آن الأوان الآن للتكفير عن كل خطاياك القديمة ·· !

وصرخ هومو فى اعياء :

ـ لماذا أنا بالتحديد ·· لماذا أنا ·· ؟!

وأجاب العقل :

– أنت لست فردا يا هومو ·· ولم تكن أبدا فردا ·· ؟

حتى فى تلك الحضارات التى تصرفت فيها كفرد ، وأشعت الفردية من حولك، ولوثت تاريخك بالدم والخراب ·· لم تكن تفعل ذلك بوحى من فرديتك ·· انما بوحى من غريزة المجموعة القديمة التى كنت تنتمى اليها منذ ملايين السنين ·· !

– وقال هومو وهو ينهار جالسا على الأرض من التعب ··

– لا تحاول أن تخيفنى ···

– تاريخك كله ملوث بالدم والخراب يا هومو ·· بسبب غريزة الخوف التى تلد غريزة الاستئثار بالقوة ، والتى تلد بدورها الخراب والدم ·· ولكن لا تبتئس ·· فكل هذا قد أصبح الآن ذكرى ·· وكل الحرائق والخراب ، وأنهار الدماء التى أسلتها عبر تاريخك كله ، لم تستطع أن تطمس بؤرة الاشعاع التى تضىء فى دماغك المتسيد على جسدك ···

وقال هومو وهو يتلوى على الأرض ليتخلص من تلك الآلام الغريبة التى تضايقه فى عموده الفقرى ، بسبب الجلوس الطويل فى تلك الأيام والليالى الماضية ·· قال بسأم ونفاد صبر :

– لماذا تحدثنى الآن عن هذه المآسى المنسية ، التى ضاعت من الذاكرة البشرية منذ قرون ·· ؟

ها أنا ذا أمامك ، نظيف تماما من آثار الخراب أو الدماء أو الحرائق ، ويداى ناصعتان ، ونفسى صافية لا أثر للشر فيها ··

بل أننى لم أعد أعرف حتى ، ما هو الشر ·· ؟!

فلماذا أجد نفسي في هذا المأزق ؟!

أرجوك .. أخبرني كيف أفكر .. بدلا من القاء اللوم على ..

وقال العقل في برود وثقة :

ـ ثبت جنانك يا هومو ، فانني أراك تضعف ..

أنت الذى علمتني التفكير ، فكيف تطلب منى أن أخبرك كيف تفكر .. ؟!

أتظن نفسك أمام عرافة في واحد من معابدك القديمة .. ؟!

وقال هومو بألم :

ـ لقد وجدت نفسي هنا أمامك .. أنت الذى يعرف كل شيء ..

فدعني أعرف ...

وقال العقل :

ـ انني فقط استطيع أن أخبرك ماذا تفعل ..

وقال هومو بلهفة :

ـ أرجوك أخبرني ماذا أفعل ..

وقال العقل في برود وثقة :

ـ لا تجعل بؤرة الاشعاع في دماغك تنطفيء ..

لا تدع جسدك يجرك الى مجاهلك القديمة ..

الآن هو الأوان للنجاة النهائية من الخوف القديم .. والذنوب القديمة .. !

وقال هومو وهو يميل بظهره على الأرض الخشبية بيأس :

ـ لا تكلمنى بالألغاز ٠٠ لا تكلمنى بالألغاز ٠٠ ؟!

فمضى العقل يتكلم بالوثائق والأرقام ٠٠ وقال :

ـ ان ما توصل اليه العلم عن عمر كوكب الأرض موطن البشر، يتراوح من ٣٠٠٠ مليون سنة الى ٤٠٠٠ مليون سنة ٠٠ أما الزمن الذى يقدره العلم لظهور الكائنات الحية على هذه الأرض فيقدر بمائتى مليون سنة ٠

وان كارثة الطوفان الذى جاء ذكره فى كتب الديانات القديمة لم تكن أول الكوارث الشاملة التى تعرضت لها هذه الأرض ٠٠ وانما كانت آخرها ٠٠ فعبر هذه المائتى مليون سنة تعرضت الأرض لكثير من الكوارث الشاملة التى كانت تقضى على معظم الكائنات الحية ٠٠ وبعد انقضاء الكارثة ٠٠ كان يظهر دائما محصول جديد من الكائنات الحية ، مختلفة عن الكائنات القديمة ، ولكنها تنتمى اليها ٠٠٠

أما فصيلة الثدييات من الأسلاف الذين انحدرت أنت منهم يا هومو ، فلا يرجع تاريخهم لأكثر من ٦٠ مليون سنة فقط ٠٠ !!

تصور يا هومو ٠٠ ؟!

لكن هومو كان مهدود الجسم من التعب ، مشعث الذهن من التفكير الدائرى الحائر ، فاستسلم لاغفاءة على الخشب الماهوجنى الدافىء الذى يكسو الأرضية ، ولم يسمع العقل وهو يناديه ٠٠

بينما مضى العقل يواصل حديثه :

ـ ان هذه الملايين الستين قد قسمها العلم يا هومو الى عصور

ستة شهيرة٠٠عصر الأيوسين ، أو عصر فجر السلالات وعمره عشرين مليون سـنة ٠٠ وعصر الأوليجوسين أو القليـل الـحداثه وعمره ١١ مليون سنة ، وعصر الميوسين أو المتوسط الحداثة وعمره ١٧ مليون سنة ، ثم عصر البليوسين أو الكثير الحداثة ، وعمره ١١ مليون سنة ٠٠ وهو آخر هذه العصور الستة التى تمثل درجات التطور التى تسلقتها شتى المجموعات الثديية ، حيث جلس على أعلى وآخر درجاتها ، ذلك الكائن الذى كان يحدق فيما حوله من فوق الأشجار ، بنظرة استطلاع تتسم بمكر صبى أو قرد ٠٠٠ وكانت تلك هى بدايتك يا هومو ٠٠

فى تلك النظرة الماكرة التى تدل على ولادة العقل ٠٠ ؟

لكن هومو كان قد ارتفع شخيره ، ولم يكن يسمع شيئا ، واستمر العقل الحديدى يقول :

ـ لقد كان العلم القديم يظن أن أنواع الكائنات التى كانت تظهر عبر هذه العصور ، هى أنواع جديدة منفصلة ٠٠ ولكن العلم الحديث استطاع أن يثبت أنها نفس الكائنات الأولى ، وقد تحولت أو تطورت ٠٠ وهكذا خلال بضعة آلاف من السنين بعد ذلك استطعت أن تقفز من فوق الأشجار التى تسلقتها فى بضعة ملايين من السنين، وتقف على قدميك فقط ، وتستعمل يديك فى التقاط الطعام وصناعة الأدوات ٠٠ وقد نمت يداك وصارتا أكثر قدرة وقوة بالأدوات التى صنعتها ٠٠ وكذلك أخذ عقلك ينمو ويصير أكثر قدرة وقوة بالآلات التى اخترعتها لتساعدك على التفكير ٠٠ فلماذا تخشى الآلة يا هومو وتتراجع أمامها ، وقد صرت انسانا بالأداة والآلة ٠٠ وبغير الأداة والآلة ، لبقيت على درج التطور ملتصق بالأرض الى جوار أقربائك من الثدييات ؟!

ولاحظ العقل أن هومو لم يعد يتكلم فأخذ يكرر :

ـ لا تجعل بؤرة الاشعاع فى دماغك ينطفىء ‥ لا تدع جسدك يجرك الى مجاهلك القديمة يا هومو ‥ الآن هو الأوان ‥ للنجاة النهائية من الخوف القديم ومن الذنوب القديمة .

ولما لم يسمع العقل أو يتلقى ، أى صوت من هومو ، غير هذا النشاز الذى يدل على شخيره ، بدأ العقل يتوقف عن الكلام ، ويطلق بدلا من الكلام اشارات صوتية خشنة ورفيعة ومتقطعة ، تدل على رفض الاستمرار فى العمل ‥

وكان مفروضا أن توقظ تلك الأصوات هومو وتنبهه الى ضرورة الضغط على زر التشغيل كى يتوقف العقل عن العمل ، غير أن هومو قد استمر مستغرقا فى النوم ‥ وفى الشخير ‥ !

وقد استمرت أصوات الاحتجاج الصادرة عن العقل تئز فى أنحاء الغرفة أزيزها الخشن الرفيع المتقطع ‥ الذى يحوم بالحاح حول جسد هومو الممدد على خشب الماهوجنى الدافىء ، عند أقدام العقل الحديدى ، دون أن تستطيع ايقاظه ‥‥

ورأى هومو المتعب حلما وجد نفسه فيه يجرى عاريا بين الأشجار بمرح الى جوار زوجته السيدة ليالى ، وخلفهما يجرى أطفالهما عراة بأجسامهم الصغيرة الجميلة العارية ، وهم يتقاذفون ثمار الفاكهة التى جمعوها من الأشجار ‥ ورأى هومو فيما يرى النائم بحيرة زرقاء جميلة يرتفع خلفها جبل حافل بأشجار الصبار ذات الذراعين المفتوحتين لاحتضان العالم ‥ ورأى أطفاله يسبحون فى البحيرة مع الطيور البيضاء التى تغطى سطحها والأسماك الملونة التى تتقافز فيها ‥ فمد يده ليمسك بيد زوجته كى يلحقا بالأطفال فى البحيرة ‥ لكن يده لم تمسك سوى خشب الماهوجنى الذى يغطى

أرضية القاعة ·· فمد يده مرة ثانية يتحسس الخشب ·· ثم انتبه الى أنه يحلم ·· وتذكر زوجته ·· وصديقه دافيد ·· وسمع صوت الأزيز المحتج الصادر عن العقل الحديدى ·· فقفز هومو من مكانه واقفا ، ومد اصبعه على زر التشغيل فاطفأ العقل ·· وأخذ يفرك وجهه ورأسه بكفيه حتى استعاد بعض وعيه ·· وغادر الغرفة مسرعا عائدا الى القاعة ···

وخلال رحلته عبر تلافيف الممرات الأنبوبية ، لاحظ هومو انهم يجمعون الأصوات من القاعات الفرعية والصالونات التى يمر بها ، ويرسلونها الى الحاسب الرئيسى فى القاعة الكبرى التى يقصدها ·· وكانت شاشات الاعلام المنتشرة فى أعلى الممرات تعطيه أولا بأول نتائج التصويت فى مختلف الفروع ·· وكلما قرأ هومو أن الأرقام هى فى صف مشروع النظام ، يسرع فى خطاه ليلحق بأصدقائه ، وكأنه يحاول بشعور غريزى أن يسابق الأرقام المتصاعدة ·· وحين انتبه بقلق الى انه يفعل ذلك ، أدرك انه مندفع بطريقة حتمية غير مبررة وراء بروف وأصحابه ·· حرس الطبيعة ·· الذين لا يزالون يحتفظون بالجوهر الحقيقى للبشرية ، كما يقول السيد بروف ·· ؟

وحين أطل هومو على القاعة ، كانت ليالى واقفة تتطلع برأسها الى الخلف تجاه الأبواب ·· وما كادت تراه حتى غادرت مكانها بلهفة متجهة اليه ·· وقادته من يده الى قلب القاعة وهى تغمغم :

ـ بروف سوف يخسر يا هومو ·· ! ·· ولقد أدلى دافيد بصوته فى جانب المشروع ·· بل أن الكثيرين من أصحاب بروف ، قد تغير اقتناعهم وأدركوا الحقيقة ، وأدلو بأصواتهم فى جانب المشروع أيضا ·· وأنا أنتظرك لنفعل ذلك ·· ؟

كانت الخسارة واضحة فعلا فى الأرقام ·· لكن هومو أمسك بزوجته من يدها الرقيقة وهو يقول لها بحنان وكأنه يتوسل :

– أنا مشدود من داخلى الى الماضى ياليالى .. أنا غير قادر على أن أتبع عقلى .. أنا عاجز فعلا عن فعل ما ترغبين أن افعل ...

تصرفى وحدك بارادتك الحرة ، ودعينى وحدى لمشكلتى ...

أنت ودافيد ربما تكونان أكثر نضجا ، وأكمل تأقلما ،لكننى غير قادر على التأقلم الآن .. وكأنما جرثومة قديمة قد بعثت فى عقلى فأوقدته .. وجعلته يندفع الى الطبيعة القديمة المجهولة .. ؟!

نظرت ليالى الى زوجها بدهشة ، فبدا لها وكأنما شخص آخر ، غريب تماما ، هو الذى يحدثها .. حاولت الكلام فلم تستطع .. بل أنها شعرت بكفيها وقد تسربت اليهما برودة شديدة وهما بين كفيه ، فسحبتهما بسرعة دون وعى ، بينما كان هومو يبحث بعينيه فى لوحة الأرقام .

وانتهت عمليات فرز الأصوات الفورية التى كان يقوم بها الحاسب الرئيسى على المنصة فور وصول نتائج الفرز من الحاسبات الفرعية .. وأعلنت النتيجة واضحة على جميع الشاشات ، بفوز المشروع الذى طرحه النظام للاسراع بالتطور ، بغالبية ساحقة فى الأصوات ...

ووقف السيد مندوب النظام العام يعلن على المواطنين فى القاعة الكبرى وجميع القاعات الفرعية والصالونات والممرات بأن الذين تخلفوا فى جانب المعارضة لمشروع النظام ... هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم حرس الطبيعة ، وحملة جوهرها الحقيقى .. انما هم قلة قليلة جدا .. ولا يعتد بها .. وأن الغالبية البشرية هى فى صف التقدم باحساسها العقلانى الحديث .. وأن هذا فى حد ذاته مبعث طمأنينة كبيرة للنظام ..

ثم أعلن السيد مندوب الصحة العامة أن المشروع الذى تمت

الموافقة عليه بالاجماع ، سوف يتحول الى قانون تنفيذى بمجرد اقراره من اللجنة المركزية العليا للنظام ·· وأنه فور اقراره وتحويله الى قانون تنفيذى ، سوف يصبح لزاما على السيد بروف وأتباعه من حرس الطبيعة وحملة جوهرها الحقيقى ·· أن يتقدموا الى المراكز الفرعية للصحة ، كل منهم حسب الفرع الذى يتبعه البرج السكنى الذى يقيم فيه ·· ليقوم الاخصائيون الصحيون فى تلك المراكز ، بعلاج عقولهم كيمائيا عن طريق حقن الخلايا العصبية ، لتصويب عمليات الاستقبال والشعور لديهم ، بحيث تعود لهم جميعا ، السيطرة العاقلة على أنفسهم ·· طبقا للمادة الاولى من المشروع الذى سوف يتحول الى قانون ؟!

وهاج السيد بروف التكنوقراطى السابق والعضو السابق فى الهيئة العامة للنظام ، وأخذ يندد بأساليب القهر والاستبداد التى انقرضت منذ قرون وتوشك أن تطل برأسها على البشرية من جديد ·· لكن مندوب الأمن المركزى تصـــدى له معاتبا ·· وقال فى هـدوء :

ـ ان كل تلك الضجة القائمة ، وتعطل الأعمال لمدة ثلاثة أيام ·· انما هى بسبب الحرص الشديد من جانب النظام العام ، على كفالة حرية الحركة ، وحرية التعبير ، لتلك القلة القليلة التى لا يعتد بها والتى يقودها السيد بروف ، فى محاولة لثنى ذراع التطور البشرى وارغامه على العودة الى الوراء ···!

ان هذا الهدف التخلفى الارتدادى أيها السيد بروف ما كان من الممكن أن تدافع عن وجوده وحقه فى الاقتداء ، ما لم يكفل النظام العام للمواطنين جميعا ، هذا الأمن والأمان ··

أنتم محظوظون لانكم لم توجدوا فى عصور القهر والاستبداد

فعلا ، حيث كان من السهل اعتقالكم جميعا ٠٠ والقاءكم فى غياهب المعتقلات والسجون بتهمة العمل ضد النظام ٠٠ ؟!

والتقط السيد مندوب الأمن المركزى أنفاسه المتلاحقة ثم واصل دفاعه عن شرفه الأمنى الخاص ، الذى يتمثل فى مسئوليته عن الأمن العام ٠٠ وقال :

ـ كما أننى مندهش . كيف غاب عن عقلك أيها السيد بروف انه قد كان باستطاعة النظام . التقاط تلك الحالات الطارئة ، لرجل السبانخ وأمثاله ٠٠ ومعالجة عقولها كيمائيا أولا بأول ، دون أن يشعر بذلك أحد ٠٠ ولا حتى هم أنفسهم ٠٠ وكنا قد وفرنا كل هذا الوقت الضائع ٠٠ وكل هذه المناقشات التى نخوضها منذ ليال ثلاث ٠٠ ؟

أليس كذلك أيها الزميل السابق بروف ؟ ٠٠ ألا يؤكد هذا مدى الحرية الديمقراطية التى أصبح يتمتع بها البشر ٠٠ ومدى الاحترام والتقديس الذى وصلت اليه حقوق الانسان ؟!

واستعاد السيد بروف هدوءه وبدأ يتكلم بايمان شديد بما يقول :

ـ أيها السيد مندوب الأمن المركزى ٠٠ ان هذا التدخل الكيمائى الذى تزمعون اجراءه على عقولنا ، هو شىء ضد مبادئنا التى نهضنا للدفاع عنها ٠٠ انه ضد الطبيعة وتدخل اجرامى فى جوهرها ٠٠ اننا نرفض تماما هذا العلاج ٠٠٠

وقال مندوب الصحة :

ـ ولكنك تعلم ياسيد بروف أن بقاء تلك الحالات وسط المواطنين دون علاج ، سوف يكون خطرا على التطور ٠٠ سيكونون مثل السوس القديم تظهر آثاره الخطيرة على المدى البعيد ٠٠٠

وقال بروف :

ـ اننا لا نطالب بالبقاء ‥ نحن أيضا لا نستطيع أن نبقى ‥ ؟

اننا نريد الخروج …

فليسمح لنا النظام بالخروج والعودة الى أرضنا القديمة ‥ !

أمنا الأرض ‥ !

الطبيعة القديمة التي يربطنا بها وتر مشدود له شكل اللحم والدماء …

قال مندوب النظام بدهشة :

ـ الخروج ؟! هل جننت أيضا ياسيد بروف ؟‥

ـ أنتم اللذين جننتم …

ان تلك الرحلة فى الفضاء الكونى التى تقودون اليها البشرية ‥ انما هى الجنون بعينه ‥

وضحك مندوب النظام بسماحة وهو يقول ممازحا :

ـ هون عليك أيها الخبير التكنوقراطى السابق ‥ اننا فقط نريد العودة الى حيث جئنا …

الم تؤكد كل تلك الكتب المقدسة القديمة أننا كنا نعيش فى جنة السماء ‥ وأن الشيطان خدع جدنا الأول آدم وأنزله الى الأرض ‥ ؟

اننا بتلك الرحلة فى الفضاء الكونى ، انما نحاول العودة الى هناك من جديد ‥ !

تعالت الضحكات من أطراف القاعة ، لتلك السخرية الخفية التى أراد مندوب النظام أن يغمز بها السيد بروف ويلمزه ، فى ميوله السلفية القديمة ..

ثم بدأت الضحكات تميل الى الخفوت ، حتى انقطعت تماما ، عندما اعتلى السيد مندوب النظـــام صندوق الخطابة ، وبدأ فى الكلام .. قال سيادته :

– أيها الاخوة المواطنون فى عصر العسل ...

ان الابتهاج الذى نشعر به جميعا ازاء الاجماع شبه الكامل ، على مشروع تطوير الغرائز ، والقضاء على المشاعر الفردية تمهيدا للهجرة النهائية من الأرض .. يجب أن يشوبه بعض الحزن ، لأن اخوة لنا ، وان كانوا قلة فى العدد ، قد رغبوا فى الخروج عليه لأنهم لا يستطيعون قبوله والتأقلم معه ..

اننى بشكل شخصى ، وأرجو أن يكون بعضكم كذلك مثلى ، أشعر باحترام شديد وتقدير للسيد بروف ، وزملائه .. هؤلاء الذين أتصور أنهم يتصرفون عن شجاعة ، وعن ضمير حى مخلص .. لكنه بكل أسف ، ضمير يعمل طبقا للحسابات القديمة .. وشجاعة من النوع القديم أيضا ، لا يمكننا تقديرها أو الاعجاب بها فى هذا الزمان .. !

ان هذا المفترق الذى تقف عنده البشرية هذه الأيام للاختيار بين الفضاء والأرض ، ليس أول المفترقات فى المسيرة البشرية .. وربما لا يكون آخرها .. ؟

فمنذ آلاف السنين فوجىء الانسان الذى عانى من مشاق ومصاعب لا تعقل وهو يهيم على وجهه خلال مليون عام يصارع فيها العصر الجليدى الأخير ، فوجىء بعد انتهاء ذلك العصر وذوبان

الجليد ، بأن الأرض تنبت أزهارا وأشجارا ، والحيوانات تتكاثر من حوله ، والطبيعة تلوح له بنوع جديد ومختلف من الحياة .. وكان على هذا المخلوق الذى جاب الأرض جميعها خلال المليون سنة ، أن يتخذ قراره الحاسم أمام هذا المفترق ... بأن يتوقف عن البداوة والترحال الدائم ليستقر ويصبح قرويا ؟

ولا أشك لحظة فى أن هذا الانسان القديم قد خاض مرحلة مضنية من صراع الضمير ، قبل أن يتخذ قراره فى هذا الشأن .. فالتحولات دائما ما تكون صعبة ومؤلمة ... لكنه اتخذ القرار فى النهاية ...

وما نحن الآن أيها السادة .. آخر السلالات البشرية المعاصرة ، سوى نتيجة لهذا القرار الشجاع الحكيم ...

نحن أبناء ، هؤلاء الذين قرروا بشجاعة ، وأحدثوا ثورة بيولوجية عميقة فى الطبيعة ، تداخل فيها اكتشاف الزراعة وتطويرها ، مع تدجين الحيوانات واستخدامها ، ضمن قفزات تطورية متتالية ...

أما الذين امتنعوا عن اتخاذ القرار الحاسم .. فأين سلالاتهم الان ... ؟!

لقد ظلوا بدوا ورعاة ، يتنقلون بين الجبال طوال القرون ، الى أن بدأت المدن والحضارات تزحف على المراعى وعلى الجبال ، فانقرضوا .. وضاعت اثارهم بين السلالات .

وانني أود لو أن اخوتنا المعارضين قد عادوا الى ذاكرتهم الأمينة واستعانوا بها .. فلسوف تتضح أمامهم الرؤية ..

وقال مخاطبا بروف دون الحاضرين جميعا :

ـ أيها السيد بروف .. لقد تميز الانسان عن جميع الحيوانات

التى كانت مصاحبة له بسبب مرونته ... فبين الحصان وراكبه عديد من الصفات التشريحية المشتركة ، ولكننا نعرف أن المخلوق البشرى هو الذى كان ، يمتطى الحصان وليس العكس .. وقد كان ركوب الحصان اختراعا بشريا ، فلم يخلق الانسان ممتطيا حصانا ، ولكن هذا الاختراع قد ترك تأثيرا هائلا على البنية الاجتماعية للبشر فى فجر حضاراتهم .. وتلك هى مرونة السلوك الانسانى التى أقصدها .. القدرة على التشكل ...

هذه القدرة هى التى نستمر فى تطويرها لتناسب الحياة الآن فى مدن الفضاء التى نهاجر اليها .. ؟

وانتفض بروف وهو يحاول أن يكبح غيظه بأسلوب يبدو متحضرا جدا ، وقال بهدوء متوتر :

ان الطفل البشرى فرد متميز بطبيعته أما النحلة فهى واحدة من سلسلة من النسخ المتماثلة .. وملكة الخلية وحدها هى الأنثى القادرة على الانجاب بعكس الحال فى أنثى البشر ، وعندما يلقحها الذكر بعد أن تهلكه من الطيران خلفها فى الهواء ، فانها تختزن حيواناته المنوية لتنفق منها بعد ذلك بحساب .. تضع حيوانا منويا مع البويضة مرة لتنتج نحلة عاملة أنثى .. ومرة أخرى تضع بويضة بدون حيوان ، لتنتج ذكرا ، فى ولادة عذرية متواصلة ، حسب ما يحتاجه مجتمع النحل .. !

وهذا هو ما تفعلونه أنتم هذه الأيام ؟

أيها السادة أن هذا النظام فردوس دكتاتورى ، يسوده الاخلاص .. لكنه جامد وثابت .. وسيظل دوما جامدا وثابتا ، لأنه قد أغلق على نفسه باب مغامرة التنوع والتباين التى تحققها مرونة السلوك البشرى الطبيعى ...

[illegible] طريق [illegible]
[illegible] وانني أقولها لكم كلمة
أخيرة [illegible]

– يجب أن لا نتخلى عن التنوع والتباين ، من أجل نوع أو شكل نجده الآن جذابا ومغريا وشديد الطاعة ·· فان ذلك ضد تيار الخليقة بأجمعها ·· وعلى الأخص الخليقة البشرية ·



٩ ــ الخروج ...

حسمت المسألة وأصبح واضحا أن السيد بروف وزملائه قد قرروا الانسحاب من عصر العسل ، والخروج الى الطبيعة القديمة ، لبدء مسيرة بشرية ، مستقلة ، تعتمد على البشر الطبيعيين ، وعلى التقاليد الطبيعية كما تراها تلك المجموعة ...

ووقف السيد مندوب الأمن يعلن مسئولية النظام الكاملة ، عن تحقيق هذا القرار ، وتأمين رحلة الخروج للاخوة الطبيعيين .. وتحصينهم بقدر الامكان ضد أخطار السموم والميكروبات ، وغيرها من الأخطار الكثيرة المجهولة التى تستشرى الآن فى ذلك الجزء المهجور من الأرض الذى سيعودون اليه .

وقال السيد مندوب الأمن :

ـ ولما كانت تلك التجهيزات الضرورية تستغرق وقتا ليس بالقصير ، فان باستطاعة السيد بروف وزملائه ان يعودوا الى بيوتهم وزوجاتهم وحياتهم العادية ، وترتيب أمورهم استعدادا للرحيل حين يتحدد موعده ٠

ولكن ٠٠ فليعلموا أنهم ومنذ تلك اللحظة ، قد أصبحوا منسحبين من أعمالهم ووظائفهم التى كانوا يشغلونها ٠٠ ولذلك فان عليهم أن لا يتواجدوا فى تلك الوظائف ٠٠ كما أن عليهم أن يتوجهوا يوميا ، الى المراكز الصحية الفرعية التى تتبعها مساكنهم لاجراء الفحوص الطبية اللازمة لرحلتهم المحفوفة بالعديد من المخاطر هذه ٠٠٠

ومن ناحية المسئولين النظاميين ٠٠ فانهم من جانبهم سوف يبدأون باجراء الدراسات التنبؤية حول الأخطار المجهولة ، لوضعها فى الاعتبار عند تصميم الملابس الواقية التى سوف يرتديها الاخوة الطبيعيون فى خروجهم ٠٠ وكذلك فى تصميم وصناعة وسائل الانتقال التى سوف تحملهم فى رحلة الخروج هذه ٠٠ والتى ستكون وسيلتهم الدائمة للانتقال ، فى الأرض الطبيعية القديمة ٠٠ وعند الانتهاء من جميع التحصينات الطبية والتجهيزات الآلية والملابس اللازمة ، سوف يتم الاعلان عن موعد الخروج ٠٠ وعن مكان التجمع لبدء تلك الرحلة النهائية ؟!

أيها السادة ٠٠ أعتقد الآن ان اجتماعنا قد انتهى ٠٠ فلننهض بسلام ونعود الى أعمالنا وشئوننا التى انقطعنا عنها أياما ثلاثة ٠٠٠

أمنيات طيبة أتمناها لكم ٠٠ الى أن نلتقى مرة ثانية ٠٠

وقبل أن يغادر السيد مندوب الأمن صندوق الخطابة أوقفه السيد بروف باشارة من يده وقال :

ـ هناك شيء هام أعتقد أنك نسيته أيها السيد المندوب ؟

أنت تعلم طبعـا أنه منذ سنوات بعيدة قد بدأ النظـام فى تطبيق مشروع الولادة المعملية بعيدا عن رحم الأم .. ذلك المشروع الذى يفرض على الشبان ، أن يسلموا لمعامل الدولة قدرا معينا من حيواناتهم المنوية ، كما يفرض على الشابات أيضا تسليم قدر معين من البويضات .. ثم يتم تعقيمهم جميعا فى تلك المعامل بعد ذلك ، لوقف عمليات الاخصاب والحمل .

لقد أصبح ذلك روتينيا تعودناه ، ولكننا نريد الآن ابطال مفعول هذا التعقيم بالنسبة لنا ، نحن مجموعة الخارجين ، حتى يستعيد الرجال منا قدراتهم الطبيعية على الاخصاب ، كما تستعيد النساء قدراتهن على الحمل الطبيعى ...

ان ذلك شيء أساسى فى رحلتنا أيها السادة ، الا اذا كنتم تنوون الحكم علينا بالانقراض ؟ ..

وابتسم السيد مندوب الأمن وهو يتبادل النظرات مع مندوب لجنة الصحة ، ومع مندوب النظام العام ، ثم قال :

ـ لك أن تطمئن يا سيد بروف ، فنحن لا نضمر لكم أية نوايا سيئة ، بل أننا على العكس وكما هو واضـح من شـعورنا جميعا .. كنا نتمنى لو أنكم بقيتم معنا ...

لقد كان زميلى السيد مندوب لجنة الصحة العامة ، يقول لى بتلقائية ودودة قبل أن أصعد على المنصة لانهاء هذا الاجتماع .. انه من الضرورى أن نعيد اليكم بقدر الامكان ، كل ما يمكن اعادته من قدراتكم الطبيعية الفطرية .. ما دمتم ذاهبين لمواجهة طبيعة

فطرية ٠٠ ان هذا شيء أساسي يجب أن تطمئن الى أننا لا ننساه ياسيد بروف ٠٠ برغم اعتقادنا العلمى بأنه لن يكون لديكم الوقت هناك لاستخدام تلك القدرات الفطرية الطبيعية ٠٠ فنحن نعتقد ان الطبيعة القديمة التى نعرفها من خلال قراءاتنا للتاريخ ، قد تغيرت تماما ٠٠٠

وعلى العموم ٠٠ يجب على ألا أكون متشائما !

وبدأ البشر يغادرون مقاعدهم وينطلقون فى طوابير منظمة بين المقاعد فى اتجاه أبواب القاعات الفرعية والصالونات ، ثم تنساب طوابيرهم فى الممرات الأنبوبية قاصدين أبواب الخروج الى ساحات انتظار السيارات الهوائية ، على الافريز الخارجى للقاعة المعلقة ٠٠ كانت السماء صافية ، والوقت نهارا ٠٠ وقد انقطع الرذاذ الثلجى الذى كان ينهال ويغطى كل شيء ٠

وقد خرج هومو بين الخارجين الى الافريز ، يتوسط زوجته وصديقه ٠٠ ويخيم عليهم الوجوم ، وتوجهوا جميعا الى حيث أوقف هومو سيارته الهوائية فدخلوا فى صمت ٠٠ وانطلق بها ٠٠ ٠

كانوا يمارسون مشاعر جديدة عليهم تماما ٠٠ وقال دافيد لنفسه ٠٠ انه أسبوع حافل ذلك الأسبوع الأخير ٠٠ انه يعادل سنة بأكملها ، لكل تلك الأحداث والتغيرات التى حدثت فيه ؟ ٠٠

وأخيرا هذا الخروج الغريب الذى قرره ذلك السيد بروف ، ساحبا هومو وراءه ! ٠٠

هل سيفقد هومو ؟ ٠٠٠

وصاح فجأة قاطعا الصمت :

ــ هومو ٠٠ أرجوك ٠٠ لا يزال الوقت معك ٠٠ يمكنك أن تتراجع عن تلك الرحلة ٠٠٠

ونظر هومو الى صديقه وابتسم دون أن ينطق بحرف ...

وقال دافيد :

ـ ما بالك صامتة أيتها السيدة ليالى ؟ ..

ألم أحذرك من تلك النهاية قبل ذلك ؟ ألم أخبرك بما آلت اليه الطبيعة القديمة ؟ ...

ان خروجك سوف يكون انتحارا يا هومو ...

وقال هومو بهدوء :

ـ لماذا تأخذ الأمور من جانبها السىء يا صديقى ؟ ..

لا أنا ولا أنت نعرف بالضبط ماذا هناك الآن فى تلك الأجزاء المنسية من الأرض .. وبالنسبة لى فاننى أشعر بلهفة شديدة لكى أعرف ماذا هناك ؟! ...

لقد أمضيت أكثر من نصف عمرى الآن .. أعيش تلك الحياة المنظمة المنتظمة ، الى أن توقفت فى تلك اللحظة العجيبة ، وفاتتنى السيارة الهوائية .. من لحظتها بدأت المتاعب .. ولكننى الآن أشعر وكأن كابوسا كان قد جثم على صدرى ثم انزاح .. اننى أشعر الآن بالراحة بعد أن انتهى الأمر بقرار الخروج ... ثم لا تنسى أنهم سوف يحصنوننا ، ويجهزوننا بالمعدات .. فلماذا التشاؤم ؟ ...

أليس من الجائز ان نستطيع نحن .. تلك القلة الخارجة من وجهة نظركم .. أن نقوم بتصحيح خطأ ارتكبه أجدادنا ، باهمال تلك الطبيعة القديمة بعد الهرب منها ؟ ..

ربما نتمكن فعلا من أن نضع البذور لبشرية جديدة فى تلك الأرض الخراب ...

تصور .. كيف يكون وقع هذا على التاريخ البشرى ..

وعاد الناس الى بيوتهم وأعمالهم واندرجوا من جديد فى تيار حياتهم المرسوم والمعتاد .. لكنهم عادوا اكثر نشاطا فى أجسامهم ، وأوفر قابلية على الحركة لتعويض ذلك الوضع الجالس الذى اتخذوه خلال تلك الأيام الثلاثة التىاستغرقتها مناقشة المستقبل والاستفتاء عليه فى القاعة المعلقة ..

ولوجه الحق يجب أن نوضح أن عقولهم قد أخذت تعمل بحيوية أكثر ، بعد أن إستنفرتها تلك المباريات الجدلية الحافلة بالطموحات والمخاوف والتذكارات والعبر .. ولذلك فان مشاعرهم تجاه تلك المجموعة من النوع البشرى التى قررت العودة الى الوراء للحياة فى الماضى .. فى تلك الأجزاء المنسية من الأرض .. كانت مشاعر تتسم بالفضول والترقب ، أكثر منها مشاعر قلق أو اشفاق ؟! ..

وكانت السيدة ليالى تقول لنفسها : ها هو هومو العزيز يفعل شيئا خارقا للعادة لا تستطيع مشاعرى أن تتخذ موقفا حياله ، فيوقعني فى الحيرة والبلبلة التى لم أتعودها ...

كانت مهيأة العقل والشعور لأن يخرج زوجها هومو من حياتها بالطرق المعتادة .. بالموت الذى يحدث بعد عمر قصير فيترك خلفه بعض الحزن الذى يزول تدريجيا ، أو بعد عمر طويل جدا يشبع الواحد فيه من الآخر تماما ويتمنى له الراحة الأبدية .. أو على أسوأ الفروض حين تفسد حياتهما الزوجية من وجهة نظر النظام .

وتقرر لجنة ترتيب المجتمع اعادة تزويج كل منهما بشخص

آخر ٠٠ ولكن أن تفقده بهذه الطريقة المفاجئة غير المتوقعة ، فان هذا يربك مشاعرها ويجعلها عاجزة عن التفسير ٠

وقالت له حين عادا الى مسكنهما :

لقد كنت أنوى أن تظل علاقتنا حتى بعد أن يصدر قانون الغاء الزواج يا هومو ٠٠ فلماذا تريد أنت أن تتركنى ؟!

واحتضنها هومو بحنان ، وأخذ رأسها الصغير الكثيف الشعر فى صدره ومضى يربت عليه وهو يغمغم :

ـ اننى لا أريد أن أتركك أيتها الحبيبة ليالى ٠٠ وكنت أود لو أنك تشاركيننى فى رحلة الخروج هذه ٠٠ ولكنك لسوء الحظ ، أو لحسنه لست أدرى ، كنت أكثر تلاؤما ونضجا داخل هذه المرحلة البشرية ٠٠ وفى هذا بعض العزاء يا حبيبتى فأنت لن تحزنى كثيرا من أجلى ٠٠٠

ان ذلك الخلل الذى ظهر فجأة فى ذاكرتى التطورية وأدى الى هذا النزوع الشبق الى المجهول ، سوف يقدم لى من المخاطر فى هذا المجهول ، ما يشغلنى عن الحزن لفراقك ٠٠

فلا مجال للحزن كما ترين ٠٠

وقالت ليالى :

ـ ولكنك تعلم الآن يا هومو ، أن هذا الخلل يمكن علاجه كيمائيا كما أعلنوا فى المشروع الذى ينوون تطبيقه ٠٠ فلماذا لا تقبل العلاج الكيميائى وتبقى ؟

وقال هومو :

ـ لقد فكرت فى هذا كثيرا ونحن فى القاعة ٠٠ بل اننى قد استشرت العقل الشامل الذى يعلم كل شىء ويستطيع الاجابة

على كل الأسئلة ·· وقد نصحنى بالبقاء ·· ولكننى أجد نفسى غير قادر على مخالفة تلك المجموعة التى أصبحت رمزا لها ···

ألم تسمعيهم وهم يكررون : « رجل السبانخ وزملاؤه » ·· « الطبيعيون من أمثال رجل السبانخ » ·· الخ ·· بل أن مندوب النظام العام يندد بالسيد بروف قائلا له : لقد خلبت عقلك حالة رجل السبانخ وأفقدتك توازنك العلمى يا بروف ؟! ··

ألم تسمعى ذلك كله بأذنيك يا ليالى ؟! ··

لقد أصبحت رمزا لهم ، فكيف أتخلى عنهم الآن ؟! ··

ان بروف هو الذى يقودنا الى تلك المغامرة المجهولة العواقب فعلا ·· ولكننى أشعر بأننى القائد الحقيقى ·· واذا تراجعت فسوف يضطرب كل شىء ، ويتراجعون جميعا ؟ ··

وصاحت ليالى بلهفة ··

ـ دعهم يتراجعون ·· فسوف يعالج النظام عقولهم بالحقن الكيميائية ، وينفض ذلك الكابوس عنا جميعا ···

ان بيوتا كثيرة يسودها الآن هذا الاضطراب العاطفى الذى يسود بيتنا ؟ ··

هناك كثيرون سوف يفترقون وكثيرون سيفقدون أحباءهم بهذا الخروج الملعون الذى قررتموه ·· هذا الخروج الذى لا عودة منه ·· ؟!

كانا يتكلمان وكل منهما يحتضن الاخر ·· وقادها هومو الى الأريكة الوثيرة وهو يغمغم :

ـ لا داعى لهذا الجدل الآن يا ليالى ·· لقد أرهقنا الجدل فى

القاعة ·· تعالى نفرح ونمضى أيامنا الباقية معا فى الفرح ·· فنحن نعلم جيدا أن أية حالة انما هى مؤقتة ، وأن أى حزن وألم نفسى ، انما مصيره الى زوال ·· وحتى البيوت التى تتحدثين عنها الآن ، لن تكون موجودة بعد ذلك ، حين تطبيق القانون الجديد ·· فهيا ·· هيا ··

ان الفراق قدر أزلى مكتوب لكل لكائنات ·· وقد تعلمنا فى تلك المرحلة البشرية التى نجتازها الآن ، أن نواجهه بتعقل ، ونحتفل به ·· لأنه يمنحنا الفرصة كى نجدد تجاربنا ونتعلم المزيد ·· فهيا نحتفل بفراقنا ··

وأخذ هومو يداعب زوجته حتى لانت واستكانت أعصابها المتوترة ·· ونهضا بمرح الى حيث يكمن خادمها الالى ، فأخذا يغذيان عقله معا بالأوامر لتجهيز مائدة مشروب وعشاء لشخصين ، أسفل غرفة النوم المعلقة ·· الفراش الشرفة ·· وبينما الخادم المعدنى يخرج متأرجحا من مكمنه ويمشى بطريقته الآلية المضحكة لتنفيذ الأوامر ·· كان هومو وليالى قد أسرعا الى الحمام لانعاش جسديهما بالماء الدافىء ··

وقد تكررت احتفالات الفراق هذه ، فى بيوت تلك المجموعة البشرية التى قررت الخروج ·· وكانت تضم الكثيرين من الأزواج معا ، وهؤلاء طبعا لم يحتفلوا بالفراق ، وانما احتفلوا بالتجربة الجديدة المثيرة التى سوف يخوضونها معا ··

وكان السيد بروف قد كرس معظم وقته فى الاتصال الذاتى بهؤلاء الافراد ، لتبادل الملاحظات والاجابة على كل الاسئلة التى تثار فى أذهانهم ··

وبدأوا جميعا يتوافدون على مكاتب الصحة الفرعية التى تتبعها

مساكنهم لاجراء الفحوص الطبية وتلقى جرعات الحصانة والتجهيزات الصحية اللازمة .. ماعدا اجـــراء اعادة الخصـــوبة والذى رأى المشرفون الصحيون ضرورة تأجيله الى لحظة الخروج الاخيرة ..

وكانت الاجهزة الاعلامية قد انشغلت تماما ، فى متابعة كل تحركات هذه المجموعة ، والتى كانوا يسمونها حينا حراس الطبيعة كما أسماهم بروف .. أو رجل السبانخ ورفاقه الطبيعيين .. أو المرضى بالطبيعة .. كما كان يحلو لبعض النظاميين العلمانيين أن يلقبونهم .. وكانت صور وجوههم وحركات أجسامهم وأصواتهم قد أصبحت مألوفة من كثرة ظهورها على شاشات البث المرئى ، حتى أصبح المواطنون جميعـــا يعلمون أولا بأول كل شىء عنهم وكأنهم يعيشون معهم دقيقة بدقيقة ..

وكان يتسابق اليهم رجال الاعلام .. وتنهال عليهم الدعوات لتبادل الزيارة من مواطنين عاديين يرغبون فى أن يلتقوا بهم ويتحدثون معهم قبل خروجهم ، ليحتفظوا بتلك الذكرى النادرة التى يمكنهم أن يحكوا عنها لأصدقائهم ومعارفهم ..

كانوا حوالى مائة شخص وخمسين .. بينهم ستون امرأة .. فى سن الصبا والشباب ، وتتراوح أعمارهم جميعا بين الثلاثين عاما والمائة .. فبروف نفسه مثلا ، كان عمره خمسة وسبعون سنة .. أما هومو فلم يتجاوز الخمسين بعد .. وكانوا جميعـــا يتصرفون بحماس ومرح وكأنما هم مقبلون على نزهة ممتعة رغم أن الجميع كانوا يعلمون جيدا أنهم خارجون دون عودة .. الى حياة أخـرى مجهولة وغير مضمونة ..

وقد صمم لهم اخصائيو النظام ملابس خاصة من مواد واقية من الاشعاعات ، تكسو أجسامهم جميعا من الرأس الى اخمص القدم .. مجهزة بأجهزة دقيقة تعيد تخليق الاوكسجين من الانفاس التى

تخرج من أنوفهم وأفواههم ، ومن العرق الذى تفرزه أجسامهم .. ومجهزة أيضا بأجهزة دقيقة أخرى لقياس الاشعاعات الخطيرة ودرجات الحرارة والبرودة خارج تلك الملابس .. وتقوم بتعديلها الى درجة الحرارة المعتادة والمطلوبة لاجسامهم بداخلها ..

وبقيت مشكلة المركبات التى سوف يركبونها ..

وقد عكف مهندسو النقليات والركائب على فحص تلك المشكلة بترو شديد ، مستنيرين بالتقارير الالكترونية عن الطبيعة الخارجية بجبالها وغاباتها وما يمكن أن يكون قد طرأ عليها من تغيرات ، أو نشأ فيها من حيوانات ومخلوقات ومخاطر حية جديدة لم يعرفها البشر من قبل ..

وفى الحقيقة فان تلك التقارير الالكترونية ، لم تكن بالشىء الجديد أو المستجد .. فان قرون الاستشعار الالكترونية المركبة فى جميع الأنحاء على السطح الخارجى للغطاء الزجاجى الهائل الذى يغطى المعمورة البشرية الجديدة ، لم تكف لحظة عن رصد التغيرات فى الأرض القديمة المهجورة والتقاط الصور والأصوات ، وارسالها أول بأول الى معامل الرصد الخاصة بها ، فتقوم بتحويلها الى معلومات تحفظ فى الذاكرة الكبرى بالقاعة المعلقة .. أو ترسل لجهات الاختصاص للعمل بها ، اذا كان فى تلك المعلومات ما يتطلب مواجهة فورية أو استعداد خاص .

وكانت لجان الاعلام والثقافة الفرعية بين الحين والحين ، تذيع على المواطنين بعض الأفلام التليفزيونية المأخوذة لهذه التغيرات وبعض المعلومات العلمية المعقدة ، عن النشاط الاشعاعى الكثيف الذى غطى تلك الأرض القديمة نتيجة للانفجارات الذرية والهيدروجنية فى الحرب الألكترونية الأولى ، والتى كان وقودها كل مخزون تلك الدول القديمة الحداثة من قنابل الذرة والهيدروجين وقنابل

الاشعاع وغيرها من السموم الكيمائية الرهيبة ·· وكيف أدى ذلك النشاط الاشعاعى الهائل الذى غطى الارض ، الى التأثير الغريب فى بعض المناطق بحيث تغيرت طبيعتها تماما ·· فبعض الصحارى المتماسكة قد أصبحت هشة الرمال فلا تتحمل وقوف بعوضة فوقها دون أن تبتلعها ·· وبعض المحيطات والبحار قد تفتتت قيعانها الصخرية وذابت فى رمالها وصعدت من جوف الماء فى نافورات طينية الى سطحه واختلطت ، حتى صارت المياه عجينة رخوة من الطمى تسبح فيها أنواع غريبة من الوحوش الطينية ·· كانت من قبل أسماكا وأصاب النشاط الاشعاعى خلاياها الوراثية بالخلل دون أن يقضى عليها كما فعل بالاسماك والحيوانات المائية الأخرى·· فأنتجت تلك الخلايا المختلفة هذه الوحوش الطينية العجيبة ··

والجبال أيضا قد انكمشت الى أحجام ضئيلة جدا بالنسبة لما كانت عليه من قبل ·· ولكن كتلتها الصغيرة تحولت بفعل النشاط الاشعاعى الى طاقة مغناطيسية هائلة تجتذب كل ما يتحرك فى دائرتها من جماد وأحياء طالما تحتوى على أدنى نسبة من المعادن ··

بل أن برنامجا علميا متخصصا قد شرح ذات مرة فى سهرته الاسبوعية التى تستغرق ثلاث ساعات ، ذلك التأثير الخطير الذى أحدثه هذا النشاط الاشعاعى المخيف ، على التركيب الحمضى للخلية الحية (د· ن·أ) مما ادى الى فوضى فى الجينات الوراثية اخترقت الحدود النوعية بين الأجناس فاضطرب البرنامج الوراثى المحدد لكل نوع ، واختلطت بعض الانواع بينما انقرض بعضها الاخر ·· وظهرت الى الوجود كائنات حية جديدة غير مألوفة ،فى طفرة بيولوجية هائلة ·· مثل الاشجار التى تتغذى على البروتين ، أو الحيوانات الأرضية ذات الأجنحة الضخمة ، والتى تستطيع الطيران بسرعة شديدة رغم اجسامها الهائلة ·· ؟

وبالطبع لم يكن عامة المواطنين يهتمون كثيرا بمتابعة تلك التفصيلات العلمية المتخصصة لكنهم كانوا يخرجون من مثل هذه البرامج ، التى تذيعها بين الحين والحين لجان الاعلام والثقافة ، أشد اقتناعا بأن الأرض القديمة المهجورة لم تعد مكانا يستطيع البشر بأنواعهم الحالية ، العيش فيه !

ولهذا فقد كان الجميع مقتنعين ، بأن قرار الخروج الذى أجمع عليه رجل السبانخ وأمثاله ٠٠ أنما هو قرار بالانتحار ٠٠ أو على أحسن الفروض قرار بالموت البطىء ؟!

ورغم أن مهندسى النقليات والركائب كانوا مقتنعين بذلك أيضا ٠٠ الا أنهم قد بذلوا جهدا شديدا وكرسوا مواهبهم العلمية والابتكارية للوصول الى وسيلة نقل تجعل هذا الموت البطىء المتوقع ٠٠ أكثر بطئا ٠٠ وتأجيله الى أقصى حد مستطاع ٠ فقد كانت وجهة نظر النظام أن هؤلاء الخارجين انما هم مواطنون شرفاء يدافعون بشرف عن اقتناعهم الفردى ٠٠ ومن حقهم أن ينالوا ثمرة نضالهم ومواقفهم ، بالعيش وسط الطبيعة القديمة التى يحلمون بها ، لأطول زمن ممكن ٠٠ ولهذا فقد تم تحصينهم ضد كل الفيروسات والجراثيم والميكروبات الجديدة التى تخلقت فى تلك الفوضى البيولوجية ٠٠ وتم تجهيزهم لمقاومة الضغط والجاذبية واحتراق الاوكسجين وبقية المخاطر الاخرى بقدر ما يستطيعه العلم الحديث ٠٠ كما استبعدت وسيلة اخراجهم عن طريق الجو فى مركبة هوائية ضخمة تضمهم جميعا ٠٠ لأن تلك المركبة لن تستطيع الطيران لمسافة طويلة فوق الارض المنسيه بسبب الخلخلة السائدة فى هوائها ، ولسوف تجتذبها بمجرد اقترابها احدى الدوامات النارية المحلقة وتبتلعها ٠٠ واستبعدت ايضا فكرة اخراجهم جميعا فى مركبة واحدة ، لان معنى هذا توحيد مصيرهم جميعا تبعا للأخطار التى تتعرض لها هذه

المركبة ·· واستقر الرأى على ان يستقل كل فرد مركبته الخاصة التى تحتوى على معداته وأغذيته ·· فتصبح أشبه ببيت متحرك يسكن فيه ولا يخرج منه فيعيش بذلك أطول فترة ممكنة !

وهكذا توصلت جهود مهندسى النقليات الى فكرة الكرة ! ·· كرة كبيرة زجاجية مصنوعة من الألياف الصناعية التى تستطيع ان تقاوم درجات الحرارة العالية جدا ·· وأن تقاوم الاشعاعات لفترة طويلة أيضا ·· لها عجلات تظهر وتختفى مثل عجلات الطائرة وتبعا لتحكم قائدها فيها ·· بينما يجلس هذا القائد على مقعد وثير يمكن أن يتحول الى فراش ·· وبجواره وفى متناول يده ، أمكنة لتصريف فضلات الطعام ، وأجهزة للاتصال بالكريات الأخرى ، وأدوات بدائية للنجارة والزراعة والحصاد يستخدمها الراكب فيما اذا كتبت له النجاة وبقى ·· بالاضافة الى مخزون كاف من الاطعمة ، وبذور النباتات المألوفة للانسان ·

وكان يوم الخروج يوما مشهودا تجمع فيه عدد هائل من البشر الذين كانوا فى اجازات من عملهم ذلك اليوم ، فى ساحة السفر الخارجى ، حيث يبدأ الطريق الزجاجى الطويل المغطى ، والذى يمتد بجوار الساحة بضعة كيلو مترات طويلة ، الى ان ينتهى عند الاطراف السفلى النهائية للقبة الزجاجية التى تغطى المعمورة البشرية الحديثة ··

أما الذين لم يكونوا فى اجازات من عملهم ذلك اليوم ، فقد كان بامكانهم متابعة الخروج على شاشات البث التليفزيونى فى مواقع عملهم ··

وقد تم ايقاف جميع عمليات السفر الخارجى الى الفضاء فى ذلك اليوم ، وكذلك توقفت جميع المواصلات الهوائية ، لاخلاء ساحة السفر تماما للاحتفال بالخروج ··

كانت هناك زينات كثيرة وأضواء متعددة الالوان متجـاورة تضوى بسرعة شديدة وعلى مساحة هائلة فوق الساحة ، أشـبه بقوس قزح ٠٠ وكانت جميع الأعلام الفئوية المعلقة وسط الزينات ، منكسـة ، كذلك نكست جميع الأعـلام الفئـوية فوق الهيئـات والمؤسسات ، وكأنما النظام يعبر بذلك عن حزنه لهذا الخروج ٠٠ وكأنما هؤلاء الخارجون يمثلون هزيمة ما فى مسيرة التطور ؟

وقد أقيمت منصة هائلة ، وقف عليها السادة ممثلوا النظام ورؤساء اللجـان الفرعيـة والهيئات ، وأقرباء وأصـدقاء السادة والسيدات الذين قرروا الخروج خلف السيد بروف ٠٠ بينمـا وقف هذا الاخير أمام المنصة والى جواره السيد هومو رجل السبانخ وخلفهما قد اصطف طابور عريض مزدوج يضم زملاءهم ، وكانت رؤوسهم جميعا تبدو ضئيلة الحجم بالنسبة لأجسامهم المغطاة حتى العنق ، بملابس الوقاية المصنوعة خصيصا لهم ، وقد أمسـكوا بالخوذات المخصصة لرؤوسهم وأعناقهم فى أيديهم ٠٠ بينما كانت الفرقة الموسيقية تعزف مقطوعة حماسية طويلة ، تثير الشـجن والحماس فى نفس الوقت !

وقد أخذ هومو يتأمل الفرقة الموسيقية البشرية فى ملابسها البيضاء المزينة بأشرطة ملونة بالاخضر والأصفر والاحمر البرتقالى، وهم جالسون أمام آلاتهم الكهربائية يضغطون على أزرارها المعتادة ببراعة وسهولة ، فتنبعث منها تلك الانغـام العجيبة التى تثير الحماس والشجن فى نفس الوقت ٠٠ لقد ظل طوال حياته يستمع الى الموسيقى ٠٠ فالموسيقى فى كل مكان ، لكن ها هو للمرة الاولى يشاهد فرقة موسيقية من لحم ودم ٠٠ لأن هذه الفرقة الحية لا تظهر الا فى المناسبات الهامة التى تمس المصير .

شعر هومو بالخوف وهو يستمع للموسيقى ٠٠ وتذكر تلك الموسيقى التى كانت تعزف فى ملاعب قياصرة الرومان وهم يدفعون

بالمصارعين الى حلبات الوحوش لمصارعتها ·· وللحظة خاطفة ، تملكه الشعور بأنه مصارع رومانى قديم يقف وسط رفاقه لتحية القيصر والحاشية ، قبل أن يدخلوا الى الحلبة ليأكلهم الوحش ··!

ولم يستطع هومو وهو ينحنى بالتحية عند توقف الموسيقى، أن يتجنب النظر الى ليالى الواقفة أمامه على بعد خطوات فوق المنصة تتطلع اليه وعلى شفتيها ابتسامة ودودة يشوبها الحزن ·· فالتقت عيناهما رغما عنه ·· وابتسم لها ·· لكنه شعر بأن ابتسامتها تفيض ببعض المرارة ·

ونزل مندوبو النظام وبدأوا فى مصافحة الخارجين واحدا واحدا ، فمن تنتهى مصافحته يتولى الاخصائيون احكام غطاء الرأس على عنقه ، ويستدير منصرفا الى سيارته الكروية ·

وكانت السيارات الزجاجية الكروية قد اصطفت فى طابور طويل بعرض ثلاث سيارات ·· على بداية الطريق المؤدى الى بوابة الخروج الأرضى ·· وهى بوابة لم تكن موجودة من قبل ·· بل اصطنعها الخبراء اصطناعا ، لهذا الخروج الذى لم يعمل له حسابا عند بناء الغطاء ·

وقد كان هناك اقتراح تقدم به الخبراء ، بأن يكتفوا بفتح ثقب عند الطرف الأسفل للقبة ، تنزلق منه الكريات السيارة بالخارجين ، ثم يعاد بناء الثقب لاغلاقه نهائيا بعد خروجهم ·· لكن النظام رأى أن تنشأ بوابة ضخمة ، تفتح وتغلق بالطرق الالكترونية بالدخول فى الجانبين ، وأن يسجل على هذه البوابة الزجاجية بحروف من معدن التيتانيوم الثمين ، قصة هذا الخروج، وأسماء الخارجين ·· وأن تظل تلك البوابة الضخمة قابلة للفتح والغلق من الداخل ، كرمز للحرية واحترام الحقوق البشرية التى يتيحها النظام للبشر المعاصرين ·



وتقدمت الفرقة الموسيقية بملابسها البيضاء المزركشة بالالوان تحمل آلات موسيقية من النوع القديم الذى كان يتقدم جيوش المشاة وهى تحارب بالحربة والسيف وجها لوجه ٠٠ وكان الشعور بتلك المواجهة ثقيلا كأنه حجر مستقر فى قلب هومو وهو يتقدم الى كرته الزجاجية السيارة فيدخل فيها ويستقر على مقعده ٠٠

وحين بدأت السيارات تتحرك بطابورها الطويل خلف الفرقة الموسيقية ، اختطف هومو نظرة اخيرة من زوجته ليالى ، فرآها توقف بأصبعها الرقيق ، دمعة رقيقة ، عن الانحدار من جانب عينيها الى خدها الرقيق ٠٠ فتألم ٠٠ وزاد ألمه حين تذكر أنه لم ير صديقه دافيد بين المودعين !

فى البداية خرج بروف وهومو ٠٠ وخلفهم خرج الباقون ٠٠ وانغلقت البوابة تلقائيا عند خروج السيارة الاخيرة ٠٠ وتوقف هومو وبروف بسيارتهما خارج القبة الزجاجية وقد تناثرت خلفهم وحولهم بقية السيارات ٠٠ ولابد أنهم جميعا قد شعروا بما شعر يه هومو فأوقفوا سياراتهم بعد دقائق قليلة من الخروج ٠٠

لقد شعر هومو بالسيارة تهتز وتتقافز فجأة وأدهشه أنه لا يستطيع أن يرى شيئا خارج كرته الزجاجية ٠٠ وأطلعته أجهزة القياس والاستشعار ان سحابة كثيفة من الغازات تعبر بهم الآن فوق سطح الأرض ، وتحجب عنهم الرؤية ٠٠ وأن الارض تحت عجلاتهم رخوة وغير مستوية ، وكأنهم يسيرون على ثقوب ٠٠ فاستجابوا جميعا برد فعل واحد وأوقفوا سياراتهم حتى عبرت بهم سحابة الغاز وانكشفت الرؤية ٠٠وبدأت أشعة الشمس تتساقط بتدفق على سطوح الكريات الزجاجية فتنعكس وهجا فى اتجاهات متعارضة يشوش الرؤية ٠٠ لكن عالما من الألوان الحادة الفاجعة قد انكشف أمام عينى هومو وراء تلك الاشعة المتكسرة ٠٠ غابة من

النباتات والاشجار المختلفة الالوان كانت ترى على البعد ·· لكن الأرض فى المساحة التى تفصل بينهم وبين تلك الغـــابة ، كانت ممتلئة بالحفر وكأنها سفح جبل ·· وكانت رخوة تبتلع العجلات ·· فسحبوا جميعا عجلات السيارات الكروية ، وتركوها تـدور منحدرة على الارض باستدارتها الطبيعية ·

وبينما كانوا يقتربون من تلك الغابة ، كانت أجهزة القياس تعلن لهومو أن درجة الحرارة فى الخارج عالية جدا وتقترب كلمـا اقتربوا من درجة صهر الرصاص ·· وأدرك هومو أن تلك الحرارة ليست بفعل الأشعة الشمسية ، أنما هى بفعل الاشعاعات المنبعثـة من تلك السحب الغازية التى تبدو محلقة فوق سطح الارض عـلى شاشة الاستشعار فى جهاز قيادة السيارة ·· والتى تحجب ضوء الشمس وتظلم البقعة التى تعبر بها وتشعل فيها النيران ؟ ·

وأخذ هومو يتابع ما يجرى على الشاشة الصـغيرة أمامه فى جهاز القيادة ، بينما كانت السيارة الكروية تنحدر مسرعة خلف بروف ·· وحولهما تنحدر بقية السيارات متناثرة غير قادرة عـلى الانتظام فى وصف واحد ، رغم صيحات السيد بروف المتتالية لهم فى أجهزة الاتصال الذاتية المركبة فى ساعات أيديهم ، بأن يجمعوا تناثرهم فى صف واحد ·· يبدأ به وبهومو كراس الحربة ·

وشاهد هومو على الشاشة التى تنقل له ما يجرى على الأرض من حوله فى دائرة قطرها ثلاثمائة كيلو متر ، تلك السحب الغازية وهى تعبر مسرعة وكأنها طبور ضخمة فتتفجر النيران على الأرض التى تعبر بها ، وترتفع السنة اللهيب ، فتلتهم الحياة فى تلك البقعة ·· لكن الحياة فيما يبدو سرعان ما كانت تشق لها طريقا اخر فى منطقة أخرى ، حيث تنقل الشاشة لهومو حقولا شاسعة من نباتات غريبة ، ضخمة ومتحركة بشكل غير مألوف ·· ذات ثمار عمـلاقة

من نبات الأرض والفواكه والزهور ، محملة بألوان صارخة حارة وساخنة وكأنها تتفجر بالحياة التى تدب فيها ٠

مضى هومو يحدق مذهولا وهو يسائل نفسه ، هل ظل هذا الصراع قائما طول القرون الماضية منذ الحرب الالكترونية الأولى ؟! ٠

هذا الصراع الدموى بين الفناء والحياة ٠٠ بين هذه السحب الغازية المدمرة وبين الغابات ٠٠ تلتهم غابة من هنا ، فتنشأ غابة هناك ٠٠ ؟!

لكنها غابات غريبة غير مألوفة ٠ !

وأخذ هومو يحدق مبهورا والسيارة تتدحرج به عند حافة الغابة ٠٠

ترك الشاشة الصغيرة وأخذ يلصق وجهه بالزجاج ويحدق فى الطبيعة نفسها ٠٠

وصاح بهم بروف فى جهاز النداء الذاتى :

ـ فلنحتمى جميعا بالغابة ونتوقف هناك لتدبر الامر ٠٠ فان الامكنة جميعها على الارض متشابهة فيما يبدو ٠٠ فالزموا الطرف الخارجى للغابة ولا تدخلوها ٠٠

ورأى هومو اشجارا هائلة الحجم ، شاهقة الارتفاع تحيط بأطراف الغابة وتحجب ضوء الشمس عن مساحة كبيرة منها ٠٠ ورأى سحبا غازية سوداء تتكسر وتتفتت على جذوع تلك الاشجار، وتتناثر شظايا من النيران فلا تصيب من تلك الاشجار الهائلة سوى احراق بعض لحائها أو قشورها ٠٠

وفكر هومو أن عملية البناء الضوئى ظلت هى المصدر الاساسى

للطاقة اللازمة لشتى أشكال الحياة على الأرض ، منذ ظهور الحياة على شكل رخويات هلامية بحرية زيتية اللون ، قبل ألفى مليون سنة ٠٠ ولكن يبدو أن الخلايا الفولضوئية التى نجمت عن الانفجارات الذرية والاشعاعات قد قامت بتكثيف عملية البناء الضوئى وأنتجت تلك النماذج العملاقة من الاشجار والأحياء ٠

وحينما وقفوا تحت الاشجار عند مبتدأ الغابة لاحظ هومو أن الغابة تعج بالعديد من الاصوات التى ينقلها له جهاز الصوت ، فعاد يتطلع الى الشاشة الصغيرة التى كانت تنقل صورا ملونة سريعة ودقيقة لكل ما يدور حوله ، خارج نطاق الرؤية الذاتية ٠٠ ورأى هومو أمامه على الشاشة حيوانات ضخمة تمشى وتطير فى نفس الوقت ورأى أشجارا تميل بجذوعها تجاه الارض وتفتح اغصانها لتصطاد بها حيوانا عابرا تبتلعه ثم تنتصب واقفة من جديد لتمتص عصاراته البروتينية على مهل ٠٠ ورأى زهورا جميلة وجذابة تأكل الفراشات ٠٠ ورأى وحوشا تطارد بعضها البعض لتنتزع غذائها بالمخالب والانياب ٠٠ بالاختصار ٠٠ رأى هومو الحياة وهى تتدفق عنيفة وصاخبة ودموية فى صراع متوحش من أجل البقاء والاستمرار ٠٠ بعد أن غيرت وطورت فى أساليبها المألوفة ٠٠ !

وصاح هومو مخاطبا بروف فى جهاز النداء الذاتى :

ـ ما هذا الذى نراه ياسيد بروف ؟! ٠٠ لكأنما الحياة تعود سيرتها الأولى الى مبتدأها القديم !

وقال بروف :

ـ ألم أقل لك يا هومو ؟! ٠٠ تلك هى الطبيعة التى ننتمى اليها بحق ٠٠ الطبيعة العظيمة الجبارة التى تحتفظ فى ذاكرتها الخصبة برموز جميع العصور والأزمان ٠٠

وقال هومو بقلق :

ـ أتظن أنه سيكون لنا مكان هنا يا سيد بروف ٠٠ ؟!

ـ طبعا يا رجل ٠٠ لقد جئنا لنبقى ٠

ـ هل لديك خطة واضحة لهذا البقاء ؟ ٠٠ والى متى سنظل داخل تلك الكريات السيارة ؟

وقال بروف بحماس وثقة

ـ اسمع يا هومو ٠٠ اسمعوا جميعا ٠

ان هذه الكريات السيارة مصنوعة من الزجاج الحرارى الشديد الصلابة والمقاومة ، ومن الممكن تفكيكها واعادة تجميعها على شكل آخر كبير موحد كما تعلمون ، لنبدأ الحياة بداخله ٠٠ وباستطاعتنا أن نفعل ذلك الآن عند أطراف هذه الغابة ٠٠ ولكننى أرى أن نتجول بهذه السيارات قليلا للاستكشاف ، ومحاولة اختبار المكان الأنسب للاقامة ٠

وبالفعل مضوا ٠٠ يتجولون أياما ثلاثة ، تعرضوا خلالها لعدد من الحوادث المؤسفة ، جعلت هومو يشعر بالندم والحسرة ٠٠ ففى اليوم الأول لم تتمالك احدى السيدات نفسها أمام حقل من الزهور الذهبية الصغيرة الجميلة ، لا تكاد تعلو عن سطح الأرض ، لكنها تتماوج وتبرق بالتماعاتها الذهبية ، وكأنها نجوم على أعواد ؛ وغادرت السيدة مركبتها الزجاجية واندفعت الى الحقل لتقطف واحدة منها ٠٠ فما كادت تمد يدها المغطاة بأكمامها المعدنية ، حتى ندت عن الحقل زمجرة هائلة ، وانداحت الزهور حول قدمى المرآة ، فبدأت تغوص فى الحقل حتى اختفت أمام أعينهم جميعا ، وابتلعها الحقل ! ٠٠ ثم عادت الزهور النجمية الذهبية ، تتلألأ

وتتماوج من جديد ، قبل أن يدرك أى منهم ما حدث ادراكا كاملا .

وفى اليوم الثانى اعترضهم قطيع البقر الوحشى ، أخذ ينطح كرياتهم الزجاجية بقرونه ويدحرجها أمامه ، فتصطدم بالصخور والأشجار وينحدر بعضها فى الهاويات السحيقة أسفل الوديان .. وقد أمكنهم مقاومة هذا العبث الوحشى باطلاق الأشعة الحارقة من مدافع سياراتهم ، على البقر ، لكن الأشعة لدهشتهم لم تكن تقتل البقر أو تصيبه بضرر كبير .. وانما استطاعت فقط ان تزعجه وتصيبه ببعض الجروح ، فكف عن العبث وابتعد عن الكريات ، وعاد القطيع الى طريقه مخلفا وراءه خسائر جسيمة .. فمعظم السيارات قد أصابها الانبعاج وأصبح سيرها متعرجا ، كما أن المعدات الالكترونية الداخلية قد أصابها الكثير من التلف ، بسبب الصدمات ، وأخذ هومو يصيح فى جهاز النداء الذاتى صيحات ممزوجة بالرعب :

ـ ليس هذا مكاننا يا بروف .. لقد خدعنا أنفسنا فليس هذا مكاننا .. مكاننا هناك حيث جئنا .. !

وقال بروف فى غضب :

ـ اهدأ يارجل .. أتسمح لنفسك بالانهيار عند أول مواجهة .. ؟

وقال هومو :

ـ ليس فى المسألة بطولات أيها السيد بروف .. اننى أشعر بالانهيار فعلا .. ويكاد يميتنى الرعب الذى لم أشعر به أبدا من قبل فى حياتى كلها ، ليس بسبب خشيتى من الفناء ولكن بسبب الشعور بالخطأ الفادح الذى ارتكبناه .. !

لقد كان خروجنا خطأ أيها الزملاء ··

فها نحن نعود بأنفسنا من واحة الأمان ووضوح الرؤية ·· الى مخاطر تلك الحياة البدائية ، حيث يسود من جديد ذلك الشعار الدموى القديم ، البدائى والمتخلف : « البقاء للأقوى » ··

وفى اليوم الثالث كان هومو قد بدأ يسيطر على انفعالاته وأصبح سقوط بعض الزملاء بكرياتهم فى الهاويات السحيقة ·· أو ابتلاع الأشجار الحيوانية لها ·· أو عبث الوحوش بهـا ·· شيئا لا يثير الرعب فى قلبه ، وانمـا يدفعه الى التفكير بطريقة عقلانية ·· وأخذ يقول لبروف :

ـ أيها السيد بروف ·· أنا فلاح بسيط من حقل السبانخ ، وأنت تكنوقراطى عالم ، واننى مقدر تماما مدى حماسك الشديد لفكرة الاستقرار وزرع بذرة بشرية هنا فى تلك الطبيعة الوحشية ·· ولكننى أرى رغم ذلك ، أنه حتى بفرض نجاحنـا فى النجـاة ، وانتاج جيل بشرى جديد ، فلسوف يعانى ذلك الجيل القادم من الأهوال فى صراعه مع هذه الطبيعة ، الشىء الذى يجعل تمكنه من انتاج جيل بشرى ثالث ، يبدو مستحيلا ··

واخذ بروف يصيح مؤكدا :

ـ اننا سننجح يا هومو ·· أؤكد لك ·· وسينجح الجيل الثانى فى انتاج جيل ثالث ·· وهكذا سوف نستمر هنا ·· فى هذه الطبيعة الوحشية التى تخيفك ··

يجب أن تثق فى الانسان يا هومو ·· فلقد فعل ذلك من قبل فى الزمن القديم ··

وتساءل هومو فى حيرة :

ـ لقد فعل الانسان ذلك فى الزمن القديم ياسيد بروف لأنه لم يكن أمامه طريق ثان .. فقد فعله مرغما .. وفعله فى بضعة ملايين من السنين حتى وصل الى ما وصلنا اليه فى المعمورة البشرية المغطاة التى تركناها .

فما الذى يدفعه لأن يفعل ذلك مرة ثانية ، ويخوض الأهوال بضعة ملايين أخرى من السنين بارادته ؟!

لا يا سيد بروف .. لابد أننا حمقى اذ نفعل ذلك !

وفى اليوم الرابع كان هومو قد قرر العودة ..

أدار سيارته وعاد بها مسرعا فى اتجاه البوابة وهو يصيح فى زملائه عن طريق النداء الذاتى :

ـ أيها الزملاء .. العاقل منكم يتبعنى ..

ـ لقد كان خروجنا خطأ .. لقد كان خروجنا خطأ ..

وكان بروف يصيح خلفه :

ـ اهدأ يا هومو .. عد يا رجل .. لا تفضحنا .. تمالك نفسك وعد ..

لكن هومو لم يستمع اليه .. واستمر مندفعا بسيارته الى أقصى سرعة لها .. عائدا الى البوابة . حتى وصلها بعد يومين .. فوقف يلتقط أنفاسه أمام البوابة الضخمة التى كانت مغلقة باحكام بينما أخذت أصابعه تدير مفاتيح أجهزة الاتصال بداخل المعمورة المغطاة .. لكنه فوجىء بأن الاتصال بالداخل كان مقطوعا .. على جميع الموجات جرب .. وبمختلف الأشخاص فى الداخل حاول ع

طريق النداء الذاتى ، لكن الاتصال بالداخل كان مقطوعا بالفعل بشكل لايحتمل الشك ٠

وكانت اللجنة الفرعية للنظام مجتمعة بشـــكل غير عادى لمناقشة أمر مثير توصلت اليه الأبحاث العلمية ٠

فقد استطاعت تلك الأبحـــاث أن تتخطى السنن الطبيعية وتحيد بها عن طريقها المعتاد ٠٠ وبدلا من تقابل الخلايا الجنسية بين ذكور الانواع وأناثها لانتاج ذرية جديدة ، تمكنت تلك الأبحاث من انشاء الذرية من الخلايـا الجسـدية للكائن الحى ٠٠ جزء من شفته أو لسانه أو أمعاءه أو أى قطعة حيه اخرى من أى مكان فى جسده ، يتم تربيتها فى أنبوبة معقمة بها غذاء معقم حتى اذا انقسمت تحولت الى كتلة صغيرة من الخلايا ، يمكن ذرعهـــا بعد ذلك فى الأرحام الصناعية ، فتنمو لتنتج نسخة حية أخرى جديدة ، من الكائن الحى الذى أخذت منه ٠٠ نسخة متطابقة تحمل كل الموروثات التى كانت له ٠٠ وملامحه وعاداته ٠

وكانت اللجنة مبتهجة بتلك الخطوة العلمية المثيرة ، عندما جاءتهم رسالة على شاشة البث المرئى ، تفيد بأن أجهزة الاستشعار تنقل بالحاح صورة رجل السبانخ وهو يقف منهـــارا أمام البوابة الخارجية ، يدق على زجاجها السميك بقطعة من الحجر ، ويصرخ طالبا بأن يفتح له ٠

فتبادل أعضاء اللجنة النظرات فى شىء من الضيق ٠٠

وغمغم مندوب الصحة : لقد فات الوقت ٠٠

ومصمص مندوب الأمن المركزى بشفتيه ، ثم عاد يواصل حديثه حول الكشف الجديد الذى توصلت اليه الأبحاث ٠٠٠

قال سيادته :

ـ ان معنى هذا النجاح العلمى المذهل ، أننـا نستطيع من اليوم أن ننسخ من الانسان الواحد نسخة جديدة هى صورة طبق الأصل منه ، فلا يمكن التفريق بين ذاته البيولوجية القديمة وذاته الجديدة ، الا بالفترة الزمنية التى تفصل بين هذا وذاك ٠

قال مندوب الصحة :

ـ نعم ٠٠ فالامر كما تقول ، ولسوف يستطيع هذا الانسان أن يرى نفســه وهو ينمو أى جواره من جديد ، طفلا ، فصبيا ، فشابا ، بكل صفاته وعاداته التى نشأ هو عليها من قبل ٠٠ فان جوهر هذا الاكتشاف موجود فى الحيوانات الدنيـا التى تتكاثر جسديا وليس جنسيا ٠٠ بطريقة الانقسام ٠٠ لكن النجاح العظيم هو فى امكانية تطبيقه على الانسان ٠

وقال مندوب النظام العام :

ـ انها الفكرة الرائعة لتحقيق الخلود للفـرد البشرى ٠٠ حيث يستطيع أن يلد نفسه من جسده مرة ثانية وثالثة ورابعة الى مالا نهاية ٠٠ كلما شعر بأنه يقترب من الفناء ٠٠ لكننى لا أظن ان هذا الخلود سيكون مشاعا لكل البشر ٠

ففى البداية ٠٠ يجب أن يكون مقصـورا على تلك المجموعة من الأفراد التى تتميز بمواهب عبقرية خلاقة ومفيدة للبشرية ؟

وقد استغرقتهم المناقشة ٠٠ فانهمكوا فيها جميعـا بحماس ومرح ٠٠ ونسوا تماما تلك الاشارة التى تقول أن رجل السبانخ ما يزال يدق على البوابة ٠

وذات يوم كان أحد المواطنين يتنزه مع صديقته فى سيارتهما الهوائية الخاصة بالقرب من تلك البوابة الخارجية الضخمة ·· فشاهدا من خلف الزجاج السميك رجلا مشعث الملابس ، رث الهيئة ، يبدو متهالكا خارج البوابة ، وهو يدق على زجاجها بكلتا يديه فى يأس ·

ودققت المرأة النظر وقالت لرجلها :

ـ انظر هناك ·· أليس هذا هو هومو رجل السبانخ ·· ؟

ـ وقال الرجل وهو يشيح بوجهه :

ـ نعم انه هو ·· هيا بنا نبتعد عن هذا المكان ··

وقالت المرأة بأسف وهى تتبعه مبتعدة :

ـ أمازال يدق الباب ·· ؟ هل نسى أن الزمن لايعود الى الوراء ؟!

تمت



فهرس

كتب للمؤلف

- القميص ـ قصص قصيرة ـ ١٩٥٨ ـ الناشر العربى
- حادث نصف المتر ـ رواية ـ الطبعة الأولى ١٩٦١ الكتاب الذهبى
  الطبعة الثانية ١٩٦٨ الكتاب الذهبى
  الطبعة الثالثة ١٩٦٩ الناشر الحديث
  الطبعة الرابعة ١٩٧٤ دار التنوير بلبنان
- مشروع قتل حارة ـ قصص قصيرة ـ ١٩٦٥ الكتاب الذهبى
- حكايات صبرى موسى ـ قصص قصيرة ١٩٦٦ الكتاب الذهبى
- وجها لظهر ! ـ قصص قصيرة ١٩٦٧ الكتاب الذهبى
- فساد الأمكنة ـ رواية ـ ١٩٧٤ الكتاب الذهبى
  الطبعة الثانية ١٩٧٦ الكتاب الذهبى
  الطبعة الثالثة ١٩٨٠ دار التنوير بلبنان
- فى الصحراء ـ ادب رحلات ١٩٦٣ الكتاب الذهبى
- فى البحيرات ـ ادب رحلات ١٩٧٣ الكتاب الذهبى
- الغداء مع آلهة الصيد ـ ادب رحلات ١٩٨٦ الكتاب الذهبى

مطابع الهيئة العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٧٨٤٩

ISBN _ ٩٧٧ _ ٠ ١ _ ١٢٣٠ _ ٥

« نحن البشر ، نمر الآن بوضع شبيه بإنسان ما قبل التاريخ ، عندما فتح عينيه منذ أكثر من خمسة آلاف سنة ، على دنيا جديدة تماما . . ؟

ولقد تعودنا على دراسة الماضى ، لنلقى الضوء على الحاضر . . . ولكننى الآن أقلب لكم مرآة الزمن ، مقتنعا بأن صورة واضحة للمستقبل ، يمكن أيضا أن تمد حاضركم بعديد من البصائر التى لا غنى عنها . . ؟ »

رجل السبانخ

٢٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب